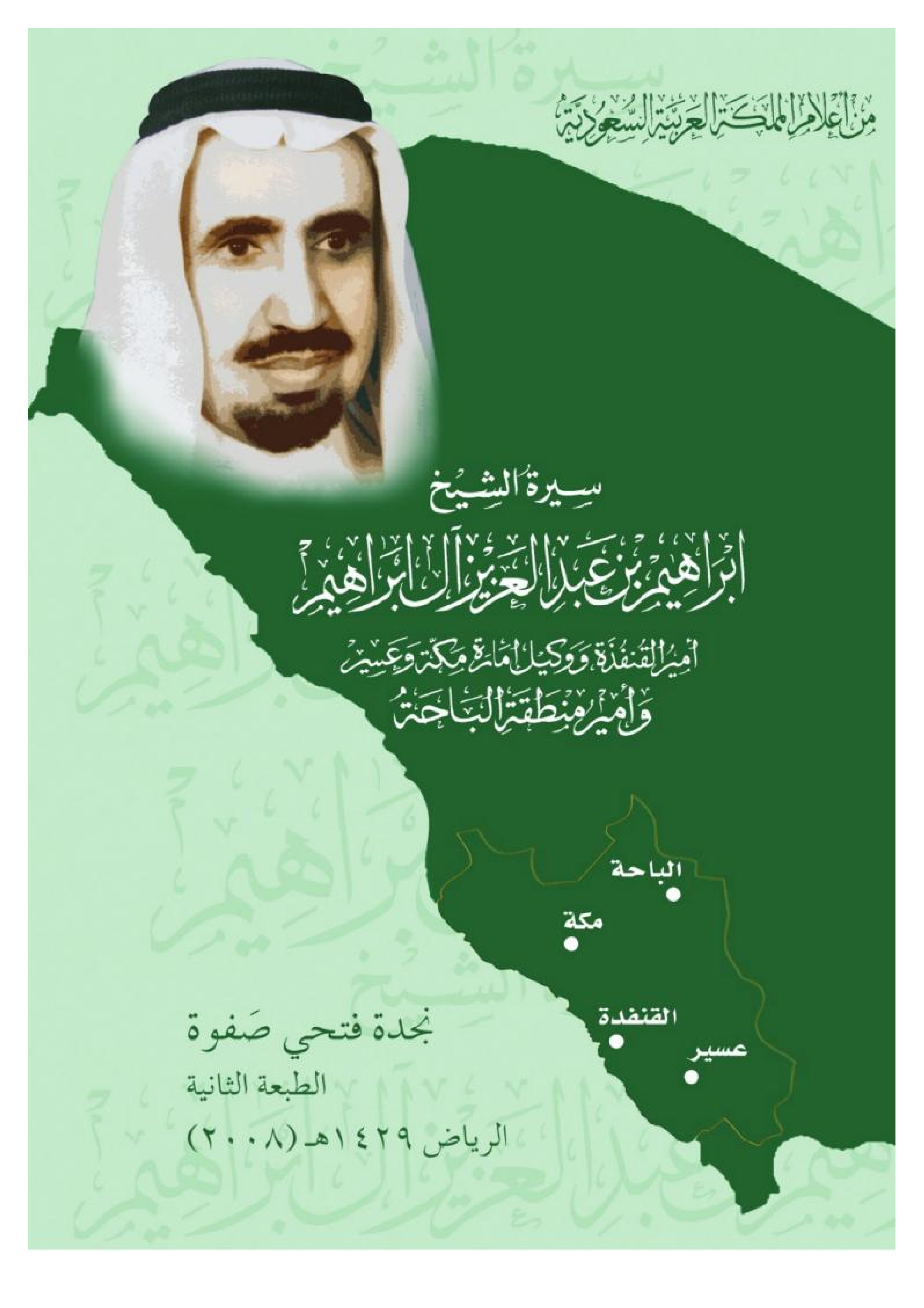


من أعلام المملكة العربية السعودية
سيرة الشيخ
ابراهيم بن عبد العزيز آل ابراهيم
أمير القنفذة ووكيل إمارة مكة وعسير
وأمير منطقة الباحة
الباحة
مكة
القنفذة
عسير
نجدة فتحي صَفوة
الطبعة الثانية
الرياض ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨)

سيرة الشيخ

إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

من أعلام المملكة العربية السعودية

سيرة الشيخ

ابراهيم بن عبد العزيز آل ابراهيم

أمير القنفذة ووكيل إمارة مكة وعسير وأمير منطقة الباحة

نجدة فتحي صفوة

الطبعة الثانية ٢٠٠٨
ISBN 1 85516 396 9

المحتــويــات

تمهيـد

في مقابلة صحفية (نشرت بعد وفاته بسنتين)، سأل مندوب جريدة "الجزيرة" الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم، أمير منطقة الباحة، قائلاً:

– "معالي الشيخ إبراهيم.. هل تخشى ركوب الطائرة؟

فأجابه الشيخ إبراهيم:

– "لا أخشاه... ولكنني لا أستطيع النوم داخل الطائرة".

فسأله الصحفي:

– "أبو عبد العزيز... هل تخاف من الموت؟".

– "أبداً... إنني شخص مؤمن بالله... وعندما يحين أجل الإنسان سيأتيه الموت إذا كان ذلك في الطائرة أو في السرير أو على الكرسي... أو في السيارة".

وأدار مندوب الصحيفة حديثاً مطولاً مع أمير الباحة، ووجّه إليه أسئلة عديدة أخرى عن نفسه.

ولكن الشيخ إبراهيم لم يوافق على نشر هذا الحديث الذي تضمن أموراً شخصية عديدة، لأنه كان لا يحب الأضواء. وبعد هذه المقابلة بسنتين، بينما كان الشيخ إبراهيم البراهيم، أمير الباحة، والشخصية السعودية المعروفة والمحبوبة والمحترمة من الجميع، في سيارته مع بعض أصدقائه صباح يوم الاثنين ٢٨ رجب ١٤٠٦هـ (٩ نيسان/ أبريل ١٩٨٦م)، جرف السيل سيارته في حائل، فانقلبت، وتوفي أمير الباحة في هذه الحادثة المؤسفة مع بعض مرافقيه، في ظروف غير اعتيادية وحادث نادر الوقوع.

وكانت وفاة الشيخ إبراهيم البراهيم وهو في أوج نشاطه، وقمة نضجه، ومتوع مكانته، صدمة كبيرة لا لأسرته وحدها، بل لأصدقائه الكثيرين ومعارفه أيضاً في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية، التي شعرت، شعباً وحكومة، أنها فقدت بوفاته أحد رجالاتها الذين قضوا

حياتهم في خدمة مليكهم وبلادهم، وعُرفوا بالكفاءة والنزاهة والكرم، ورجلاً كان يؤمل منه مزيد من العطاء لوطنه وأسرته.

وأصدر الديوان الملكي السعودي بياناً عن وفاته جاء فيه:

"أنه كان يُعَدُّ من الرجال المخلصين الذين أدوا واجبهم بإخلاص وأمانة حيث أمضى سنوات طويلة أميراً لعدد من المدن آخرها إمارة الباحة وضواحيها. وكان الفقيد طوال حياته مثالاً للصلاح والتقوى وأداء الواجب في خدمة دينه ومليكه وبلاده".

قضى الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في خدمة الدولة أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، كان في جميع مراحلها مثالاً للنشاط والإخلاص والعمل. وسخّر خبرته الواسعة في الإدارة لتنمية المناطق التي عمل فيها، وأسهم بشكل ملموس في فرض الأمن فيها. ولم يترك قرية، ولا مدينة، ولا جبلاً، ولا وادياً ولا شاهداً إلا ووقف عليه بنفسه وقفة الباحث والمخطط المتأمل، حتى أصبح خبيراً واسع الدراية والتجربة في غرب المملكة العربية السعودية وجنوبها، إلى جانب تجربته الفنية في إدارة الإمارات التي تولاها.

ولما انتقل معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم إلى رحمة الله، فاضت أعمدة الصحف السعودية بنعيه، ونشرت المقالات تلو المقالات والقصائد في رثائه وتعداد أعماله في خدمة بلاده[١]. ومن تلك المقالات الكثيرة ما كتبه السيد عبد الرحمن البراهيم الوابل في جريدة "الجزيرة" بعنوان: "رحمك الله يا أبا عبد العزيز" وجاء في مقالته:

"... إنه جدير بأن يؤلَّف عنه كتاب تاريخي يقوم بذلك أحد أبناء المرحوم يضاف إلى المكتبة العربية الإسلامية الحافلة بالعديد من المؤلفات التاريخية للعديد من الأبطال وعظماء الرجال..."[٢].

---

(١) راجع مجموعة مختارة من مقالات الرثاء في الملحق.
(٢) جريدة "الجزيرة"، العدد ٤٩٥١، ١٠ شعبان ١٤٠٦هـ (٢٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

كذلك كتب السيد علي بن صالح السلوك مقالة عن الأمير إبراهيم في جريدة "الجزيرة" قال فيها:

"في حياة الفقيد الكبير جوانب عرفتها خلال عملي معه لمدة ثماني سنوات وهي جديرة بأن تُجمع مع ما يعرفه عنه أقرباؤه وأصدقاؤه في كتاب ليستفيد منها هذا الجيل والأجيال القادمة تخليداً لذكراه العطرة"[1].

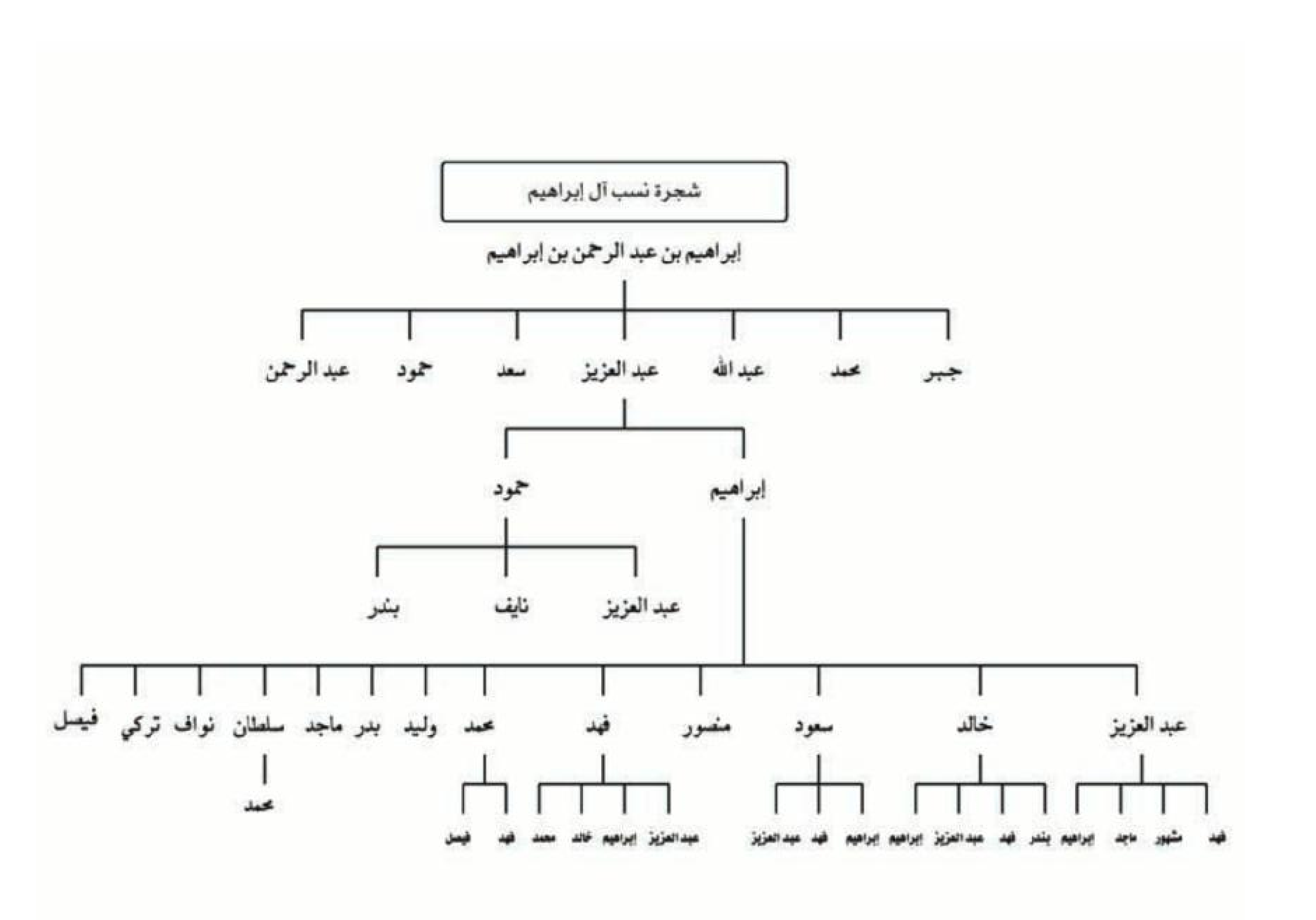
ويتناول هذا الكتاب سيرة هذا الإداري المتمرس الذي انتقل إلى جوار ربه قبل أن يتجاوز التاسعة والستين من عمره، وهو في كامل صحته، ولا يزال قادراً، بما لديه من تجارب في الحياة والإدارة، على خدمة بلاده ومليكه لسنوات طويلة أخرى، ولكنها إرادة الله التي لا تناقش، وقضاؤه الذي لا يُرَد.

وفي سيرة الأمير إبراهيم البراهيم الغنية، الزاخرة بالعطاء، كثير من الدروس، وفيها كثير من العبر، ولذلك فإن تسجيلها ليس تخليداً لذكرى رجل خدم بلاده وأمته ومليكه خدمة مميزة فقط، بل هو، في الوقت نفسه، عرض لنموذج رائع للأجيال القادمة في الإخلاص والعمل، والجد في خدمة المجتمع، والتعامل مع الآخرين تعاملاً إنسانياً وخلقياً، والحرص على مصالح المواطنين، مع الدقة في احترام الأنظمة وعدم التهاون في تنفيذها.

إن مجال القول في سيرة الأمير إبراهيم ذو سعة، وأعماله خلال توليه الإمارة ووكالة الإمارة أكثر من مرة، فالإمارة، في مناطق مهمة من المملكة العربية السعودية، كالقنفذة ومكة وعسير والباحة، وخدماته المتواصلة لبلاده بإخلاص وتجرد ونزاهة وجدية، جديرة بأن تسجل له بالتقدير، وتذكر له بالثناء، كما يعرف ذلك معاصروه، وكما سيظهر من متابعة سيرته.

---

(١) جريدة "الجزيرة" العدد ٤٩٥٧، ١٦ شعبان ١٤٠٦هـ (٢٦ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).



شجرة نسب آل إبراهيم
إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم
جبر
محمد
عبد الله
عبد العزيز
سعد
حمود
عبد الرحمن
إبراهيم
حمود
عبد العزيز
نايف
بندر
عبد العزيز
خالد
سعود
منصور
فهد
محمد
وليد
بدر
ماجد
سلطان
نواف
تركي
فيصل
فهد
مشهور
ماجد
إبراهيم
بندر
فهد
عبد العزيز
إبراهيم
إبراهيم
فهد
عبد العزيز
عبد العزيز
إبراهيم
خالد
محمد
فهد
فيصل
محمد

تسلسل الأحداث

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	
١٢٩٧	١٨٨٠	ولد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم البراهيم في الرياض.
١٣٣٥	١٩١٧	ولد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في حائل.
١٣٤٠	١٩٢١	استسلم الأمير محمد بن طلال بن رشيد للإمام عبد العزيز آل سعود.
١٣٤١	١٩٢٢	عُيّن الأمير عبد العزيز البراهيم أميراً لأبها.
١٣٤٢	١٩٢٤	عاد الأمير عبد العزيز البراهيم من عسير إلى الرياض.
١٣٤٣	١٩٢٤	دخلت القوات السعودية مدينة الطائف ثم مدينة مكة.
١٣٤٣	١٩٢٤	عُيّن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميراً للطائف (أول أمير في عهد الدولة السعودية الثالثة).
١٣٤٤	١٩٢٥	استسلمت حامية المدينة المنورة للأمير محمد ابن عبد العزيز.
١٣٤٦	١٩٢٧	عُيّن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وكيلاً لإمارة المدينة المنورة وقائماً فعلياً بعمل أمير المنطقة.
١٣٥٥	١٩٣٦	انتقل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة.
١٣٦٢	١٩٤٣	رُشح الأمير إبراهيم بن عبد العزيز أميراً لإحدى الإمارات ولكنه لم يباشر عمله نظراً لظروف والده وعدم وجود ولد آخر له.

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	
١٣٦٥	١٩٤٦	ولد الشيخ حمود بن عبد العزيز البراهيم في الرياض خلال غياب والده للمعالجة في القاهرة.
١٣٦٥	١٩٤٦	تُوفي الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في القاهرة عن ٦٦ عاماً.
١٣٧١	١٩٥٢	عُين الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم أميراً لمنطقة القنفذة.
١٣٨١	١٩٦١	نُقل الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم وكيلاً لإمارة مكة.
١٣٨٩	١٩٦٩	نُقل الأمير إبراهيم البراهيم مستشاراً بوزارة الداخلية.
١٣٩١	١٩٧٠	عُين الأمير إبراهيم وكيلاً لإمارة عسير (٧ – ٨) سنوات.
١٣٩٨	١٩٧٨	عُين أميراً للباحة.
١٣٩٩	١٩٧٩	مُنح مرتبة وزير.
١٤٠٦	١٩٨٦	توفي الأمير إبراهيم عن ٦٩ عاماً.



الفصل الأول

البيئة الاجتماعية والسياسية التي ولد فيها الأمير إبراهيم البراهيم

البيئة الاجتماعية والسياسية التي ولد فيها الأمير إبراهيم البراهيم

إن التصدي لتدوين سيرة رجل من رجالات المملكة العربية السعودية في عهد نهضتها الحديثة، واتخاذها موقعها في الذؤابة بين الدول العربية، يتطلب بلا شك العودة إلى الوراء قليلاً لأجل مواكبة مراحل التقدم السريع الذي شهدته المملكة، وتحقيقها وحدة أقطار الجزيرة العربية الوسطى خلال عقود قليلة من السنين.

يعود تاريخ الدولة السعودية إلى أوائل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، حين تولى الأمير سعود الأول بن محمد بن مقرن الإمارة في الدرعية. وقد تمكن بدهائه وحنكته من تثبيت إمارته في عاصمته وفي الواحات الصغيرة المجاورة لها، حتى أدركته الوفاة سنة ١١٣٧هـ (١٧٢٤م)[1]، بعد أن وضع بعمله أساس مملكة آل سعود.

واتصل حكم آل سعود في أواسط الجزيرة العربية منذ ذلك الحين، واستمر في صعود وتوسع، حتى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي.

وصادف في أوائل تكوين الدولة السعودية ظهور الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، زعيم النهضة السلفية الحديثة في جزيرة العرب، الذي كان له أثره البعيد في الفكر الديني في عصره. ولد ونشأ في العيينة بنجد، ورحل إلى الحجاز والشام والبصرة، وأفاد من علمائها، وعاد إلى نجد، فدعا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والأوهام التي علقت بالدين الحنيف. وقصد الدرعية في الثانية والأربعين من عمره، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته، وشد أزره.

---

(١) فؤاد حمزة، "**قلب جزيرة العرب**"، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٣٢٧.

انتشرت دعوة ابن عبد الوهاب في شرق الجزيرة العربية واتسعت باتساع رقعة مُلك أمراء آل سعود، حتى بلغت في بعض مراحلها حدود اليمن جنوباً ومشارف الشام شمالاً، وعُرف التابعون لمذهب السلف بـ "أهل التوحيد" و"إخوان من أطاع الله". وقد نشروا دعوتهم في الأجيال التالية بالترهيب والترغيب، وسماهم خصومهم "الوهابيين" نسبة إليه، وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوروبيين فدخلت معاجمهم الحديثة، أخطأ بعضهم فجعلها "مذهباً" جديداً في الإسلام تبعاً لما افتراه خصومه[1]. وكانت وفاته في الدرعية.

وفي أواسط القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، ظهرت إمارة آل الرشيد في حائل. وكان عبد الله بن علي آل رشيد الشمّري قائداً لجيش الأمير فيصل بن تركي آل سعود، فولاه إمارة حائل، واستتب له الأمر فيها، وأسس إمارة آل رشيد في نجد. وقد توفي سنة ١٢٦٣هـ (١٨٧٤م)، فخلفه أولاده الذين وسعوا مُلْكهم حتى استولوا على نجد، وامتد حكمهم إلى أطراف العراق والشام. واضطر الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى ترك موطن آبائه في نجد، والنزوح إلى الكويت، حتى اشتد ساعد ابنه عبد العزيز، واحتل الرياض في سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) في عملية أشبه ما تكون بملحمة أسطورية، أو رواية خيالية، أو قصة من قصص البطولة النادرة في التاريخ.

وبزغ نجم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في مطلع القرن العشرين الميلادي، وكان عمره لا يتجاوز العشرين. وقد بدأ بفتح الرياض، وانتصر على ابن رشيد، وتغلب على أعوانه من رجال الدولة العثمانية. ثم توسع في فتوحاته، فتملك نجداً والحجاز، ودخل مكة المكرمة في كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٤م. وفي ٨ كانون الثاني / يناير ١٩٢٦م، أُعلن ملكاً للحجاز وسلطاناً لنجد. واكتسبت المملكة وضعها الجغرافي وكيانها السياسي في تلك السنة، وعُرفت بـ "سلطنة نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز". وبعد إعلان تولي السلطان عبد العزيز

---

(١) الزركلي، "**الأعلام**"، ج٧، ص١٣٧.

آل سعود الحكم في الحجاز وإعلان قيام مملكة جديدة باسم "سلطنة نجد ومملكة الحجاز"، لم يصدر أي نظام أو قانون يحدد علاقات المملكتين بعضهما ببعض، أو يحدد الحدود بينهما. ومن الناحية القانونية، كان كل من الحجاز ونجد مملكة مستقلة عن الأخرى تجمع بينهما رابطة العرش المشترك. وقد شهدت بعض الدول الأوروبية في عهود مختلفة وضعاً مماثلاً ارتبطت فيه أكثر من دولة بعرش واحد، وآخر هذه الأمثلة إمبراطورية النمسا والمجر، التي كان يحكمها فرانسوا جوزيف[1].

أما من الناحية الواقعية، أو العملية، فقد كانت الصلات بين السلطنة والمملكة وثيقة أكثر من ذلك، والمنافع المتبادلة أكبر. ولم يكن بينهما أي نوع من الفوارق والحواجز الجمركية أو الحدود العائقة. وكانت سياستهما الخارجية واحدة تدار من مركز واحد باسم البلدين معاً، لا باسم كل منهما. وأما من حيث التشكيلات الإدارية والأنظمة الحكومية، فقد كان لكل من السلطنة والمملكة نظامها الخاص، المعروف من العهود السابقة.

ولم يكن من الممكن ولا من المقبول دوام مثل هذا النظام المزدوج في دولة أصبحت متحدة من جميع النواحي العملية، ولم يكن دوامه ليخدم أي غرض مفيد. وظهرت في البلاد رغبة عامة لتوحيد الكيانين وفي آب / أغسطس ١٩٣٢م، اجتمع عدد من رجالات الحجاز ونجد، وقدموا إلى الملك عبد العزيز عريضة أعربوا فيها عن الرغبة التي سادت البلاد في توحيد السلطنة والمملكة في كيان واحد، أو دولة واحدة، ذات اسم واحد.

ومما جاء في العريضة:

"فإن المجتمعين يرفعون بكمال الخضوع، إلى سدة صاحب الجلالة أمنيتهم الأكيدة، في أن يتكرم بإصدار الإرادة السنية بالموافقة على تبديل اسم المملكة الحالي إلى اسم يكون أكثر انطباقاً على الحقيقة، وأوضح إشارة إلى الأماني المقبلة، وأبين في الإشادة بذكر من

(١) وذلك على الرغم من الفارق بين الحالتين، فإمبراطورية النمسا والمجر كانت تضم أمتين مختلفتين، لكل منهما قوميتها ولغتها، في حين أن نجداً والحجاز ترتبطان برابطة الأمة الواحدة، والتاريخ المشترك، واللغة، والدين. والمقصود من المقارنة هو الشكل الدستوري للدولة.

كان السبب في هذا الاتحاد، والأصل في جمع الكلمة وحصول الوحدة، وهو شخص جلالة الملك المفدى، وذلك بتحويل اسم "الحكومة الحجازية والنجدية وملحقاتها" إلى اسم "المملكة العربية السعودية" الذي يدل على البلاد التي يقطنها العرب، ممن وفق الله جلالة "الملك عبد العزيز آل سعود" إلى توحيد شملهم وضم شعثهم".

وقد أيد الملك عبد العزيز هذه الرغبة، وصدر المرسوم الذي يقضي بتغيير اسم الدولة إلى "المملكة العربية السعودية" و"تكليف مجلس وكلائنا (أي وزرائنا) الحالي بالشروع حالاً في وضع نظام أساسي للمملكة، ونظام توارث العرش، ونظام لتشكيلات الحكومة".

وهكذا، ظهرت إلى الوجود دولة جديدة بحجم أوروبا الغربية (مساحتها أكثر من مساحة أسبانيا والبرتغال وفرنسا وبريطانيا وأيرلندا وبلجيكا وهولندا وألمانيا وإيطاليا مجتمعة) تحتل المكانة الثانية عشرة بين أكبر أقطار العالم مساحة.

كانت هذه الخطوة، التي تم اتخاذها في ذلك الوقت المبكر نسبياً من تاريخ ظهور الدول العربية المستقلة، خطوة رائدة في اتجاه وحدة العرب، وأكثر محاولات التوحيد التي أعقبتها تماسكاً ودواماً، لأنها جاءت تنفيذاً لرغبة عامة، وقامت على أسس واقعية ومتينة، ولذلك أدت إلى نتائج باهرة، وكُتب لها البقاء.

وقد حققت المملكة العربية السعودية في ظل هذه الوحدة، التي ثبتت رسمياً وقانونياً في يوم ٢٢ أيلول / سبتمبر ١٩٣٢م، أكبر نسبة من التنمية حققتها أية دولة في العالم بمثل هذه المدة القياسية. وتحولت خلال نصف قرن من الزمان من بلد صحراوي فقير إلى مملكة مزدهرة، استتب فيها الأمن، وسادها الاستقرار، وارتفع مستوى المعيشة، وتضاعف الدخل الفردي. وأصبح لديها جامعات عديدة، وصحافة راقية، واقتصاد نشيط، وجيش حديث قوي، ومستشفيات عصرية، وطرق معبدة، وشبكة واسعة من الخطوط الجوية. دولة إسلامية اتخذت من القرآن الكريم دستوراً ومن تعاليمه هدى ونوراً، وواكبت في الوقت نفسه الحضارة العصرية وأصبحت لها مكانة دولية محترمة.



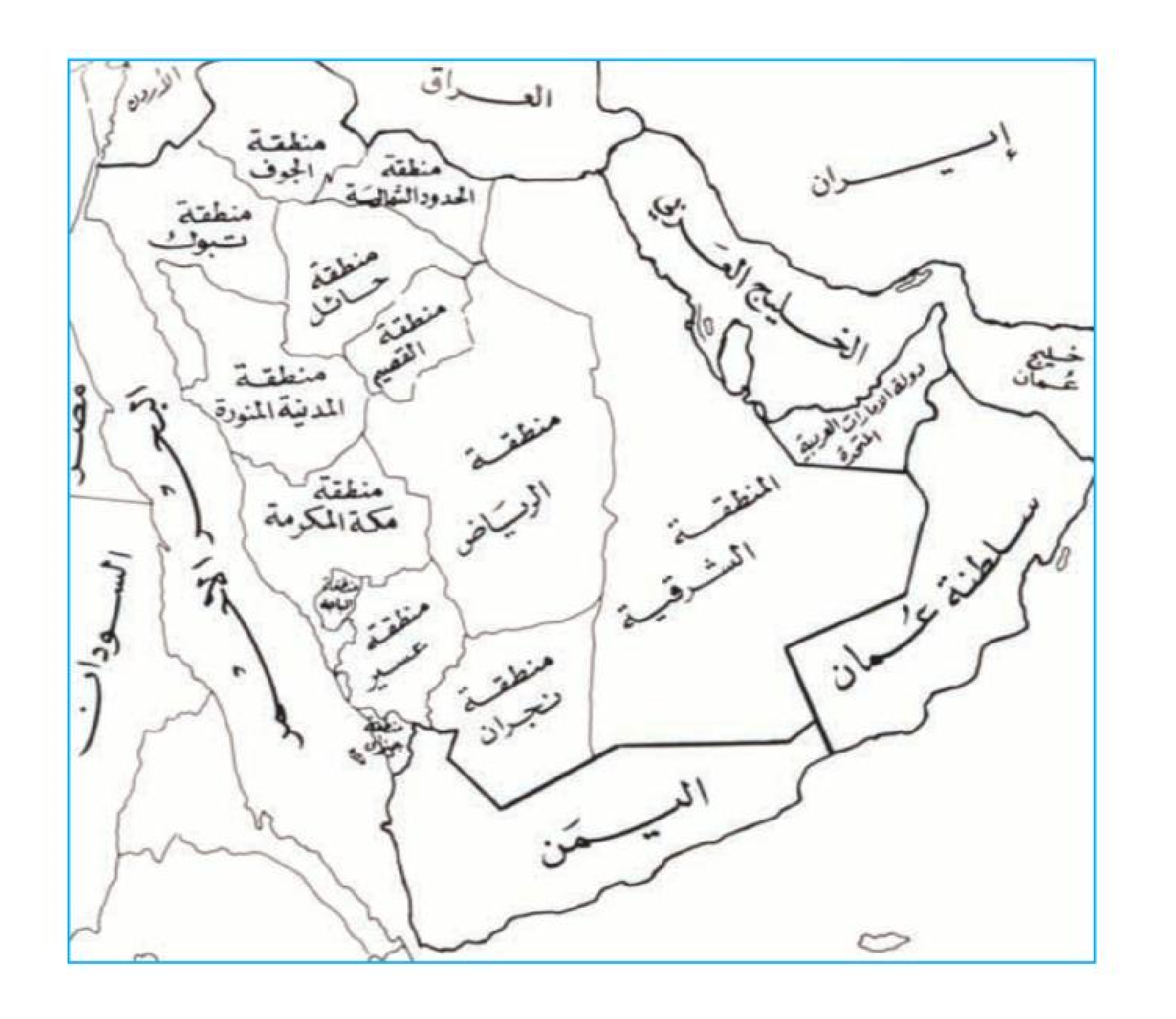
صورة تاريخية للمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه وعن يمينه الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك سعود فيما بعد) وبرفقته الشيخ إبراهيم البراهيم وعدد من الأمراء وكبار المسؤولين.



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز خلال إحدى زياراته التفقدية لإمارة الباحة، وبصحبته عدد من الأمراء وكبار المسؤولين وبدا إلى يساره الشيخ إبراهيم البراهيم.



الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في صورة تذكارية عندما كان رحمه الله أميراً للباحة.


العراق
الأردن
إيران
منطقة الجوف
منطقة الحدود الشمالية
منطقة تبوك
منطقة حائل
منطقة القصيم
منطقة المدينة المنورة
منطقة الرياض
منطقة مكة المكرمة
المنطقة الشرقية
الخليج العربي
دولة الإمارات العربية المتحدة
خليج عُمان
سلطنة عُمان
منطقة الباحة
منطقة عسير
منطقة نجران
منطقة جيزان
اليمن
البحر الأحمر
مصر
السودان

إن الرجل الـذي وضع أسس هـذا الكيان الضخم ببعد نظره، وصدق إيمـانـه، وقوة شخصيته، هـو الملـك عبد العزيز آل سعود، الـذي أصـدر "نظام توحيد المملكة" في ثماني مـواد. وجاء في المـادة الثامنة أنـه اختار "يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق لليوم الأول من الميزان، يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية" وهو يصادف ٢٢ أيلول / سبتمبر الذي اتُخذ يوماً وطنياً تحتفل به المملكة العربية السعودية في كل عام.

الوضع العالمي:

كان العالم في بداية سنة ١٩١٧م، التي ولد فيها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، لا يزال في دوامة الحرب العالمية الأولى. وفي هذه السنة لم تعد أوروبا وحدها ساحة للحرب، بل أصبح العالم بأجمعه مسرحاً لعملياتها.

ففي روسيا اضطر القيصر، إزاء الاضطرابات المدنية والعسكرية التي سادت بلاده، أن يرضخ للضغوط التي تركزت عليه، ويتنازل عن العرش. وأُسست في روسيا حكومة موقتة برئاسة جيورجي لفوف ثم كيرينسكي الذي تعهد بمواصلة الحرب. وعاد لينين من المنفى والتحق بستالين وتروتسكي. وفي تموز / يوليو نجحت حكومة كيرينسكي في القضاء على انتفاضة بلشفية، وهرب لينين مرة أخرى.

واستمرت الحرب في أوروبا الشرقية، وجاءت القشة الأخيرة في أيلول / سبتمبر ١٩١٧م، حين أصيب الجيش الروسي المرهق والمنهارة معنوياته بهزيمة منكرة في ريغا. وبذلك فُتح أمام الألمان الطريق إلى العاصمة الروسية بتروغراد. وفي أوائل تشرين الثاني / نوفمبر، قامت انتفاضة بلشفية ثانية كانت أكثر نجاحاً، فسقطت بتروغراد وأُطيح بكيرينسكي وحكومته، وأُعلنت الجمهورية في روسيا، وتم الاتفاق على هدنة منفردة مع ألمانيا والنمسا، ثم بدأت مفاوضات السلام.

وكان لهذا الحادث آثاره المهمة في الغرب، وكذلك في البلاد العربية. أما في البلاد العربية فكان أثر سقوط النظام القيصري واستيلاء البلاشفة على الحكم يعود إلى اشتراك روسيا

القيصرية في اتفاقية سرية بينها وبين بريطانيا وفرنسا بشأن مستقبل الأقطار العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، وكيفية اقتسامها بعد الحرب؛ فقد أدى استيلاء البلاشفة على الحكم إلى تغييرات كثيرة في سياسة روسيا الخارجية. وكان من المبادئ الرئيسة التي تبنتها الحكومة الجديدة في روسيا نبذ المعاهدات السرية بين الدول. وعملاً بهذا المبدأ، نشرت الحكومة البلشفية في ٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧م نصوص عدد من الاتفاقيات السرية التي كانت الحكومة القيصرية طرفاً فيها، وبينها الاتفاقية التي اشتهرت بعد ذلك باسم اتفاقية سايكس – بيكو.

وكانت الثورة العربية التي أعلنها الملك حسين في الحجاز على الدولة العثمانية في أشد مراحلها، وقد مرت عليها ستة أشهر حين اطلع على تفاصيل اتفاقية سايكس – بيكو في أحد أعداد جريدة "المستقبل"، التي كانت تصدر في باريس، وكان فيها نص الخطاب الذي ألقاه جمال باشا والي سوريا وقائد الجيش التركي الرابع، في بيروت، وبيّن فيه تفاصيل الاتفاقية، فاضطرب الملك حسين اضطراباً شديداً، وأدرك خطورة الوضع، وعلم أن حلفاءه خدعوه.

وقد حاولت الحكومة البريطانية تبرير هذه الاتفاقية اللاأخلاقية التي افتُضح أمرها، فردت على استيضاحات الملك حسين بأن "البلاشفة لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة، بل محادثات قديمة، وتفاهماً موقتاً في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء تنفيذ العمليات الحربية مع تركيا. وأن جمال، إما جهلاً منه، أو خبثاً، قد شوّه غرضها الأصلي، وحذف شروطها المتعلقة بموافقة السكان المحليين وحماية مصالحهم، وتجاهل أن ما أعقب ذلك من قيام الثورة العربية ونجاحها، وانسحاب روسيا، قد أوجد منذ مدة طويلة وضعاً مختلفاً تماماً"[1]. وبذلك حاولت الحكومة البريطانية تهدئة مخاوف الملك حسين وشكوكه.

وشهدت نهاية سنة ١٩١٧م، التي وُلِد فيها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، ضربة أخرى

---

(١) انظر: نص برقية من السير ريجنالد وينغيت، المندوب السامي البريطاني في مصر، إلى وزارة الخارجية البريطانية، نشر في كتاب **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية**، الجزء الثالث، ص٣٤٦.

وجهتها بريطانيا إلى حليفها المخلص الذي استغلت سذاجته، فسخّرته لأغراضها، وحرضته على الثورة، وكانت ضربة موجهة إلى العرب جميعاً جاءت بعد فضيحة اتفاقية سايكس - بيكو. وقد تمثلت هذه الضربة في ما عُرف بـ "تصريح بلفور"، الذي أصدرته الحكومة البريطانية في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧م، وكان أثر هذا التصريح أكبر من أثر أية وثيقة أخرى في تاريخ الشرق الأوسط الحديث. وما زال ذلك الأثر مستمراً إلى يومنا هذا، وهو رمز مجسم لخيانة الحليف لحليفه، وغدر الصديق بصديقه.

وقد دُهش الملك حسين، والعرب، مرة أخرى. وعلى جاري عادته في التعامل الصريح مع حليفته، استفهم منها عن صحة ما جاء في التصريح، ومعنى الوعد الذي تضمنه ومداه، بعد أن كانت لديه كل الأسباب التي تجعله يعتقد أن تعهدات بريطانيا بضمان استقلال البلاد العربية تشمل فلسطين أيضاً.

وسارعت الحكومة البريطانية إلى إيفاد الكوماندر هوغارث، أحد رؤساء "المكتب العربي" في القاهرة، لمقابلة الملك حسين، فعقد عدة اجتماعات معه وأبلغه رسالة من حكومته ذات أثر في تهدئة خواطره وطمأنته. وكانت تحمل تأكيداً صريحاً من الحكومة البريطانية أنها مصممة على أن لا تدع شعباً يخضع لآخر، وأن الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بقدر ما يتفق مع حرية السكان العرب، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية.

وقد أظهرت الأيام أن الحكومة البريطانية لم تكن صادقة في تأكيداتها هذه، إذ أنها لم تلتزم بتعهداتها لأصدقائها العرب.

وفي سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، رُزق الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم البراهيم في حائل بولد سماه إبراهيم، تيمناً باسم والده. وفي ذلك الوقت كانت معارك توحيد المملكة، التي بدأها الملك عبد العزيز آل سعود بفتح الرياض، لا تزال رحاها تدور وأحداثها تتوالى في المناطق التي لم تكن قد دانت بعدُ للحكم السعودي. وقد استطاع الملك عبد العزيز على مدى الست عشرة سنة التي تلت فتح الرياض، وسبقت مولد الأمير إبراهيم البراهيم، أن يخوض العديد

من المعارك، ويحرز الكثير من الانتصارات، بدءاً باسترداد مدينة الرياض، عاصمة ملك آبائه وأجداده، في سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م)، مروراً بضم مقاطعات الجنوب، الخرج والأفلاج والحوطة ووادي الدواسر سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م)، ومعارك الخرج والدلم والسلمية سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٤م)، وضم مقاطعات الشمال: الوشم وسدير المحمل سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، ثم دخول القصيم سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، ومعارك البكيرية والشنانة، وتحقيق السيطرة الكاملة على القصيم ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، وضم مناطق الأحساء وتأمين الحدود الشرقية للدولة في العام نفسه، وما ترتب على ذلك من وصول النفوذ السعودي إلى ساحل الخليج العربي.

وإذا كانت هذه السنوات الست عشرة هي مرحلة الانطلاق نحو تأسيس الدولة الكبيرة التي كان يفكر فيها الملك عبد العزيز، فإن السنوات العشر التالية – وهي التي شهدت مولد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم ونشأته، أي ١٣٣٥ – ١٣٤٥هـ (١٩١٧ – ١٩٢٧م) كانت فترة استكمال كيان المملكة العربية السعودية، وتوطيد سيادة الملك عبد العزيز على جميع مناطق المملكة. فقد شهدت هذه السنوات ضم عسير، وبذلك تم تأمين الطرف الجنوبي الغربي للدولة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢١م)، وضم حائل والجوف سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م)، وبالتالي تأمين الحدود الشمالية للدولة، ثم جاء دخول القوات السعودية إلى الطائف وسيطرتها عليها سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)، ثم دخول الملك عبد العزيز في العام التالي إلى مكة المكرمة، فدخول قواته جدة والمدينة المنورة سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م). وبذلك انتهت سلسلة المعارك الطويلة التي خاضها الملك عبد العزيز لتوحيد أجزاء المملكة في كيان واحد، لتبدأ بعدها عملية البناء والتطوير التي قادها الملك المؤسس على مختلف المستويات، فانتقل بالبلاد إلى مرحلة جديدة ينعم فيها الناس بالأمن والاستقرار.



الفصل الثاني

سنوات التكوين

سنـوات التكويـن

ولد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في حائل سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، وبدأ تعليمه على طريقة ذلك العهد في الكتاتيب، ودرس على يد الشيخ عبد العزيز بن سالم. وتُعَد هذه المرحلة بمثابة دراسته الأولية. وكان للأمير عبد العزيز آل إبراهيم ولدان فقط، هما إبراهيم وحمود، خلافاً لما هو معتاد لدى عرب نجد من كثرة الأولاد. ولكن لم يُكتب للأمير عبد العزيز أن يرى ولده الثاني حمود الذي ولد وهو بعيد في مصر، يلتمس العلاج، وتوفي فيها. ولذلك كانت عنايته بولده إبراهيم خاصة، لأن اهتمامه لم يكن موزعاً بين عدد كبير من الأولاد.

عُين والده الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم أميراً للطائف في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ ٢٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٤م)، بعد فترة قصيرة من ضم هذه المدينة إلى حكم الملك عبد العزيز آل سعود، وبذلك كان "ابن إبراهيم" – كما كان يُعرف – أول أمير للطائف في عهد الدولة السعودية الثالثة.

والطائف هي، تلك المدينة ذات التاريخ المجيد، وموطن بني ثقيف في الجاهلية، وفيها مرقد عبد الله بن عباس[١] وعدد من صحابة الرسول وشهداء المسلمين، الذين قُتلوا حين حصار الطائف وبقيت أسماؤهم علماً في التضحية بالحياة في سبيل الحق. وهي أهم مصايف الجزيرة العربية منذ أقدم العهود، وقد عُرفت ببساتينها وفاكهتها وعطورها، وحُسْن جوها، كما أنها نقطة مواصلات مهمة بين الرياض ومكة المكرمة وغامد وزهران وعسير ونجران.

بقي إبراهيم في هذه المدينة الجميلة مع والده نحو ثلاث سنوات، وفيها قضى طفولته، وفي ربوعها نشأ وترعرع، وتأثر بجمالها الطبيعي وجوها اللطيف.

---

(١) عبد الله بن عباس (٣ق. هـ – ٦٨هـ/٦١٩ – ٦٨٧م): صحابي جليل لازم الرسول ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي بن أبي طالب واقعة الجمل وواقعة صفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي فيها.

وكان مدير مدرسته في الطائف عبد الله القاضي، ومن أساتذته فيها الشيخ حسن المنصوري، مدرس القرآن الكريم، والشيخ محمد صالح، وآخرون.

وفي سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، نُقل والده وكيلاً لإمارة المدينة المنورة. وكان أميرها الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، الذي لم يمارس مهام الإمارة فعلياً، وقد رغب والده الملك عبد العزيز، تكريماً له، في إبقائه أميراً اسمياً للمدينة المنورة، وكان الأمير الفعلي هو وكيل الإمارة.

كان ابنه الشيخ إبراهيم يومذاك في العاشرة من عمره، فصحب والده إلى مقر عمله الجديد بطبيعة الحال. وهناك صار يتلقى دروسه على عالِم المدينة الشيخ التمبكتي، المدرس في المسجد النبوي الشريف. ثم أرسله والده إلى "المدرسة الناصرية" التي كانت أرقى مدارس المدينة المنورة وأشهرها، وكانت تقوم قرب المسجد النبوي الشريف بباب المجيدي، وكان مديرها الأستاذ محمود الحمصي، ومن مدرسيها محمد حسين زيدان، ومحمد صقر، وأحمد صقر، وعثمان حافظ، وآخرون.

ومن ذكريات عهد دراسته في "المدرسة الناصرية" ما حدث خلال عرض المسرحية التاريخية التي قدمها تلامذة المدرسة، وقد اختاروا رواية من تاريخ العرب هي "وفود النعمان بن المنذر إلى كسرى أنوشروان"، وهي مسرحية مدرسية مشهورة مُثلت في شتى أنحاء الوطن العربي في أوقات مختلفة. وكان المرحوم محمد حسين زيدان يقوم فيها بدور "النعمان بن المنذر"، وكان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز يتقمص دور "قابوس بن النعمان".

وكان من مشاهد الرواية أن يردَ النعمان على كسرى بطريقة حماسية، وبصوت مرتفع، مما جعل ابنه قابوس (الذي كان الأمير إبراهيم يمثّل دوره) يخاطبه قائلاً: "لا تغضب يا أبي...". وهنا صدرت عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم نكتة طريفة، إذ التفت إلى الشيخ عبد الله السليمان والشيخ حسن، وقال لهما: "..... ما هو أبوه"، فضحكا، وضحك معهما من سمع النكتة من الجالسين

---

(١) محمد حسين زيدان، "مات الكريم إبراهيم البراهيم"، مقالة في جريدة "المدينة"، العدد ٦٩٢٩، ٣٠ رجب ١٤٠٦هـ (١٠ نيسان، أبريل ١٩٨٦م).

بجوارهم[1].

وبعد "المدرسة الناصرية"، انتقل الأمير إبراهيم بن عبد العزيز إلى الدراسة في "مدرسة العلوم الشرعية"، وكانت أهم مدارس المدينة المنورة في ذلك الوقت، فواصل فيها تنمية ثقافته ودراسته ومطالعاته.

على أن أهم مدرسة تلقى فيها إبراهيم بن عبد العزيز دراسته الحقيقية، ومعارفه الواسعة، وإعداده للحياة، وخدمة بلاده، كانت صحبة والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم الذي كان مدرسة في الإدارة والحكم، ومنهلاً للحكمة وتجارب الحياة. وقد ظهرت على إبراهيم بن عبد العزيز، منذ يفاعته، أمارات الفطنة والذكاء والطموح، مع هدوء في الطبع، وتفاؤل دائم بالمستقبل وابتسامة وادعة لم تفارق ثغره. وورث عن أبيه قوة الشخصية، والتمسك بالتعاليم الدينية والمبادئ الأخلاقية، ثم تلقى منه دروساً عملية في شؤون الإدارة والحكم، والتزام الحق والعدل بين الناس.

كان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز يتابع أعمال والده في إمارة المدينة، وقد بلغ سناً تمكنه من متابعة الأحداث، وفهم الأمور، وتقدير المسؤولية، مع ثقة بالنفس أوجدتها فيه البيئة التي نشأ فيها، وعاش بينها، ومكنته منها مشاهداته ومراقبته للأحداث، وكيفية تجاوب والده معها واتخاذه القرارات بشأنها.

ولذلك كان قضاء الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز سنوات يفاعته ومطلع شبابه في المدينة المنورة قد جعلها مدينته المفضلة التي أحبها أكثر من غيرها، ووجد نفسه مشدوداً إليها دائماً.

وقد لازم إبراهيم والده خارج أوقات دوامه في المدرسة، وأخذ يساعده في بعض أعماله الخاصة التي يعهد بها إليه، كما صار يتابع بعض أعماله في الإمارة، بل صار يوقع بعض المعاملات

---

(1) الدكتور إبراهيم الزيد، "الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم: حياته ونماذج من رسائله الخطية"، مقالة في مجلة "عالم الكتب"، المجلد ١٥، العدد٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ، مايو – يونيو ١٩٩٤م، ص٣١١.

اليسيرة نيابة عنه. وقد أعد له والده مكتباً في دار الإمارة وهو في الثالثة عشرة من عمره[1].

وفي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) زار المملكة العربية السعودية الأديب العربي الكبير والسياسي المصري المعروف الدكتور محمد حسين هيكل، لأداء فريضة الحج، وزار خلال وجوده في المدينة أميرها الشيخ عبد العزيز البراهيم غير مرة، وتناول الغداء على مائدته. كما دعاه نجله الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز في إحدى الأماسي لزيارته في داره وتناول الطعام الخفيف معه. ولما عاد الدكتور هيكل من سفرته إلى الديار المقدسة، ووضع كتابه الضخم "في منزل الوحي"، الذي وصف فيه سفرته ومشاهداته وانطباعاته خلالها، تحدث عن زيارته لأمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم، ونجله إبراهيم الذي قال في وصفه:

وإبراهيم بن الأمير فتى لم يجاوز الخامسة عشرة فيما أرى، وهو وسيم الطلعة في زيه العربي، حاد النظرة من عينين سوداوين فيهما حور، ممشوق القوام، رقيق المظهر، ليس فيه من هذه الخشونة وهذا البأس اللذين يبدوان في نظرة أبيه وفي حديثه[1].

قال الأمير إبراهيم في مقابلة مع مراسل صحيفة "الجزيرة" قبل وفاته بسنتين - وهي المقابلة التي لم يسمح بنشر تفاصيلها فلم تُنشر إلا بعد وفاته - بأن مسؤوليته مع والده كانت في شؤونه الخاصة، ولم تكن مرتبطة بالعمل كثيراً. فعندما كان والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم يعمل في إمارة المدينة المنورة، كان هو صغيراً، ولكن والده كان يحاول أن يغرس فيه روح العمل والاجتهاد، خصوصاً حينما يكون في الدراسة. أما في أوقات الفراغ وفي العطلات، فكان يدربه على ممارسة الأعمال[2].

---

(١) الدكتور محمد حسين هيكل، **في منزل الوحي**، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٥١٦ - ٥١٧.

(٢) جريدة "الجزيرة"، العدد ٤٩٧٨، ٨ رمضان ١٤٠٦هـ (١٩٨٦/٥/١٧م).



الفصل الثالث

الولد سرّ أبيه

الولـد سرّ أبيـه

لم يكن الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم طارئاً على الإدارة، ولا جديداً على أجوائها وأعمالها، بل ربما كانت الإدارة جزءاً من حياته ونشأته وتراثه، منذ فتح عينيه على الدنيا، وترعرع في كنف أبيه، الذي كان من أهم رجال الإدارة في المملكة العربية السعودية، وتولى الإمارة في مناطق رئيسة مهمة، تطلب حكمها، في تلك الفترة المبكرة من تأسيس المملكة العربية السعودية، رجلاً يتمتع بثقة الملك من جهة، واحترام الناس من جهة أخرى؛ رجلاً لديه الشخصية القوية والإرادة الصلبة، والحكمة الإداريـة الضرورية التي تتطلبها تلك المرحلة لإقرار النظام، وفرض الأمن، وترسيخ أسس الدولة الجديدة.

كان اختيار الأمير إبراهيم للمناصب الإدارية المتتالية التي شغلها طيلة عمله في خدمة الدولة – وقد ناهزت خمساً وثلاثين سنة – وضعاً للرجل المناسب في المكان المناسب. ولذلك كان لابد للتعرف على شخصيته وأسلوبه في العمل، من عرض مختصر لسيرة والده، ولظروف نشأته، والبيئة التي استكمل نضجه فيها، والتعرف عن كثب على صلة الابن بأبيه، ومدى عناية الأب بابنه، وكيفية تنشئته على ما كان هو يلتزم به، من مبادئ أخلاقية وإدارية.

والواقع أن "الإمارة" كانت ضرباً من تقاليد أسرة الأمير إبراهيم وتراثها في خدمة بلادها.

فقد كان أبوه، الأمير عبد العزيز البراهيم، أميراً على عسير، فالطائف، فالمدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز.

وكان جده، إبراهيم بن عبد الرحمن البراهيم، أميراً على الأفلاج في عهد الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي.

وكان أبو جده، عبد الرحمن بن إبراهيم، أميراً لضرما، ثم بريدة، ثم الأفلاج في عهد الإمام فيصل بن تركي. أما هو، فقد تولى عدة إمارات مهمة. وهكذا كانت أربعة أجيال من الأسرة تتوالى على الإمارات المختلفة في شتى أدوار الدولة السعودية.

كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم البراهيم، والد الأمير إبراهيم، وهو المشهور في أرجاء المملكة كلها بـ "ابن إبراهيم"، من أكثر الرجال تمتعاً بثقة الملك عبد العزيز ومن أشهر أمراء المناطق في عهده. وهو ينتمي إلى أسرة فضلية، أي من قبيلة الفضول، من بني لام، من طيء.

فمن هم بنو طيء، ومن هم بنو لام، ومن هم الفضول، وأخيراً من هم البراهيم؟

قبيلة طيء من أشهر قبائل العرب نسباً، ومن أعلاها شأناً. وقد عُرفت في التاريخ العربي بالزعامة والشجاعة والكرم. ومن أشهر رجالها حاتم الطائي وزيد الخيل، اللذان ضُربت بهما الأمثال في الجود. وينتهي نسب هذه القبيلة إلى قحطان.

ومن بطون طيء المشهورة بنو لام، الذين ينتسبون إلى لام بن عمرو بن طريف، وهم قبيلة معروفة كانت لها السيطرة في شتى أنحاء شمال نجد وجنوبها ردحاً من الزمن، وامتدت ديارها إلى أطراف الشام والعراق.

أما آل فضل أو الفضول، فهم بطن من بني لام وآل كثير. وهم أبناء فضل بن ربيعة الطائي الذي ينتمي نسبه إلى قحطان، وكانوا من أبرز فروع قبيلة طيء في العصور الوسطى. وقد التقت بالفضول فروع كثيرة، مختلفة الأصول. وجاء في كتاب مسالك الأبصار أن آل الفضول هم سادات العرب ووجوهها، وقد كانت لهم الرئاسة على طيء أيام الفاطميين، ولهم عند السلاطين مكانة كبيرة.

وفي تواريخ نجد الكثير من أخبار قبيلة الفضول وعلاقاتها بالقبائل الأخرى منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر.

كان "الفضول" يسكنون مع إخوتهم آل كثير وآل مغيرة، في غوطة بني لام، غربي جبل طيء. وكانوا قبل ذلك بادية، وتحضّرت منهم أُسر كثيرة في نجد، ومنهم سكان بلدة الشعراء قرب الدوادمي، ومنهم كانوا يسكنون بلدة ملهم بالقرب من حريملاء، وأبا الكباش في الشمال الغربي لمدينة الدرعية، وحائل، والعارض، والوشم.

أما آل إبراهيم، فإنهم ينتمون إلى آل يحيى، من آل أبي رماح، من آل غزي، من الفضول، ويقيمون في الرياض، وحائل، وأبي الكباش، ورنية، والطائف[1].

وجاء في كتاب منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب عن آل إبراهيم أنهم "يسكنون في حائل والرياض والمدينة المنورة وغيرها، وبيتهم بيت كرم، وفيهم مروءة ونخوة، وشجعان في الحروب، وجدهم الشهير إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم"[2].

وقال الشيخ عبد الله بن خميس في كتابه تاريخ اليمامة:

"آل إبراهيم أسرة فضلية معروفة من أبي الكباش، في أعلى الدرعية، ومن الأسر النابهة الذكر، ظهر منها رجال عرفوا بالجود والحكمة، وفيهم أمراء كبار"[3].

وأخيراً جاء في كتاب آل إبراهيم الفضليون أن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز أفاده أن بلد آل إبراهيم هو الرياض. قال: "وقد ذكر لي أخي إبراهيم بن سعد بن إبراهيم، سفير المملكة العربية السعودية في تونس[4]، بأنه كان أحد الحاضرين في مجلس كان به والده والأمير إبراهيم بن عبد العزيز إبراهيم، ودار حديث عن بلد آل إبراهيم، فقال الأمير إبراهيم: يعتقد بعض الناس أن بلد آل إبراهيم هو "أبا الكباش"، ولكن الحقيقة كما أعرفها ويعرفها المسنون من آل إبراهيم ومن أهل الرياض أن بلدهم الأصلي هو الرياض... وعلاقتهم بـ "أبا الكباش" هي وجود مزرعة يملكها الأمير عبد الرحمن بن إبراهيم، رحمه الله كان يقضي بها بعض الوقت في "أبا الكباش"، وهي المزرعة التي عاد إليها الأمير عبد الرحمن للمرة الأولى من بريدة، ولم يتجه إلى الرياض، وتمارض هنالك احتجاجاً على إرسال ابن دغيثر لاقتحام بلدة

---

(١) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، **المنتخب في أنساب العرب**، دار الحارثي، الطائف، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

(٢) الشيخ محمد بن عثمان القاضي، **منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب**، عنيزة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ص٩٥.

(٣) الشيخ عبد الله بن خميس، **تاريخ اليمامة**، الرياض، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ج٤، ص٩٠.

(٤) كان سفيراً في تونس عند كتابة النص المقتبس، كما شغل منصب سفير **المملكة** لدى جمهورية مصر العربية.

عنيزة، وحصل خلاف بين القائدين. ولم يرغب وقتها في مقابلة الإمام والسلام عليه..."[1].

والأمير عبد العزيز آل إبراهيم هو ابن إبراهيم بن عبد الرحمن، بن إبراهيم، بن حمد، بن عبد ربه.

كان أول من تولى الإمارة من آل إبراهيم هو عبد الرحمن بن إبراهيم – جد الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم – وقد تولاها في عهد الإمام فيصل بن تركي في الدولة السعودية الثانية[2].

وكان الإمام فيصل بن تركي يختار الموظفين الأكفاء للمناصب المختلفة في الأقاليم والمقاطعات[3]، ويحرص في تعييناته هذه على أن يولي ذوي النفوذ في المناطق حكاماً عليها، مما يسهل خضوع أهلها للسلطة المركزية، وذلك لأنهم أكثر خبرة بإدارة مناطقهم وأكثر فهماً لاحتياجاتها، كما أن كلمتهم مسموعة لدى أهلها[4].

ويبدو أن أول إمارة وليها عبد الرحمن بن إبراهيم هي إمارة ضرما، ثم أرسله الإمام فيصل في سنة ١٢٦٤هـ – ١٨٤٧م على رأس سرية، وأمره أن ينزل في قصر البريمي في عمان[5].

---

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، **آل إبراهيم الفضليون**، الرياض، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ص٤٤.

(٢) الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود: كان من أمراء نجد الذين حُملوا إلى مصر أيام استيلاء جيش محمد علي على كثير من بلاد العرب. وقد فر من مصر سنة ١٢٤٢هـ – ١٨٢٥م وعاد إلى نجد، وكان أبوه في الرياض أميراً للعارض وبعض البلاد المجاورة له، فقاد جيش أبيه لاسترداد البلاد الأخرى. ولما علم بأن مشاري بن عبد الرحمن بن سعود قتل أباه (تركي بن عبد الله) واستولى على العارض، عاد بمن معه لقتال مشاري فتمكن منه وقتله سنة ١٢٤٩هـ – ١٨٣٣م، وسار سيرة حسنة واتخذ عاصمته في الرياض. وطلب إليه محمد علي باشا والي مصر إرسال عشرة آلاف جمل لمساعدة حملة مصرية على عسير فلم يفعل. فأرسل محمد علي خالد بن سعود (وكان قد نشأ بمصر) في جيش من الترك والمغاربة، فقاتل فيصل، ثم اضطر إلى ترك الرياض، ورحل إلى الخرج. وبعد معارك كثيرة اتفق فيصل مع القائد التركي لجيش خالد بن سعود على الصلح، واشترط القائد التركي أن يسافر فيصل إلى مصر، فوافق فيصل، وسُير إلى مصر سنة ١٢٥٥هـ ١٨٣٩م فأقام معتقلاً لمدة أربع سنوات، ثم فرّ للمرة الثانية وعاد إلى نجد، ودانت له الأحساء والقصيم حتى أطراف الحجاز وعسير. وفي أخريات حياته أصيب بالشلل وكف بصره وتوفي بالرياض سنة ١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م. (انظر الزركلي، **الأعلام**، الطبعة الثالثة، ج٥، ص(٣٧).

(٣) الدكتور منير العجلاني، **تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الثانية: عهد الإمام فيصل بن تركي**، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٠٩.

(٤) الدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ١٢٥٦ – ١٣٠٩هـ، الرياض، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص٩٨.

(٥) إبراهيم بن صالح بن عيسى، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر** (ذُيل به على كتاب "**عنوان المجد في تاريخ نجد**" حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ)، الرياض، (بلا تاريخ)، ص٢٥.

وفي ١٦ شعبان ١٢٧٠هـ (١٤ آيار / مايو ١٨٥٤م)، قام أهل عنيزة في القصيم بإخراج الأمير جلوي بن تركي، شقيق الإمام فيصل، وكان قد عيّنه أميراً لعنيزة، فكتب الإمام فيصل إلى جميع البلدان وأمرهم بالجهاد، وعين عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً عليهم، وأمره بالسير إلى أهل بريدة، وأرسل معه قوة من أهل الرياض وضرما والمزاحمية، فأغار عبد الرحمن بن إبراهيم على عنيزة، ثم قدم إلى بريدة، وفي سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م عيّنه الإمام فيصل أميراً على بريدة[١].

وثار أهل عنيزة على الأمير عبد الرحمن، وعتب عليه الإمام فيصل على إثرها لما نقل عنه من أقوال، فاستدعاه إلى الرياض. ولما عاد ابن إبراهيم من القصيم توجه إلى مزرعته في أبي الكباش، وأقام فيها، ثم مرض، ولما علم الإمام فيصل بن تركي بقدومه ومرضه، خرج إليه من الرياض واسترضاه، وعينه أميراً على الأفلاج.

وبقي عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً على الأفلاج حتى كبرت سنه، وتكاثرت عليه العلل، وكفّ بصره، فتولى الإمارة بعده ابنه إبراهيم، وكان ذلك في عهد الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي[٢]. وكانت ولايته في أحلك الظروف التي مرت بها البلاد في ذلك الزمن نتيجة الخلافات الشديدة بين أبناء الإمام فيصل، تلك الخلافات التي سهلت لمحمد بن عبد الله الرشيد، الطامع في حكم نجد، أن يستأثر بالسلطة فيها.

وبذلك انتهى حكم الدولة السعودية الثانية[٣]. وانتقل الأمير إبراهيم بن عبد الرحمن مع أسرته إلى حائل سنة ١٣١٥هـ، نزولاً على طلب ابن الرشيد.

وأخيراً ظهر بطل الجزيرة العربية الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ونجح في استرداد الرياض، عاصمة ملك آبائه وأجداده، سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠٢م، وقضى على حكم

---

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧١م، ج٢، ص٣٦.

(٢) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، **المنتخب في ذكر أنساب العرب**، ص٥١٧.

(٣) عبد الفتاح أبو عليه، **الدولة السعودية الثانية**، ص١٨٥.

آل رشيد فيها، بعد نضال دام أكثر من عشرين عاماً. وكان مجيئه إلى الرياض الخطوة الأولى في توحيد جزيرة العرب، وتوالت انتصارات عبد العزيز، واستمرت أكثر من ثلاثين عاماً، حتى استطاع أن يؤسس المملكة العربية السعودية ويجعل منها دولة لها مكانة عالمية مرموقة؛ دولة حققت نهضة حضارية واجتماعية وثقافية، في مدة قياسية.

بعد أن عاد عبد العزيز آل سعود إلى وطن آبائه وأجداده، بدأ يلم شعث البلاد المبعثر الذي عصفت به الأحداث، وكانت إمارة حائل أول الأجزاء المتناثرة التي فكر في ضرورة إعادتها إلى الوطن.

وشهد فتح حائل عودة آل إبراهيم إلى قلب الأحداث المهمة في الجزيرة العربية، وقد تمثل ذلك في شخص الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، والد الأمير إبراهيم[١].

فمن هو عبد العزيز بن إبراهيم؟

ولد عبد العزيز بن إبراهيم في مدينة الرياض سنة ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م، وإن كانت هنالك روايات أخرى حول تاريخ مولده، وقد ذُكر هذا التاريخ في جواز سفره الصادر عن وزارة الخارجية السعودية في ٧ ربيع الأول ١٣٦٥هـ (٨ شباط / فبراير ١٩٤٦م)[٢]، ولكن جواز السفر ليس دليلاً قاطعاً يثبت التاريخ الدقيق للولادة، وإنما يمكن في ذلك الوقت أن يدوَّن فيه أي تاريخ يقدمه طالب الجواز، دون أن يطالب بما يثبت ذلك، وخاصة إذا كان شخصية مهمة.

وعلى أي حال، إذا صح أن مولد الأمير عبد العزيز كان في سنة ١٢٩٧هـ فعلاً، فتكون ولادته قد وقعت في السنة نفسها، التي وُلد فيها الملك عبد العزيز، وتلك من مصادفات التاريخ.

والأمير عبد العزيز هو ابن إبراهيم بن عبد الرحمن، وهو الرابع بين سبعة إخوة[٣]، وقد أنجب ولدين فقط، هما إبراهيم وحمود.

(١) الدكتور عبد الله أبو راس، **عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم**، ص١٠١.
(٢) الدكتور عبد الله أبو راس، المرجع سالف الذكر، ص١١٢.
(٣) هم: (١) جبر، (٢) محمد، (٣) عبد الله، (٤) عبد العزيز، (٥) سعود، (٦) حمود، (٧) عبد الرحمن.

أما إبراهيم، فسيرته موضوع هذا الكتاب. وأما حمود، فهو الأخ الأصغر، وقد ولد في مدينة حائل سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م بعد سفر والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى القاهرة للتداوي، حيث توفي دون أن يرى ابنه الثاني، ولكنه طلب أن يسمى "حمود".

ولا نعرف الكثير عن سيرة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في أيام نشأته الأولى وعهد شبابه، ولكن اسمه ظهر خلال الحصار الطويل الذي فرضه الإمام عبد العزيز آل سعود على حائل؛ فمن داخل المدينة المحاصرة ظهر ابن إبراهيم رسولاً للسلام، وساعياً إلى حقن الدماء، وكان له دور كبير وحاسم في تحقيق ذلك.

في آخر سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠٢م كان الإمام عبد العزيز آل سعود في بريدة، ومعه قوة قوامها عشرة آلاف مقاتل. وهنالك صمم على حسم الموقف واحتلال حائل، وحدثت مناوشات عديدة، ثم دارت معركة في النيصية دُحر فيها محمد بن طلال بن رشيد والتجأ إلى حائل.

ووصل الإمام عبد العزيز إلى حائل، فضرب حصاراً عليها واستمر الحصار مدة طويلة، وشعر الجميع أن استمراره لن يعود ضرره إلا على السكان الأبرياء، وأعرب أهل حائل عن استعدادهم للتسليم والتخلي عن آل رشيد، فأرسل الإمام عبد العزيز آل سعود نفراً من رجاله اجتمعوا بكبار أهل المدينة، وكان على رأسهم إبراهيم بن سبهان وعبد العزيز بن إبراهيم.

وهنا بدأ دور عبد العزيز بن إبراهيم في تاريخ المملكة العربية السعودية؛ ذلك الدور المهم الذي اضطلع به في مناصب مختلفة حتى وفاته في القاهرة سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

فقد استقر الرأي على أن يذهب وفد من أهل حائل لمقابلة محمد بن طلال بن رشيد لإقناعه بالخروج من حائل وتسليم نفسه. فغضب ابن طلال من هذا الاقتراح ورفض الرضوخ له، وكان لعبد العزيز بن إبراهيم دور كبير في إقناعه بالاستسلام، بعدما لم تعد لديه قوة للدفاع عن نفسه.

قال ابن إبراهيم لمحمد بن طلال الغاضب: "إن عبد العزيز بن سعود يقود جيشاً أوله في حائل وآخره في عسير، والإمداد والتموين يأتيه من كل مكان، وأهل حائل محاصرون لا يجدون ما

يأكلون، وقد ملّوا الحرب، وبقاء الأمر على هذه الحال يزيد الأمور سوءاً، ولا مناص من تسليم المدينة حفاظاً على أرواح الناس".

وبعد حصار دام ٥٥ يوماً، لم يجد محمد بن طلال مناصاً من الموافقة، وقال لعبد العزيز بن إبراهيم: "أُكتب لابن سعود بما تريد من الصلح، وأنا أوافق عليه"[١]، فسأله ابن إبراهيم: ومع من تبعث الكتاب، فقال معك، ولكنه اشترط أن لا يسلم نفسه إلا لرجل من آل سعود، وطلب إلى ابن إبراهيم أن يكون هو المفاوض عنه، وسلمه خاتمه دليلاً على ذلك التفويض، وخوله التوقيع نيابة عنه فيما يرى فيه المصلحة العامة.

ومضى ابن إبراهيم إلى ابن سعود، حيث أجرى التفاوض معه باسم محمد بن طلال بن رشيد، وحصل على العفو الشامل لآل رشيد وأتباعهم، ولأهل حائل جميعاً. وبعد الاتفاق على شروط التسليم، طلب ابن سعود إلى ابن إبراهيم أن يريه ما يثبت تخويله بالتفاوض نيابة عن ابن رشيد، وما يضمن تنفيذ شروط التسليم، فأراه الخاتم، فاقتنع ابن سعود[٢]. وسلم محمد بن طلال بن الرشيد نفسه وأعيان قومه للإمام عبد العزيز في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢١م).

وكان الإمام عبد العزيز، كعادته، صادقاً في وعده، فقد عفا عن آل رشيد، وأسكنهم الرياض، ومنحهم مالاً كثيراً، واقترن بزوجة منهم، وعاملهم معاملة طيبة، بما عُرف عنه من الشهامة العربية، والعفو عند المقدرة.

لقد صنع عبد العزيز بن إبراهيم ما كان يبدو مستحيلاً، حتى استحق لقب "رسول السلام"[٣] لدوره الذي لا يُنسى في إقناع ابن رشيد بالتسليم، وإقناع عبد العزيز آل سعود بالموافقة على شروط ابن رشيد، حقناً للدماء، وإنقاذاً لحائل وأهلها من الهلاك.

---

(١) محمد سعد الشويعر، **فصول في تاريخ مدن المملكة العربية السعودية**، حائل، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.
(٢) أحمد عبد الغفور عطار، **صقر الجزيرة**، ص٦٤.
(٣) عبد الله العلي الزامل، **أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود**، ص٤٣٤.

كان ذلك الدور المهم الذي اضطلع به عبد العزيز بن إبراهيم نقطة تحول في سيرته ومستقبله ومستقبل ابنه إبراهيم.

ذلك الرجل الذي كان ممثلاً لابن رشيد، ومفاوضاً باسمه في مباحثات السلام المصيرية، وفي قضية فك الحصار عن حائل، تمكن بشخصيته القوية، وثقته بنفسه، وصدقه، وأمانته، من اكتساب ثقة خصم ابن رشيد، حتى أصبح واحداً من أبرز أعوانه خلال فترة دقيقة من تاريخ البلاد، وهي فترة توحيد المملكة وبناء كيانها.

لقد أصبحت حائل الباب الكبير الذي دخل منه ابن إبراهيم إلى ساحة العمل الوطني، وخدمة المملكة الجديدة، وأصبح جندياً مخلصاً من جنودها، وأحد عوامل ترسيخ كيانها، ورجلاً من أقرب أعوان الملك عبد العزيز إليه، ومن أكثرهم تمتعاً بثقته وتقديره لصفاته العالية. وقد أثبت ابن إبراهيم طيلة خدمته في ظل حكم الملك عبد العزيز أنه جدير بتلك الثقة، وأهل لها.

وظهر عبد العزيز بن إبراهيم على المسرح السياسي السعودي كشخصية سياسية وإدارية متميزة، وتبوأ أرفع المناصب، وأسهم في إرساء قواعد الأمن والاستقرار في البلاد. وقد أجمع عارفوه على أنه كانت لديه شخصية قوية آسرة، وقدرات نادرة في الإقناع، وحُسن التصرف، والحكم على الأمور بموضوعية وبُعد نظر، مع قدرة خاصة على اكتساب ثقة الناس.

بقي الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في الرياض بعد عودته من حائل على إثر استقلالها، وكان ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث السريعة المتلاحقة في نجد، ولم يطل به الانتظار.

كان الملك عبد العزيز، بعد احتلال عسير وهزيمة حسن بن عائض، قد عين سعد بن عفيصان أميراً على عسير، وعاد الأمير فيصل بن عبد العزيز، الذي تولى قيادة الحملة على عسير، إلى الرياض بعد أن أبقى في عسير حامية عسكرية.

وتمكن آل عائض في عسير من الحصول على معونة من الملك حسين، ملك الحجاز

آنذاك، وحاصروا ابن عفيصان في أبها، وكادت أبها تسقط في أيدي المحاصرين لولا وصول نجدة من الرياض في الوقت المناسب.

وبعد تلك الحادثة بأيام، توفي أمير عسير ابن عفيصان في رجب ١٣٤١هـ (شباط / فبراير ١٩٢٣م) فخلفه محمد بن جيفان في الإمارة بصورة مؤقتة، إلى أن قرر الملك عبد العزيز تعيين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم خلفاً له، وكتب إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة[1]، رئيس مالية أبها وملحقاتها، رسالة مؤرخة في ١٠ شوال ١٣٤١هـ (٢٦ آيار / مايو ١٩٢٣م) يبلغه فيها بقراره هذا، ويخبره بأنه مرسل إليه مع الأمير عبد العزيز بعض الهدايا، وهي رسالة مكتوبة بخط اليد، ومختومة بختم الملك عبد العزيز، ونصها كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

"من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جانب الأخ المكرم الأفخم عبد الوهاب ابن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى وأبقاه آمين. بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم، لا زلتم بخير وسرور، أحوالنا من كرم الله جميلة، بعد ذلك بلغنا خبر وفاة سعد بن عفيصان، وهذا يومه الموعود وأجله المحدود، نرجو أن الله تعالى يغفر له ويرحمه، وهذا شأن الدنيا ومصير كل حي، وعمدنا صاحبنا عبد العزيز آل إبراهيم أميراً لكم مكانه، وأوصيناه بما يلزم في جميع الأمور وخصوصاً من طرفكم أنتم، وأنتم إن شاء الله لا تدخرون مناصحته في جميع الأحوال العائدة مصلحتها للإسلام والمسلمين، نرجو أن الله يجعل به بركة، ويوفقنا وإياكم للخير، وهذه إشارة لكم، وإلا نجزم أنكم طارفتنا في هذا الطرف وأنكم أحرص منا في جميع الأحوال للإسلام والمسلمين، وباقي الأخبار في رأسه كفاية، هذا ما لزم تعريفه مع بلاغ السلام للعيال، ومن عندنا

---

(١) الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن علي بن سلطان أبو ملحة: ولد في مدينة خميس مشيط سنة ١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م ونشأ في بلاد عسير. ولما بلغ حكم الملك عبد العزيز عسير كان أبو ملحة ممن نالوا منزلة عند الملك عبد العزيز فعينه سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م رئيسا لمالية أبها وملحقاتها، وفي سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م، ضم له الملك عبد العزيز جميع ماليات المنطقة الجنوبية، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

سيدي الوالد والإخوان والعيال يسلمون ودمتم محروسين ١٠ شوال ١٣٤١هـ كذلك واصلكم مع عبد العزيز آل إبراهيم بشت ودقلة وغترة إن شاء الله ملبوس عافية".

وكانت الفوضى والقلاقل لا تزال ضاربة أطنابها في أبها، والأمن غير مستتب بها، فلما وصل ابن إبراهيم تمكن من إخمادها بحزمه وصلابة قناته، وقضى على الفتن، وأحكم السياسة في عسير، وأحسن السيرة مع السكان، وقبض على زمام الأمور، وضرب على أيدي العابثين بيد من حديد، حتى خافه البدو وأمسى اسمه لديهم كالهول، يهتزون له خوفاً. واستقامت الأحوال في المنطقة، وهدأت الفتن.

ويروي الشيخ إبراهيم بن عبيد آل محسن، أن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم كان خلال إمارته على مقاطعة عسير "حازماً، قوياً، شديد البطش بالمجرمين وقطّاع الطرق رحيماً بالضعفاء والفقراء والأيتام، ذا دهاء وحسن تصرف، ويعد من أفذاذ الرجال"[1].

وكان من دهائه أن ذهب إلى ابن عائض في معقله في الحرملة، وتفاوض معه، وبذل ما أرضاه، ثم استقدمه إلى أبها وأكرمه واتفق معه على حلً سلمي، ورحّله مع بقية أسرته إلى الرياض، حيث بقي الجميع محترمين مكرمين، وبذلك تم توحيد منطقة عسير مع ما وحّده الملك عبد العزيز من مناطق البلاد.

كانت مهمة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في عسير محدودة، وهي إنقاذ البلاد من الفتن والدسائس، وصرف اهتمام الناس إلى ما ينفعهم، فلما استقرت الأمور في عسير، واستتب الحكم السعودي فيها، طلب إلى الملك عبد العزيز إعادته إلى الرياض، بعد أن أنجز ما عهد به إليه، فوافق جلالته.

أميراً للطائف:

عاد ابن إبراهيم من عسير إلى الرياض في أوائل سنة ١٣٤٢هـ (أواخر سنة ١٩٢٣م)، بعد

---

(١) محمد آل زلفة، **عسير في عهد الملك عبد العزيز**، ص٥٨.

أن بقي فيها حوالي ستة أشهر فقط، وكان نجله إبراهيم عند ذاك في السادسة من عمره.

وبعد وصوله إلى الرياض بسنة واحدة تقريباً، دخلت القوات السعودية مدينة الطائف يوم ٧ صفر ١٣٤٣هـ (٧ أيلول / سبتمبر ١٩٢٤م)، ثم توجهت إلى مكة المكرمة بلباس الإحرام غير مقاتلة، فدخلتها يوم ١٧ ربيع الأول (١٦ تشرين الأول / أكتوبر) من العام نفسه.

وكان السلطان عبد العزيز في الرياض، ولكنه لم يشعر بالاستقرار وجنده في مكة عرضة للمفاجآت السياسية وتقلب الأحداث، فأزمع السفر إلى الحجاز واستصحب معه حامية كبيرة في ثلاثمائة هجّان من آل سعود، وآل الشيخ، وأعيان القوم. وكان بين مرافقيه عبد العزيز بن إبراهيم[1].

تحرك ركب الملك عبد العزيز في ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ (١١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢٤م) ومضى في سير وئيد. فلما وصل إلى قرن المنازل (المسمى اليوم السيل الكبير)، وهو ميقات الإحرام للقادمين من نجد، استدعى قبل خروجه منه عبد العزيز بن إبراهيم، وأمره بعدم الإحرام، وأبلغه أنه عينّه أميراً للطائف، وكان ذلك في يوم ٨ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ (٦ كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٤م). وبذلك كان ابن إبراهيم أول أمير للطائف في عهد الدولة السعودية الثالثة.

أما الملك عبد العزيز وحاشيته، فقد واصلوا السفر ودخلوا مكة المكرمة محرمين معتمرين.

وصل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى الطائف في ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية حساسة، وكانت مهمته الأولى توطيد الأمن في المدينة والطرق المؤدية إليها، وكذلك بين القبائل المحيطة بها. وكان لابد له، لإعادة الأمن والاستقرار إلى المنطقة، من إتباع سياسة

---

(١) كتب يوسف ياسين، الذي كان في حاشية الملك عبد العزيز في هذه الرحلة، وصفاً لها نُشر تباعاً في جريدة "أم القرى" سنة ١٣٤٣هـ، ثم أعادت وزارة المعارف السعودية نشره في كتيب بعنوان: **الرحلة الملكية**. وتولى الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن صالح آل الشيخ التعليق على بطن ما ورد فيه، فجاء في ٩٦ صفحة، عدا المقدمات.

الشد والحزم في معاقبة المجرمين، وخاصة اللصوص وقطّاع الطرق. وقد قاد حملات عسكرية ناجحة لإخضاع قبائل الطائف وإدخالها في طاعة الدولة السعودية، ونجح في مهمته كل النجاح، وكان جيش السلطان عبد العزيز في ذلك الوقت لا يزال يحاصر مدينة جدة.

وكان للأمير عبد العزيز بن إبراهيم هيبة في القلوب، وخصوصاً قلوب المجرمين وقطّاع الطرق. وكان موفقاً في كشف شخصيات مرتكبي الجرائم والتعرف عليهم والحصول على اعترافاتهم. وتمكن أخيراً من فرض الأمن والاستقرار في الطائف وما جاورها حتى أصبح الإنسان يرى الضالة في الطريق فلا يقربها، وإنما يبلغ عن مكان وجودها[(١)].

وكان من أعماله الشهيرة تدميره بقايا الصنم المعروف بـ "ذي الخلصة"، الذي كان وجوده يتنافى مع توحيد الله تعالى بالعبادة.

والخلصة واد في بلاد دوس، بسراة زهران، ويقال إن معبداً كان بالقرب من هذا الوادي يسمى ذا الخلصة وفيه الصنم المعروف الذي كان يدعى الكعبة اليمانية، وكان يطاف به قبل ظهور الإسلام[(٢)]. وقد تم تدمير هذا الصنم في عهد الدولة السعودية الثانية، ولكن بقي موقعه وبقايا من آثاره، ولما وصل الأمير إلى الطائف، كانت قبيلة زهران تابعة إدارياً للطائف في ذلك الوقت، فلما كان الأمير في قبيلة دوس الزهرانية، استبقى مشايخ القبائل لديه في مقر إقامته، ولم يسمح لأحد بالمغادرة لأنه علم أن القبيلة قد تقاوم هدم "ذي الخلصة"، وأمر قواته فتسلقت الجبل وهدمته ورمت بقايا أحجاره في تهامة، وأزالت كل أثر له.

أميراً للمدينة المنورة:

بقي ابن إبراهيم أميراً للطائف أكثر من ثلاث سنوات، كانت حافلة بالعمل والجهد، وقد حقق خلالها الأهداف التي كان يرمي إليها السلطان عبد العزيز من وراء تعيينه في هذا المنصب.

---

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز آل إبراهيم ونماذج من رسائله الخطية، بحث منشور في مجلة "عالم الكتب"، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ (مايو / يونيو ١٩٩٤م).

(٢) العلامة حمد الجاسر، **في سراة غامد وزهران**، الرياض، ١٣٩١هـ – ١٩٧٨م، ص٢٤٧؛ علي صالح السلوك، **المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران**، ص٩٢، ٩٣.

ورأى السلطان عبد العزيز، بعد أن انحسرت موجة الخوف وشعر أهل الطائف بالطمأنينة بعد القلق، تعيين ابن إبراهيم وكيلاً لإمارة المدينة المنورة. وكان تعيينه في العاشر من ربيع الثاني ١٣٤٦هـ (٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٧م)، وهو ثالث أمير سعودي للمدينة المنورة بعد مرور أقل من عامين على انضمامها إلى الدولة السعودية، وفي ظروف أمنية بالغة التعقيد.

كان أمير المدينة المنورة هو الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، أول أمير لها في عهد الدولة السعودية الثالثة، وهو الذي تسلم المدينة خلال حرب الحجاز.

حينما بدأت حرب الحجاز، وأصبحت جدة والمدينة المنورة محاصرتين سنة ١٩٢٥م، كان السلطان عبد العزيز آل سعود حريصاً على أن يكون دخول قواته مدينة الرسول الكريم، وثاني الحرمين الشريفين، بسلام، مثل دخولها جدة. فأرسل إليها من يدعوها إلى التسليم، ولكن حاميتها امتنعت، فأصدر أوامره بمحاصرتها. ولما اضطرت حامية المدينة المنورة إلى الاستسلام أخيراً، كان يقود جيش السلطان عبد العزيز في ظاهر المدينة فيصل بن سلطان الدويش، وهو آخر شيوخ مطير، وكانت فيه شراسة وعنجهية، وقد احتمله السلطان عبد العزيز بحلمه المعهود ودهائه، وكان شافعه شجاعته وقوة شخصيته. وحينما قرر أهل المدينة الاستسلام خافوا بطشه، فكتبوا يلتمسون من السلطان عبد العزيز إرسال أحد أبنائه ليتسلمها، فأجابهم إلى طلبهم، واختار نجله الرابع، الأمير محمد بن عبد العزيز لهذه المهمة، وكان في حدود الخامسة عشرة من عمره، ولكن مخايل النجابة والنضج المبكر كانت بادية عليه.

وفي ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ (٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٥م)، استسلمت حامية المدينة بعد أن أعطى الأمير محمد بن عبد العزيز الأمان للضباط والأهالي والجنود، ودخل المدينة في اليوم التالي على رأس القوات السعودية، وتوجه مباشرة إلى الحرم النبوي الشريف لأداء الصلاة.

وقد صدق الأمير محمد في وعده لأهل المدينة. وعلى الرغم مما يتصف به الشاب في هذه السن عادة من اندفاع وحماسة، كان الأمير اليافع كريماً مع الجنود والأهالي، إذ عامل الجميع

بالحسنى، ولم يسمح لأحد بالاعتداء على أحد. وقد احتل الأمير محمد منذ ذلك اليوم مكانة خاصة في قلب أبيه، فعيّنه أميراً للمدينة المنورة تقديراً لتصرفه الحكيم خلال تسلمه المدينة، واعترافاً بمكانة المدينة الخاصة لديه بتعيين أحد أبنائه أميراً لها.

ولكن الأمير محمد لم يمارس أعمال الإمـارة في المدينة المنورة مدة طويلة، بل آثر أن يلازم والده ويكون إلى جانبه، وترك لوكيله إبراهيم السبهان إدارة شؤون المدينة، بعد أن عادت الحياة فيها إلى حالتها الطبيعية، واتجهت الأحوال الأمنية إلى الاستقرار، وبسط الجيش السعودي سيطرته على أنحاء المدينة والمناطق المحيطة بها، وبدأت السلطة المحلية ممارسة أعمالها في رعاية مصالح السكان.

غادر الأمير محمد بن عبد العزيز المدينة في ٣ رجب ١٣٤٤هـ (١٧ كانون الثاني / يناير ١٩٢٦م)، أي بعد ستة أسابيع من استسلام المدينة، وأصبح إبراهيم السبهان يدير شؤون المدينة. ومنذ ذلك الوقت ظل كل من يتولى إمارة المدينة المنورة يسمى وكيلاً للإمارة بينما بقي الأمير محمد أميراً اسمياً أو فخرياً لها حتى سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

ولم تستمر وكالة إبراهيم السبهان لإمارة المدينة المنورة أكثر من سنة واحدة، ويبدو أنه كان للملك عبد العزيز بعض المآخذ عليه، فقرر في أول رجب ١٣٤٥هـ (٥ كانون الثاني / يناير ١٩٢٧م) تغييره، وعين مشاري بن مساعد بن جلوي خلفاً له في وكالة الإمارة. وأمضى الأمير مشاري عدة أشهر في وكالة إمارة المدينة المنورة بذل خلالها جهداً كبيراً في عمله، ولكنه أصيب بالمرض، فطلب إعفاءه من منصبه. ولما كرر مشاري طلبه استجاب له الملك عبد العزيز وأعفاه من منصبه في ٩ ربيع الأول ١٣٤٦هـ (٦ أيلول / سبتمبر ١٩٢٧م)، وقرر تعيين عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم وكيلاً لإمارة المدينة المنورة (أو أميراً فعلياً لها)، وأصدر أمره بذلك بتاريخ ١٨ صفر ١٣٤٦هـ (١٧ آب / أغسطس ١٩٢٧م)، كما عين ياسين الرواف، وكيل المملكة في دمشق، نائباً له.

وكان الأمير عبد العزيز معروفاً بالصرامة في تطبيق شريعة الله تعالى ومحاربة الباطل. وقد

سبقته سمعته إلى المدينة المنورة، ولذلك وجه الملك عبد العزيز، بما عُرف عنه من صفات رجل الدولة حكمة وبُعد نظر، رسالة إلى أهل المدينة كافة في ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٦ هـ قال لهم فيها: "... فلعلكم تسمعون بشدة عبد العزيز بن إبراهيم وتهابون منه، وهذا شيء لا حقيقة له. إن ابن إبراهيم شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق، وعرف حق نفسه، وغلبه اعتماده على الله ثم على الأحكام الشرعية...".

وفي الوقت نفسه، وجّه الملك عبد العزيز رسالة مطولة إلى ابن إبراهيم ونائبه، حدد فيها صلاحياته، كما أوصاه بمراعاة الناس وأخذهم باللين، والنظر إلى كل أمر يخالف الشرع أو يخل بالولاية أو يضر بالأهالي... وأن لا يجري قتل ولا ضرب ولا نكال إلا بحكم شرعي.

وهذه الرسالة تذكرنا برسائل عمر بن الخطاب إلى ولاته، ووصاياه لهم، وخاصة كُتبه إلى سعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص.

ومع ذلك، فلا شك أن الأمير عبد العزيز قد مارس في إدارة المدينة المنورة ما اشتهر به من شدة وحزم، وكان التسيب وفقدان الأمن يسودان المدينة المنورة بصفة خاصة قبل دخول القوات السعودية، ولذلك فإن الوضع فيها كان يتطلب اللجوء إلى الشدة. وقد أدت تلك السياسة إلى أفضل النتائج، واستتب الأمن في ربوع المدينة وما حولها، بدرجة لم يسبق لها مثيل.

مارس الأمير عبد العزيز بن إبراهيم عمله في المدينة المنورة بهمة عظيمة، وشهدت فترة نيابته لإمارتها (أو إمارته الفعلية لها) أمناً متميزاً ساد المنطقة، وأصبح الحجاج والأهالي آمنين على أنفسهم وأموالهم. ويقال إن أبواب المحال التجارية إذا تُركت مفتوحة لم يعد أحد يجرؤ على الاقتراب منها. ولذلك يُعَد عهد ابن إبراهيم من الفترات المتميزة في تاريخ المدينة.

على أن حل المشكلة الأمنية حلاً جذرياً لم يكن الإنجاز الوحيد لابن إبراهيم في المدينة المنورة؛ فقد شهدت المدينة في عهده تطوراً كبيراً في شتى المجالات الإدارية والاقتصادية.

وكان من أهم المشروعات العمرانية التي نفذها ابن إبراهيم في المدينة المنورة هو إنشاء الطريق الجديد إلى مسجد قباء، بعد أن كان مهملاً يصعب اجتيازه، مليئاً بالوحول والأشواك والعقبات. وأسهم في تنفيذ المشروع بماله الخاص، وسهّل على أهل المدينة والحجاج الوصول إليه.

ولابد من إشارة إلى تاريخ قباء ومسجدها، الذي كان أول مسجد للإسلام، لبيان أهمية المشروع الذي أصر ابن إبراهيم على تنفيذه ونجح فيه.

كان أهل يثرب قد أتعبتهم الحرب والفوضى، وخاصة بسبب النزاع بين الأوس والخزرج. وفي موسم الحج الذي وافق عام ٦٢٢م، أخبر نفر من أهل يثرب الرسول صلى الله عليه وسلم دخول جماعة من يثرب في الإسلام. فسرّه ذلك وحمد الله عليه، واجتمع بهم في مكان بالعقبة، وتوافد أهل يثرب وبايعوه وتعهدوا بالدفاع عنه ونشر دعوته. وتُعرف هذه البيعة باسم "بيعة العقبة الثانية".

ولما انكشف أمر البيعة وذاع خبرها، اضطربت قريش وخافت، وعلى إثرها بدأ المسلمون يفكرون في الهجرة إلى يثرب، وشرعوا في مغادرة مكة سراً.

وانتظر الرسول ﷺ مكة حتى أتاه الخبر من أصحابه المهاجرين بأن أهل المدينة مؤمنون صادقون في عهدهم، ومستعدون للدفاع عنه إذا قَدِمها، فقرر الهجرة، وأخذ أبو بكر الصديق يعدّ العدة للرحيل. وخرج الرسول من داره ليلاً وترك في فراشه عليّاً، وذهب إلى دار أبي بكر، وخرج الاثنان إلى جبل ثور، ودخلا إلى الغار في سفحه، وأقاما فيه ثلاثة أيام. وفي مكة، كان فتيان قريش ينتظرون خروج الرسول من داره، ولما أصبح الصباح وجدوا أنهم كانوا يحرسون علي بن أبي طالب لا محمد بن عبد الله. فهاجت قريش وأرسلت الرسل في طلبه من جميع الجهات، وجعلت لمن يأتيها به حياً أو ميتاً مائة ناقة، وباءت بالفشل جهودهم جميعاً.

أقام رسول الله وصاحبه بالغار ثلاثة أيام حتى هدأ سعي قريش في طلبهم، فجاءهما دليلهما براحلتين فركباهما، وسلك بهما إلى الساحل حتى عارض الطريق، أسفل من عسفان،

وهبط بهما بطن ريم، ثم قَدِم بهما قباء على بُعد فرسخين من المدينة.

وكان قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قباء يوم الاثنين، في ٨ ربيع الأول (الذي يوافق في أرجح التقديرات (٢ أيلول / سبتمبر ٦٢٢ م)، فبقي فيها أربعة أيام، وفي هذه الأيام الأربعة أسس مسجدها، وهو أول مسجد في الإسلام، ثم خرج منها يريد المدينة، فلما اقترب منها هرع أهلها لاستقباله نساءً ورجالاً وصبياناً وهم يتحرقون شوقاً لمشاهدته، وأقبل عليه مسلمو يثرب وهم ينشدون:

طلع البدر علينا — من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع

ونظراً لما يتمتع به مسجد قباء من مكانة خاصة في تاريخ دعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كان حجاج بيت الله الحرام وزوّار المدينة المنورة يحرصون على زيارة ذلك المسجد التاريخي المبارك، ولكن الطريق إليه أصبحت بمرور الزمن وتعاقب القرون وعرة، وشكّل الوصول إلى مسجد قباء مشقة عظيمة على الحجاج الراغبين في زيارته من شيوخ كبار ومرضى وأطفال.

ولذلك عُني الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بفتح طريق ممهد مستقيم بين قباء والمدينة المنورة، وكان الطريق الموجود سابقاً ملتوياً متعرجاً، فاشترى جميع الأراضي التي تقع بين المدينة المنورة وقباء من ماله الخاص لوجه الله تعالى، (وهي ١٦ قطعة من الأراضي)، وأزال منها العقبات، وافتتح الطريق الممهد المستقيم الذي أراح المواطنين والحجاج في الوصول إلى مسجد قباء وبدون عناء، واختصر لهم نصف المسافة التي كانوا يقطعونها للوصول إليه

سابقاً.

ثم قام ابن إبراهيم بتحسين منطقة المسجد، تلك المنطقة التي نزل بها الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام عند وصولهم إلى طلائع طيبة أثناء هجرته إليها.

وفي عهد الأمير ابن إبراهيم أيضاً، نشطت الحركة التجارية في أسواق المدينة بصورة ملحوظة، ما يعكس الأمن الذي نَعِم به الناس.

وفي عهده تطورت وسائل المواصلات وحركة نقل الزائرين، وتحسنت مرافق البريد وغيرها من الخدمات العامة التي سهلت أمور المواطنين. وبدأت شركة الكهرباء عملها اعتباراً من سنة ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م في توسيع شبكتها بعد أن كانت مقتصرة على الحرم النبوي وساحته، فمدت أسلاكها إلى الشوارع الرئيسة، والمخازن، وبعض البيوت.

وفي عهده أيضاً انتظم السفر بين المدينة المنورة ومكة المكرمة بالسيارات نظراً لتوافر الطرق الممهدة، وارتفع عدد الوافدين إلى المدينة.

كما خطا التعليم في المدينة المنورة خطوات واسعة، فأنشئت مدارس عديدة، فضلاً عن حلقات الدراسة في المسجد النبوي. واختير ثلاثة من أبناء المدينة ضمن أول بعثة علمية توفدها الدولة إلى مصر[1].

أما في المجال الثقافي، فقد نشطت الحركة الثقافية في المدينة، وتكونت الجماعات الأدبية، وصدرت جريدة "المدينة المنورة" لصاحبيها علي حافظ وعثمان حافظ، واستقدما لها مطبعة خاصة من مصر. وقد خطت هذه الجريدة بالصحافة السعودية في عهودها المبكرة خطوات كبيرة إلى الأمام.

ومن مزايا الأمير عبد العزيز وصفاته التي ورثها عنه نجله الأمير إبراهيم فيما ورثه، حبه للأدب، وتشجيعه للأدباء والمثقفين الذي وجّه كبير الاهتمام بتقديم الحركة الثقافية والأدبية. ويروى أن مجلسه كان يتحول في المساء إلى ما يشبه الندوة الثقافية تدور فيها أحاديث الأدب

(١) الدكتور عبد الله أبو راس، **عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم**، الرياض، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص٣٢٢.

وقصص التاريخ والذكريات والمأثورات الشعبية. وكان من دأبه في جميع مجالسه، تكريم العلماء وتقريب الأدباء واحترامهم. وفي عهده صدرت في المدينة مجلة "المنهل" التي أسسها عبد القدوس الأنصاري، وكانت أول مجلة أدبية تصدر في المملكة وعرَّفت بكثير من الأدباء، وخدمت الأدب خدمة صادقة طويلة.

وقد وصفه المستشرق الإنكليزي فيلبي، الذي كان يتردد على مجلسه، قائلاً:

"كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم رجلاً وقوراً، ضخم الجثة، مهيب الطلعة، ذا لحية بيضاء طويلة، ويرتدي ثوباً أبيض وعباءة، وتتوج رأسه كوفية وعقال، وهو شيخ في منظره، فتى في نشاطه، قوي في إرادته وأحكامه، مهيب في مجلسه، حليم في تصرفاته"[١].

وقد زار المملكة العربية السعودية الدكتور محمد حسين هيكل حاجاً وزائراً سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م. وخلال وجوده في المدينة المنورة، زار الأمير عبد العزيز بن إبراهيم غير مرة في ديوان الحكم وفي داره، وتناول طعام الغداء على مائدته، فلما أصدر كتابه المعروف في منزل الوحي، وصف زيارته للأمير عبد العزيز آل إبراهيم قائلاً:

"زرت الأمير عبد العزيز بن إبراهيم غير مرة. زرته في ديوان الحكم، وزرته في داره، وتناولت طعام الغداء على مائدته، وشاركته في طعام خفيف آخر الأمسية دعاني إليه ابنه إبراهيم... وأنت لا ترى على باب الوزير من مظاهر البأس العسكري المتبجح ما تراه على باب مأمور المركز... ففي المجلس جند من النجديين علّمهم الأمير الحرص على أن يظهروا للناس بأسه..."[٢].

وعلى الرغم مما اشتهر به الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم من الشدة، إلى درجة

---

(١) نقلاً عن عبد العزيز الأحيدب، **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز**، ص٦٥.
(٢) الدكتور محمد حسين هيكل، **في منزل الوحي**، ص٥١٧.

بعثت الرعب في نفوس الذين كانوا يعبثون بأموال الناس وأرواحهم في السابق، وعلى الرغم من أن اسم ابن إبراهيم أصبح اسماً ترتعد له فرائض كل من تسول لهم أنفسهم الاعتداء على الناس في السابق، فقد كانت له، إلى جانب ذلك، مواقف إنسانية كثيرة تدل على التسامح وحب الخير، منها مثلاً موقفه من آل رشيد أثناء حصار الملك عبد العزيز لحائل، وتمسكه في مفاوضاته مع الملك عبد العزيز، نيابة عنهم، بضمان سلامتهم والتأكيد على خروجهم من حائل سالمين ومحترمين.

وتكرر الموقف نفسه مع آل عائض في أحداث أبها، حين نجح في إنهاء الموقف المتأزم دون إراقة قطرة من دمائهم.

كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم رجلاً شجاعاً، وشديداً في الحق، ولكنه كان يتصف بالوفاء لكل من أسدى إليه صنيعاً، أو عرف عنه موقفاً شريفاً، وهذه الصفات ورثها نجله الأمير إبراهيم وتجلت في أعماله وقراراته حين تولى الإمارات بعد ذلك، ويظهر في أسلوبه مدى تأثره بمبادئ والده الأخلاقية وتمسكه بها.

وهكذا كان يكتنف حياة الأمير عبد العزيز أمران: الحزم والشدة في الحكم، وبخاصة على المفسدين والمجرمين، والكرم والنبل، وبخاصة حيال النبلاء ذوي الأخلاق الفاضلة من الرجال المثقفين الطيبين[1].

ومن المواقف التي تدل على نبل الأمير عبد العزيز ووفائه، ما يروى من أنه عُرضت عليه معاملة خاصة بسجن أحد أعيان المدينة المنورة، وهو الشيخ علي برادة.

سأل الأمير عبد العزيز: "علي برادة؟ هو ولد من؟".

فقيل له: "ولد عباس برادة".

فقال: "ولد عباس برادة وأنا أسجنه؟ لا... لا... عباس برادة يوم ربطني الأتراك وسجنوني

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، **أقباس من سيرة الإمام الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم (الحلقة الرابعة)**، جريدة "المدينة"، العدد ٥٧٥١، ٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ – ٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٢م.

ما فكّني إلا عباس برادة".

ولم يكن الأمير الحازم، المتشدد في تنفيذ القانون الصارم في محاسبة المسيء، ليحيد عن الحق أو يحابي أحداً بسبب شخصي، ولكنه تمكن من تسوية الأمر بالتي هي أحسن، وأطلق سراح ابن برادة من السجن في موقف كان آية في الوفاء وعرفاناً بالجميل. ولعل الرجل نفسه لم يكن

• • •

يعلم بصنيع أبيه للأمير عبد العزيز.

أمضى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم قرابة عشر سنوات في إمارة المدينة المنورة، وعُرف، ليس في المدينة وحدها، بل في المملكة العربية السعودية من أقصاها إلى أقصاها، بحرصه على تتبع قضايا الإمارة واستتباب الأمن في داخل المدينة وأطرافها، حتى ذاع صيته، وتناقل الناس أخبار عزمه وتفانيه في محاربة الإجرام وتوطيد الأمن، ولم يكن يشبه في سمعته وهيبته وعدله وخوف المجرمين والخارجين على القانون من بطشه، سوى الأمير عبد الله بن جلوي، الذي كان من شجعان آل سعود، وأحد الذين صحبوا الملك عبد العزيز في حملته التاريخية لاسترداد الرياض، وكان له دور مهم فيها، ثم ولاه الملك عبد العزيز إمارة الأحساء، فأصبح في عدله وحزمه أسطورة، فقد أخذ المشاغبين بالشدة وتصدى للغزاة وقطّاع الطرق بضراوة حتى استتب الأمن كلياً في منطقته.

ولكن العمل الدؤوب المرهق لم يلبث أن أثّر في صحة ابن إبراهيم، فدهمه المرض، وربما كانت هنالك أسباب أخرى أدت إلى مرضه؛ فقد كان يشكو من مرض في الكبد وكيس المرارة، وأمراض أخرى، ووجد نفسه بحاجة إلى الراحة والعلاج، فلم يرغب في أن يبعث إلى الملك عبد العزيز باستقالته بالبريد أو عن طريق القنوات الرسمية، وإنما أرسل ابنه إبراهيم بن عبد العزيز حاملاً كتاباً إلى الملك عبد العزيز إمعاناً في الاحترام، يطلب فيه إعفاءه من وكالة إمارة المدينة المنورة.

ولما اطّلع الملك عبد العزيز على الكتاب، أجابه بكتاب أبدى فيه أن ذلك يكدر خاطره، ولكن طالما في الأمر مضرّة له وتكليف عليه "فراحتكم ألزم علينا من كل شيء، والذي فيه

مشقة ما نقبله لولا أنكم كررتم علينا وألححتم بطلب الاستقالة ما كان وافقنا، نرجو من الله أن يعافيك ويديم وجودك".

وافق الملك عبد العزيز على استقالة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من إمارة المدينة المنورة وعيَّن عبد الله السديري خلفاً له، وأقيم في المدينة المنورة احتفال تلا فيه أمين العاصمة خطاباً من الملك عبد العزيز جاء فيه:

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى كافة إخواننا أهل المدينة المنورة وأطرافها:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإن عبد العزيز بن إبراهيم قد طلب منا عدة مرات إقالته بسبب توعك صحته ولم نقبل إقالته، ولكن لمَّا رأيناه ملحاً في طلبه وأنه معذور، أجبناه إليه. والحقيقة أننا نأسف على ذلك نظراً لما نعلمه من نصحه لحكومته واجتهاده".

وكان الأمير الحازم، الذي يهابه الناس، طيلة المدة التي شغل فيها أهم المناصب، في حياته الخاصة، زاهداً في أغراضها، بعيداً عن الأبهة والرفاهية. وكان يقيم في بيت من أصغر بيوت المدينة على مقربة من ديوان الحكومة، ثم أقام في مكة في بيت خاص له، وقد عمل في المدينة زهاء عشر سنوات أشبه بحاكم مطلق الصلاحيات، وخرج منها وهو لا يكاد يملك شيئاً.

وكان الأمير عبد العزيز رجلاً من ذوي الوجاهة والشهامة والوقار، ومن الذين لا يضحكون ولا يهزلون ولا يتهاونون ولا يعرفون من الحياة إلا جدها ومجدها.

ولم يرغب الملك عبد العزيز في أن يبقى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في المدينة المنورة بانتظار التحاق خلفه عبد الله السديري، وقد ظهر فيما بعد أنه يرغب في قدومه إلى مكة عاجلاً ليعهد إليه بمنصب آخر. فكتب إليه رسالة مؤرخة في ١٠ صفر ١٣٥٥هـ (٢ آيار / مايو ١٩٣٦م)، ندون نصها أدناه لأنها فيما نعلم لم تُنشر سابقاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

عدد ٢٣/١/١٠٣

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم عبد العزيز بن إبراهيم. سلمه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بعد ذلك أرسلنا عباس قطان وابن سلطان لأجل يجري الدور والتسليم بينك وبين عباس نيابة عن عبد الله السديري لأجل نحب أنك تتوجه قبل وصوله فأنت إن شاء الله تجري الدور والتسليم بينك وبين عباس على الأصول وتحرص على كل ما هو راجع للحكومة من دقيق الأمور وجليلها. وكل ذلك يكتب في أوراق ثلاث صور، صورة تصير معك وصورة يأخذها عباس ويسلمها للسديري وصورة يحضرها عباس لنا معه، وتحرص على ذلك وإذا أجريتو الدور والتسليم فالكتاب والخدام يبقون في المدينة حتى وصول السديري لأجل الذي يرى له منهم لزوم يبقيهم عنده، وأنت بعد ذلك توكل على الله وتوجه إلينا في مكة يكون معلوم والسلام.

في ١٠ صفر ١٣٥٥هـ (٢ آيار / مايو ١٩٣٦م).



ولم تمض على قبول استقالة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم مدة طويلة حتى أصدر الملك عبد العزيز في ٢٣ صفر ١٣٥٥هـ (١٥ آيار / مايو ١٩٣٦م) قراراً بتعيينه عضواً في "مجلس الوكلاء"، الذي كان مقره في العاصمة المقدسة مكة المكرمة، وكان يرأسه الأمير فيصل بن عبد العزيز، الذي كان نائباً للملك في الحجاز (الملك فيصل فيما بعد).

كان مجلس الوكلاء[1] قد أنشيء في عهد الملك عبد العزيز بالأمر الملكي الصادر في ٢٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩٣١م، وهو بمثابة مجلس الوزراء، وكان يتكون من الرئيس (الأمير فيصل بن عبد العزيز) ومن وكلاء (وزارة) الخارجية والمالية ووزير المجلس الاستشاري. وقد نصت المادة الثالثة من هذا الأمر الملكي على أن رئيس المجلس – بجانب سلطاته كنائب للملك – يتولى وزارات الداخلية والخارجية والحربية[2].

وكان الملك يحيل إلى مجلس الوكلاء كثيراً من الأعمال المهمة لدراستها واتخاذ قراراته فيها، قبل عرضها عليه لاستحصال موافقته.

ولا شك في أن أعمال مجلس الوكلاء كانت أقل عبئاً وأهون من أعباء إمارة مهمة كالمدينة المنورة، ومع ذلك فقد اشتد المرض على الأمير عبد العزيز، وقرر السفر إلى مصر للمعالجة، واستصحب معه نجله الشيخ إبراهيم لمرافقته.

وفي مصر، عُنيت القنصلية السعودية برعاية الأمير عبد العزيز وخدمته.

وقد أمر الملك عبد العزيز باستئجار دار لإقامته، فاستأجرت داراً جميلة فخمة، ذات أثاث

---

(١) وهنا تقتضي كلمتا "الوكيل" و"الوكلاء" شيئاً من الإيضاح:
كان الوزير في الدولة العثمانية يسمى "ناظراً" ثم أبدلت هذه التسمية في أواخر عهدها وصار الوزير يسمى "وكيلاً" – بمعنى أنه وكيل عن الشعب في إدارة مصالحه. وكان مجلس الوزراء "مجلس الوكلاء"، ورئيس الوزراء يسمى "باش وكيل"، وقد انتقلت هذه التسمية إلى الحجاز في عهد الملك حسين، وصار الوزراء يسمون "وكلاء"، وبقيت هذه التسمية في العهد السعودي أيضاً.
وكانت كلمة "وكيل" تستعمل في مصر بمعنى آخر، وهو "النائب" أو "المساعد" أو الشخص الثاني في أية مؤسسة أو إدارة، فكان يقول "وكيل وزارة" و"وكيل المحافظ" و"وكيل العميد" إلخ. وقد انتقلت هذه التسمية إلى بعض الأقطار العربية الأخرى في وقت تال، وبهذا المعنى استعمل مصطلح "وكيل الإمارة". وهكذا كان لتعبير "وكيل" معنيان، أحدهما وزير، والآخر معاون أو نائب.
أما في العراق وسوريا فتطلق صفة "وكيل" على الشخص الذي يشغل منصباً بصفة مؤقتة وليس بصفة دائمة وأساسية، وذلك إما لأن المنصب شاغر وإما لأن درجة الشخص الذي يشغله لا تؤهله لشغل ذلك المنصب بصفة أصلية. فإذا غاب وزير الداخلية عن البلاد أو استقال، وعهد إلى وزير آخر بالقيام بأعماله مؤقتاً، إضافة إلى وزارته الأصلية، إلى حين عودة الوزير الغائب أو تعيين وزير أصيل، سمي ذلك الوزير وكيلاً "لوزير" الداخلية (وليس وكيلاً لوزارة الداخلية).

(٢) رابح لطفي جمعة، **حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز**، الرياض، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص١٢٧.

فاخر، فبقي فيها يرافقه نجله الوفي إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره في رجب ١٣٦٥هـ (حزيران / يونيو ١٩٤٦م).

ولما بلغ خبر وفاته أسماع الملك عبد العزيز أرسل إلى نجله الشيخ إبراهيم في القاهرة البرقية الآتية:

من الملك عبد العزيز

إلى إبراهيم بن إبراهيم

بواسطة نجدية القاهرة

تاريخ وصولها إلى القاهرة ٢٧ رجب ١٣٦٥هـ

٢٧ يونية ١٩٤٦م

تأثرنا لوفاة والدكم نسأل الله أن يغفر له ويرحمه ونحن إن شاء الله عوضكم فيه.

عبد العزيز

كما أرسل إليه ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز البرقية الآتية:

إبراهيم بن إبراهيم

نجدية – مصر

من طرف والدكم فنرجو أن يغفر له ويرحمه ويحسن عزاء الجميع فيه.

سعود

وأبرق الأمير فيصل بن عبد العزيز، نائب الملك في الحجاز آنذاك قائلاً:

إبراهيم بن إبراهيم

بواسطة نجدية – مصر

كدرنا ذلك، ربنا يغفر له ويرحمه وعظم الله أجركم.

فيصل



الفصل الرابع

الإمـارة الأولـى
القنفذة

الإمــارة الأولـــى
القنفذة

كانت القنفذة أول إمارة تولاها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم. وقد عين في هذا المنصب في عهد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، بالأمر الملكي الصادر بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٣٧١هـ (٢٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٥١م) وهو في الرابعة والثلاثين من عمره.

لم يكن الأمير إبراهيم من جيل الملك عبد العزيز، ولكن والده كان من أقرب رجاله إليه، ومن أكثرهم تمتعاً بثقته. وقد اضطلع حتى ذلك الوقت بإمارة مناطق عدة، وكان من أقدر رجال الإدارة في المملكة، ولذلك لم تكن الإدارة والإمـارة جديدتين على الأمير إبراهيم ولا غريبتين عليه. فقد نشأ في كنف ذلك الوالد المحنك الذي كان مدرسة في الإدارة والحكم، وحفلت حياته بذخيرة من التجارب قلّما أتيحت لغيره. وكان الأمير الشاب يتابع أعمال والده وسيرته، ويتدرب على يده، وكان منذ يفاعته فتى تلوح عليه علائم الفطنة والذكاء والطموح المتزن، وقد بلغ من النضح مستوى مرموقاً يؤهله أن يتولى في الدولة أعمالاً ذات مسؤولية لخدمة بلاده ومليكه ودينه[1]، حتى أن والده أعدّ له مكتباً في الإمارة وهو في الثالثة عشرة من عمره، ليطلّع فيه على سير الأمور في الإمارة، ويتدرب عليها، بل إنه كان يَعهد إليه بتوقيع بعض المعاملات اليسيرة[2]. ومن هنا كانت مرافقته لوالده، لا في البيت فقط، بل في عمله الرسمي أيضاً، دراسة قيمة وتجربة كبيرة.

وقد سبق للأمير إبراهيم أيضاً، إضافة إلى مرافقته الطويلة لوالده، أن عمل مدة من الزمن مع الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيصل فيما بعد) عندما كان نائباً للملك في الحجاز. ولذلك تكوّنت لديه فكرة جيدة وواضحة عن أسلوب الإدارة وفن الحكم، واطّلع على كيفية

(١) علي حافظ، **أربعة أيام في منطقة الباحة**، جدة، ١٤٠٥هـ – (١٩٨٤/١٩٨٥م)، ص١٣ - ١٥.
(٢) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، مقالة في مجلة "عالم الكتب"، المجلد ١٥، العدد ٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ / مايو – يونيو ١٩٩٤م، ص٣١١.

معالجة مشاكل المواطنين، وفرض الأمن والنظام، والتعامل مع الناس، وتحسين أحوالهم ضمن الإمكانات المتوافرة.

ولذلك، حين تولى الأمير إبراهيم أول مناصبه الرسمية، لم يكن غريباً عن جوّ العمل الذي بدأه، وكان كبير الثقة بنفسه، وقد تصرف منذ يومه الأول وكأنه موظف قديم، ذو خبرة ودراية في الحكم، مع كثير من همة الشباب ونشاطه. وكانت تلك فاتحة خدمة وطنية طويلة امتدت أربعة وثلاثين عاماً، وانتهت بخاتمة أليمة لم تكن في الحسبان.

نبذة عن القنفذة:

تقع محافظة القنفذة في جنوب منطقة مكة المكرمة، وهي إحدى محافظاتها الإحدى عشرة[1]، وقد صنفت بين المحافظات بفئة "أ" بالأمر الملكي الذي صرّح به الأمير نايف بن عبد العزيز، وزير الداخلية، لوكالة الأنباء السعودية ونشرته الصحف السعودية.

أما المقر الرئيس للمحافظة، فهو مدينة القنفذة التي تعد من الموانئ المهمة على شاطئ البحر الأحمر في الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية، وتبعد عن مكة المكرمة جنوباً ثلاثمائة وأربعين كيلومتراً، وتبعد عن جدة، بالاتجاه نفسه، ثلاثمائة وسبعين كيلومتراً عبر الطريق البري الذي يربطها كذلك بجيزان وسائر مدن المملكة.

وتعدُّ مدينة القنفذة في العصر الحاضر من الموانئ السعودية المهمة عبر ساحل البحر الأحمر، وتمتاز بمواقعها السياحية الجميلة التي تتمثل في شواطئها وأوديتها وجبالها.

وقد هيأ لها موقعها جنوبي مكة وجدة، وكونها حاضرة للمنطقة السهلية والجبلية القريبة منها، وما يتوافر فيها من إمكانات مادية وبشرية، أن يتخذها بعض ولاة مكة مصدراً للموارد البشرية والمادية، وقاعدة انطلاق حربي في حملاتهم وصراعاتهم الداخلية على السلطة من أجل تولي إمارة مكة، كما اتخذها بعضهم قاعدة لحكم المنطقة، ونقطة تحكّم فيما يرد إلى الحجاز بشكل عام من صادرات اليمن. وكان قطع واردات اليمن إلى الحجاز، يُتخذ في بعض الأحيان

(١) المحافظات الأخرى هي: جدة، الطائف، الليث، رابغ، الجموم، خليص، الكامل، الخرمة، رنية، تربة.

وسيلة من وسائل الحرب والصراع. كما أن القنفذة اتُخذت في بعض المناسبات ملجأ أو منفى لبعض المناوئين للحكم لإبعادهم عن الحجاز. ولذلك تعرضت لكثير من المحن والمتاعب على مدى الحقب التاريخية المختلفة.

وقد عاشت القنفذة حياة تجارية وحضارية غنية خلال القرون الخمسة الماضية، وكان لها دور مهم في الحياة العامة في تهامة والحجاز، بل كانت، بحكم موقعها الجغرافي، باباً بحرياً للمنطقة التهامية والسروية، والنافذة البحرية الكبيرة لهذه المنطقة عموماً، إذ تستقبل البلاد ما تحمله السفن الشراعية التجارية من البضائع والأموال المستوردة من سائر موانئ الجزيرة الأخرى إلى مينائها، ومن ساحل أفريقيا الشمالية. كما كانت البلاد تصدر عن طريقها أيضاً، صادراتها المتنوعة من الحبوب والمنتجات الحيوانية وغيرها.

ويبدو أن القنفذة قد نعمت بشيء من التقدم العمراني والازدهار في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، حين اتخذها والي مصر محمد علي باشا قاعدة لأعماله في حملته على عسير. وقد أرسل محمد علي حملة إلى ميناء القنفذة فاحتلتها، وأمر بتحصينها توطئة للزحف على داخل البلاد، ولكن أهل المنطقة قطعوا الماء عن الحامية، ولم ير قائدها وسيلة لإنقاذها من الظمأ سوى إخلاء المدينة والرجوع إلى جدة، وبذلك فشلت الحملة على القنفذة[1].

ولم تزل القنفذة في فترات من القرن التاسع عشر ميداناً للمعارك والحملات الحربية التي اتجهت منها إلى مكة، وهدفاً لبعض الغارات التي كانت تشنها عليها القوى المتصارعة في الحجاز وتهامة. وكانت الحركة التجارية فيها أكثر من الحركة في جيزان أو أي مكان آخر، لأن الأتراك كانوا ينزلون عساكرهم إلى عسير من ميناء القنفذة، الذي كان ثغراً مزدهراً.

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (الميلاديين)، كانت القنفذة لا تزال ميدان تطاحن حربي بين القوى المتصارعة، المحلية منها والخارجية، كالحروب العثمانية ضد

(١) عبد الرحمن الرافعي، **عصر محمد علي**، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٣٣.

الحملات العسكرية الإيطالية، ولا تزال السفن الحربية العثمانية التي قصفتها مدافع البوارج الإيطالية غارقة في مياه شاطئ البحر بجوار مدينة القنفذة منذ سنة ١٩٠٩م.

وبقيت القنفذة قاعدة لحملات العثمانيين وحلفائهم من أشراف مكة في حروبهم وغزواتهم لتهامة وعسير. وقد تضمنت مذكرات القائد التركي سليمان شفيق كمالي عن أيام حكمه في المنطقة، الكثير من المعلومات التي تصور الدور الخطير الذي كان لموقع القنفذة في العمليات الحربية والحياة السياسية في تلك المنطقة.

وانعكس نشاط القنفذة التجاري، بحكم كونها ميناء مهماً، على حياتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، ولذلك لم يكن نصيبها من الحضارة أقل من حظ مثيلاتها في الشمال والجنوب، ولكن انتشار وسائل النقل البري كان له أثر كبير في تقليص تجارتها، بعد أن قل الاعتماد على مينائها. وخفتت فيها جذوة النشاط الاقتصادي شيئاً فشيئاً، ولكن دماء الحياة فيها لم تتوقف نهائياً بسبب الخدمات الحكومية، وبفضل موروثها من أعمال البيع والشراء، وصيد الأسماك، وصناعة القوارب، وما شابه ذلك من الأعمال التي كانت من تقاليد هذا الثغر المهم وتراثه.

وكانت القنفذة تعتمد على التجارة وحدها، ثم أصبحت تعتمد على الزراعة أيضاً، لأنها بلد زراعي خصيب. وبسبب خصوبة الأرض، كانت المحاصيل فيها تُحصد أربع مرات في السنة من زراعة واحدة. وفي المنطقة أودية يمكن استثمارها، خاصة وادي حلي، وهو واد كبير جداً ويتشعب في جهات عديدة، إذ يمتد من السودة في أبها إلى جريد بالنماص.

وقد يكون من الطريف الإشارة إلى سبب تسمية القنفذة بهذا الاسم، والشائع بين العامة اليوم أن سبب التسمية يعود إلى أن امرأة تسمى القنفذة كانت أول من أقام مسكناً في موضع هذا البلد، فسمى الموضع باسمها، واكتسبت المدينة ذلك الاسم كذلك. ويأبى الخيال الشعبي إلا أن يمضي في إكمال القصة، إذ يقال إن زوج هذه المرأة كان يسمى البندر، فتسمت البلدة باسميهما، القنفذة والبندر. والبندر علم لهذه البلدة ولا يزال يجري على ألسنة سكان البوادي

القريبة منها[١]. وقد ذكر الأمير إبراهيم بن عبد العزيز نفسه في حديث صحفي له أنها كانت تسمى البندر لأنها كانت ميناء لعسير وغامد وزهران[٢].

وكانت القنفذة، قبل العهد السعودي، ميناء الجزء الشمالي من تهامة وعسير، وكذلك الجزء الجنوبي بين السراة وتهامة.

وقد أصبحت القنفذة محل نزاع شديد بين الشريف حسين والإدريسي خلال الحرب العالمية الأولى. وكانت السلطات البريطانية قد قصفت القنفذة، ثم نزلت قوة من رجال الإدريسي وعاونتها على احتلال القنفذة بحجة أنها داخلة في دائرة نفوذها. واحتج الشريف حسين على ذلك بشدة لأن القنفذة كانت تابعة للحجاز أصلاً. فطلب الإنكليز إلى الإدريسي أن ينسحب منها، ولكنه احتج بأن انسحابه سيدمر نفوذه بين قبائله. وبعد ضغط شديد ومراسلات حانقة. انسحب الإدريسي من البلدة على مضض، ودخلتها قوات الشريف. ولم يلبث الأتراك أن تدخلوا فأرسلوا قوة من الحامية التركية في محايل وأبها، وتمكنوا من الاستيلاء على القنفذة، ولكنهم واجهوا صعوبات في تأمين الإمدادات عبر الجبال الوعرة، فاضطروا إلى الانسحاب بعد أسبوع واحد، وعادت قوات الشريف إليها[٣].

ولما انضمت القنفذة إلى الحكم السعودي في عهد المغفور له الملك عبد العزيز، كان لها، بحكم موقعها الاستراتيجي المهم، دور مهم ومتميز ومؤثر في إنماء الحياة التجارية والتموينية لمعظم مدن الحجاز، وخاصة مكة المكرمة قبل الفتح السعودي لميناء جدة. كما كانت تلك المدينة محطة مهمة على طريق الحج اليمني، تستقبل حجاج جنوب الجزيرة العربية، والهند، وجنوب شرقي آسيا، حتى بعد فتح مدينة جدة.

(١) حسن إبراهيم الفقيه، القنفذة: مدينة وتاريخ، مقالة في مجلة "الفيصل"، العدد ٥٢، السنة ١٩٨٨م، ص٣٨ – ٣٩.

(٢) جريدة "الجزيرة"، العدد ٤٩٧٨، الصادر في ٨ رمضان ١٤٠٦هـ (١٦ آيار / مايو ١٩٨٦م)، وهو الحديث الصحفي الذي لم ينشر إلا بعد وفاته. والبندر لدى أهل الجنوب يعني السوق الكبير الذي يرتاده الناس من مختلف المناطق لقضاء حوائجهم.

(٣) سليمان موسى، **الحركة العربية**، دار النهار، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٧٨.

وقد أرسل الملك عبد العزيز رسالتين مؤرختين في ١٦ شوال ١٣٤٣هـ (١٠ تموز / يوليو ١٩٢٥م) إلى كل من حاكم عدن ورئيس جمعية الخلافة في بومبي، يؤكد لهما استعداد ميناءي القنفذة والليث لاستقبال حجاج مناطقهم، مبدياً أن هذين الميناءين تتوافر فيهما جميع وسائل النقل إلى مكة المكرمة[١].

• • •

وصل الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم إلى القنفذة، مقر أول منصب رسمي له، في شهر جمادى الأولى ١٣٧١هـ (شباط / فبراير ١٩٥٢م). وأقيم له على إثر وصوله حفل تكريم كبير، أقامه الشيخ عبد الرحمن الجابر وزملاؤه الموظفون. وبدأ الأمير عمله بهمة عظيمة، ساعياً إلى تطوير المنطقة وتنفيذ المشروعات التي تسد حاجاتها، وتحسين أحوال سكانها، في وقت كانت فيه ميزانية الدولة ومواردها محدودة نسبياً، فبذل كثيراً من الجهود لرفع مستواها ومعالجة مشاكلها.

تحقق لمنطقة القنفذة في عهد إمارة الأمير إبراهيم البراهيم أهم مشروع لا زالت المنطقة تعتمد عليه وتنعم به، وهو مشروع إيصال الماء إلى منطقة القنفذة.

كان أهالي القنفذة يعتمدون في الحصول على المياه على الآبار، ويعانون معاناة شديدة لأجل الحصول على الماء. وكانت المياه في المنطقة مالحة وغير نقية. وصادف أن قام الملك سعود بن عبد العزيز بزيارة إلى المنطقة في سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، فانتهز الأمير إبراهيم هذه الفرصة وعرض على جلالته مشكلة المياه في المنطقة، وبيّن له ما يعانيه المواطنون في سبيل الحصول عليها. فأصدر الملك سعود أمراً بإيصال المياه إلى منطقة القنفذة، وأنجز المشروع في سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م فأوصلت الماء إلى المنطقة عبر شبكة سُحبت من منطقة تدعى "أحد بني زيد"، وهي تقع على بُعد ثمانية عشر كيلومتراً من القنفذة. ولا زالت هذه

---

(١) عبد الله العلي الزامل، **أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص٤٥٦ - ٤٥٧.

الشبكة تخدم المنطقة حتى يومنا هذا، وهي تُعد أول شبكة تم تأسيسها في مناطق جنوب المملكة، وأول مشروع مهم نفذ في القنفذة.

كان توفير الماء للمواطنين في ذلك الوقت، مشروعاً حضارياً وصحياً، عاد على سكان المدينة بفوائد لا تثمن. وكلما فتحت ربة بيت صنبور الماء في مطبخها اليوم لإعداد طعام أطفالها، أو في حمامها لتنظيف ملابسهم، عليها أن تتذكر أن الذي وفر لها هذه النعمة وحقق لها ذلك المشروع، الذي كان في غاية الصعوبة آنذاك، أمير سابق للمنطقة يدعى إبراهيم بن عبد العزيز.

وفي عهد إمارة إبراهيم بن عبد العزيز أيضاً تم تمهيد الكثير من الطرق، لربط أجزاء المنطقة بعضها ببعض، وربط المنطقة بما جاورها من المناطق، وتيسير سبل الاتصال فيما بينها.

ويروي الأستاذ حسن بن علي الفقيه[1] أن الأمير إبراهيم اجتمع بعد وصوله إلى القنفذة وتسلمه إمارتها، مع أهالي المنطقة وعرض عليهم فكرة إنشاء شركة مساهمة تقوم باستيراد البضائع، وتطوير ميناء القنفذة، ليخدم المنطقة والمناطق المجاورة لها، وحتى تعود القنفذة إلى عهدها السابق مركزاً تجارياً يخدم معظم المناطق الجنوبية، الساحلية والداخلية، إلا أنه لم يلاق التجاوب المطلوب من الأهالي، وقد يكون سبب ذلك قلة خبرتهم في الأمور الاقتصادية. ولذلك لم يتحقق هذا المشروع الرائد الذي جاء سابقاً لعصره، حيث أن كثيراً من المناطق قامت في الأعوام الأخيرة بإنشاء شركات مساهمة تعمل لصالحها، سواء في مجال الاستثمار العقاري أو السياحي أو الزراعي. ومع ذلك، فقد أعاد الأمير إبراهيم إلى ميناء القنفذة، والإدارات الموجودة في المنطقة، كثيراً من الحيوية والنشاط، ووسع من نطاق أعمالها.

---

(١) الأستاذ حسن بن علي الفقيه في مقابلة خاصة في القنفذة، وهو عميد كلية المعلمين وأحد المعلمين الأوائل من أبناء القنفذة، عمل مع الأمير إبراهيم البراهيم في الإمارة مدة من الزمن، كما كان يعلم ابني الأمير الشيخ عبد العزيز والشيخ خالد، وله مؤلفات قيّمة عن تاريخ المنطقة.

وعرض الأمير إبراهيم على أهالي القنفذة فكرة مشروع آخر، وهي فكرة إنشاء شركة للكهرباء، ولكن ترددهم في الإسهام بالمشروع، وعدم تحمسهم له أديا إلى عدم تحقيق ذلك المشروع على يده.

أظهر الأمير إبراهيم خلال إمارته للقنفذة اهتماماً كبيراً براحة المواطنين ومشاكلهم، ولعله كان اهتماماً لم يشهد أبناء المنطقة مثله منذ مدة طويلة. وكان يتنقل بين أجزاء المنطقة لحل مشاكل المواطنين ليجنبهم مشقة السفر إلى القنفذة في تلك الفترة التي كانت سبل المواصلات فيها شديدة الصعوبة.

فعندما شعر الأمير إبراهيم أن أهالي منطقة العرضية مثلاً كانوا يعانون مشقة الحضور إلى مقر الإمارة لعرض قضاياهم وتعقيب معاملاتهم، حتى تراكمت القضايا المعلقة أو تلك التي تنتظر النظر فيها والبت في أمرها. وكان السفر من منطقة العرضية إلى القنفذة يستغرق أكثر من يومين في سفر شاق، فما كان من الأمير إبراهيم إلا أن قرر السفر إلى تلك المنطقة بنفسه، للنظر في قضايا المواطنين وحلها ليجنبهم معاناة السفر وتكاليفه.

وبعد وصوله إلى القنفذة بشهور قلائل، وبالتحديد في الثاني من شوال ١٣٧١هـ (٢٥ حزيران / يونيو ١٩٥٢م)، وبعد انتهاء عيد الفطر، قام الأمير بسفرته إلى منطقة العرضية، واصطحب معه قاضي المنطقة ومدير الشرطة وعدداً من المسؤولين في الدوائر الحكومية. وبقي في تلك المنطقة نحو خمسة عشر يوماً عُرضت عليه خلالها أكثر من مائة قضية نظر فيها جميعاً، وحل معظمها على الفور، وأبدى في بداية عمله همة عالية ومشاركة إنسانية في مشاكل المواطنين في منطقته[١].

إن الطرق التي يشقها أمير المنطقة، أو الأبنية التي يقيمها لمرافق الدولة مثلاً، تبقى شاهداً على منجزاته، ولكن السفر الشاق، في طرق وعرة، والإقامة لأسابيع في مناطق نائية، للنظر في مشاكل المواطنين، وحلها، أمر قد ينساه الناس بعد مدة قصيرة، ولكنه دليل على

(١) من حديث خاص مع السيد سعيد باخشوان، مدير مكتبه عندما كان أميراً على القنفذة.

اهتمام الحاكم بأمور الناس ومشاكلهم، ورغبة حقيقية في خدمتهم، دون أن ينتظر جزاء ولا شكوراً.

ومع ذلك، فإن الأعمال التي قام بها الأمير إبراهيم في منطقة القنفذة كان يتوخى منها جميعاً خدمة مصالح الناس وتحسين أحوالهم.

كان الأمير إبراهيم، كما يروي أكثر من شخص من عارفيه، يحترم القضاء وأحكامه، ويعامل القضاة بالرعاية والتكريم. وعلى الرغم من عدم تدخله في شؤون القضاء، فإنه كان في بعض الحالات يعيد بعض القضايا إلى المحكمة مبدياً وجهة نظره، وكان القضاة يأخذون بها إذا وجدت المبررات الشرعية.

ويروي الشيخ محمد بن إبراهيم الحديثي، الذي عمل قاضياً في القنفذة خلال إمارة الشيخ إبراهيم عليها، أنه كان شديد الحرص على حل القضايا المعروضة على المحاكم بأسرع ما يمكن، وكان يحرص على عدم تكليف الناس بكثرة المراجعات، وخاصة في تلك الفترة التي كانت أحوال الناس فيها صعبة ومواردهم ضئيلة. ولذلك كان يحاول عدم إجهادهم بكثرة المراجعات ذهاباً وإياباً، وكان يحثه – كما كان يحث والده الشيخ إبراهيم الحديثي رئيس المحاكم – على سرعة إنهاء المعاملات، بل كان في بعض الحالات يخاطب المراجع المختصة لانتداب القضاة إلى الجهة التي تحدث فيها قضية مهمة وبها أطراف عديدة يكلفها الحضور إلى المحكمة مشقة كبيرة بسبب بُعد المسافة. فكان القاضي يذهب إلى موقع القضية للوقوف على المشكلة. ويقول الشيخ محمد الحديثي إن ذلك حدث كثيراً في القنفذة، كما حدث بعد ذلك في عسير.

وكذلك يروي السيد مصطفى الشنقيطي، من أعيان مدينة القنفذة، ما يدل على اهتمام الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بأمور المواطنين.

كانت منطقة القنفذة تعتمد على الزراعة إلى حد كبير. وكان الأهالي يقيمون سدوداً ترابية لمنع السيول من جرف مزارعهم، وكذلك لتخزين مياه الأمطار. وقد أقام الأمير إبراهيم، خلال

إمارته للقنفذة، العديد من السدود الترابية لمساعدة المزارعين، بجهد خاص منه، حتى أن بعض هذه السدود يحمل اسمه حتى اليوم. كما كان يقوم بنفسه بمتابعة فرق مكافحة الجراد الذي كان يقضي على المحاصيل الزراعية، وكانت المنطقة تعتمد على تلك المحاصيل إلى حد كبير. وقد اشترى سيارة خاصة لهذا الغرض، ودفع قيمتها من جيبه، وكذلك نجح في إقناع الحكومة بإقامة فرع لوزارة الزراعة في المنطقة[1].

ويبدو أن الأمير إبراهيم كان أيضاً كبير التشجيع لطلاب العلم، شديد الحرص على متابعة دراسة المتعلمين، وتسهيل العقبات التي تواجههم، ليتمكنوا من مواصلة دراستهم داخل منطقة القنفذة وخارجها. وكان كثير العطف والإحسان، وخاصة لمن يعرف ظروفهم ويقتنع بها.

ويروي الأستاذ حسن الفقيه أيضاً، أنه كان شخصياً من الذين نالوا منه الكثير من العطف والتعضيد؛ فقد علم الأمير أنه نشأ يتيماً، وأنه يعول أسرة، فشجعه على مواصلة تعليمه، ولما أكمل دراسته الابتدائية وحصل على شهادتها سنة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، حاول الحصول على وظيفة مؤقتة، فلم يتمكن من ذلك، ولكن الأمير إبراهيم، حين علم بظروفه الصعبة، عينه بوظيفة مؤقتة في الإمارة لكي يساعده في تدبير أمور معيشته.

ويضيف الأستاذ حسن الفقيه أن الأمير إبراهيم كان يشجعه مع غيره من أبناء المنطقة على الكتابة في الصحف، وإلقاء الخطب في المناسبات المدرسية والعامة، وأن اتجاهه إلى الكتابة والتأليف والنظم يعود إلى تشجيع الأمير إبراهيم. ولم يكن الأستاذ الفقيه الشخص الوحيد الذي نال مثل هذا الاهتمام والتشجيع، بل هنالك عدد كبير من الشبان الذين يدينون بالكثير لتشجيع الأمير إبراهيم وتعضيده[2].

ويروي الأستاذ حسن الفقيه عن الأمير إبراهيم، أنه كان خلال إمارته في القنفذة، يحرص على الالتقاء بكل أصدقائه ومعارفه، وكان له مجلس يجتمع فيه كبار أهل البلد وشخصياته

(١) السيد مصطفى الشنقيطي في مقابلة خاصة في القنفذة، أيلول / سبتمبر ١٩٩٧م.
(٢) مقابلة خاصة مع الأستاذ حسن الفقيه في القنفذة، أيلول / سبتمبر ١٩٩٧م.

المثقفة، وأنه كان واسع الإطلاع، له اهتمام كبير بالتاريخ والأدب. وكان في بعض جلسات السمر يقرأ أحياناً من بعض الكتب لمن حوله، ويشرح لهم بعض ما يقرأه.

كان مجلس إبراهيم البراهيم في القنفذة، وأينما حلَّ بعد ذلك، مفتوحاً للصغير والكبير بدون استثناء. وكان يستقبل جميع الأهالي، ورؤساء الدوائر الحكومية بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع[1]. وكانت علاقاته الإنسانية كثيرة، وعطفه على أصدقائه ومعارفه، وعلى كل إنسان يحتاج إلى العطف، عرفه أم لم يعرفه، كبيراً إلى حد عجيب أحياناً. وكانت له أعمال خيرية تدل على مكارم الأخلاق.

روى الشيخ إبراهيم السليمان أنه كان في القنفذة تاجر حضرمي يتاجر بـ "اللبان". وكانت بضاعته في طريقها إلى القنفذة على مركب، فغرق المركب وغرقت البضاعة معه، وبذلك ضاع رأس مال الرجل كله، ولم يبق لديه شيء. ولما سمع الأمير إبراهيم بأمره استدعاه، واستفسر عن أمره، فلما عرض الرجل عليه حالته اقترح الأمير أن يكتب الرجل برقية إلى الملك سعود يطلب المساعدة لإنقاذه من محنته، ووعده بأن يكتب هو أيضاً توصيه بحقه. ولكن الرجل تهيب الكتابة إلى الملك ولم يوافق على اقتراح الأمير إبراهيم. فجمع الأمير كل ما يملكه شخصياً من مال، وأعطاه للرجل قرضاً حسناً، وقال له: دبر أمورك بهذا حتى يفتح الله عليك. وكان معه في هذه الحادثة السيد فهد الحمود، وهو يشهد بها ويرويها في كل مناسبة[2].

قضى إبراهيم بن عبد العزيز في إمارة القنفذة، نحو تسع سنوات، عمل خلالها على تطوير المنطقة وتحسين أحوالها وخدمة أهاليها بنشاط عظيم. ولكن القنفذة ميناء بحري، شديد الرطوبة، وإبراهيم ابن نجد الذي نشأ في حائل والرياض، ذاتي الجو الصحراوي الجاف، لذا فقد عانى، بعد قضاء هذه المدة الطويلة في تلك المدينة من جوها الرطب. وقد مر بفترات اضطر فيها إلى التماس العلاج خارجها.

---

(١) مقابلة خاصة في القنفذة مع السيد سعيد باخشوان في أيلول / سبتمبر ١٩٩٧م.
(٢) مقابلة للمؤلف مع الشيخ إبراهيم السليمان في داره بالرياض في ٢٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٦م.

وفي أول شوال ١٣٧٥هـ (١٢ آيار / مايو ١٩٥٦م) أي بعد قضاء نحو أربع سنوات في القنفذة حصل على إجازة مرضية لمدة شهرين، وسافر مع عائلته إلى لبنان للاستجمام ومراجعة الأطباء، فلما انتهت الإجازة قدَّم إلى وزارة الداخلية تقريرين طبيين عن صحته يدلان على أنه "مصاب بحالة ربوية ناتجة عن الحساسية الصدرية وحساسية شديدة بالأنف والحنجرة، وينصحان له بالإقامة في لبنان لمدة أربعة شهور أخرى"، وعلى إثر ذلك مُددت إجازته المرضية لمدة أربعة أشهر (من ١/١٢/١٣٧٥هـ إلى ١/٤/١٣٧٦هـ)، وصدر الأمر بمنحه الإجازة المذكورة بتوقيع مدير عام وزارة الداخلية[1].

ومن بيروت كتب إلى وزير الداخلية، الأمير عبد الله الفيصل، عن تحسن صحته، فأجابه الأمير بكتاب رقيق هذا نصه:

المملكة العربية السعودية

مكتب وزير الداخلية

حضرة المكرم إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم

بعد التحية:

وصل كتابكم من بيروت المؤرخ ٢٦/٤/٧٦ المبشر بتقدم صحتكم وتحسنها تحسناً كبيراً، ونحمد الله تعالى على ذلك، نتمنى لكم كمال العافية وتمام الشفاء، ودمتم.

(٧/٥/١٣٧٦هـ - ٩/١٢/١٩٥٦م)

عبد الله الفيصل

وبعد ثمانية أشهر أخرى تقريباً، شعر الأمير إبراهيم بمعاودة الحالة الصحية التي كان يشكو منها. وفي أوائل سنة ١٣٧٧هـ (آب / أغسطس ١٩٥٧م)، قدم طلباً رسمياً بإعفائه من إمارة القنفذة نظراً لعدم ملاءمة طقسها لصحته، بكتاب أرسله إلى الأمير عبد الله الفيصل، وزير الداخلية، الذي كان أيضاً ينوب عن والده (الأمير) فيصل بن عبد العزيز، النائب العام

(١) أمر وزارة الداخلية المرقم ١٧٧٦ والمؤرخ في ٢٨ محرم ١٣٧٦هـ.

في الحجاز. ولم يكتف الأمير إبراهيم بطلب الإعفاء، بل رشَّح من يقترح أن يحل محله في إمارة القنفذة، وهو ابن عمِّه عبد الله المحمد الإبراهيم. ولكنه تلقى الكتاب التالي من الأمير عبد الله الفيصل:

عبد الله الفيصل آل سعود

حضرة المكرم أمير القنفذة إبراهيم الإبراهيم سلمه الله

بعد التحية:

تلقيت خطابكم المتضمن طلبكم الموافقة على إعفائكم من عمل إمارة القنفذة نظراً لعدم ملاءمة طقسها لصحتكم وترشيحكم لعبد الله المحمد الإبراهيم بدلاً عنكم، وأخبركم أنه يسرنا أن تكونوا متمتعين بكامل الصحة ويهمنا كذلك أن تكونوا مرتاحين في عملكم غير أننا في الوقت الحاضر لا نستطيع إجابة رغبتكم بالنظر لغياب الوالد. وبحضوره إن شاء الله سوف نعرض رغبتكم لأنظاره الكريمة – وإن شاء الله لا يكون إلا الذي يسركم – والسلام.

١٣٧٧/٢/١٦

بقي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في إمارة القنفذة بعد ذلك أربع سنوات أخرى تقريباً، ولم تلق طلباته بالنقل أذناً صاغية، وربما كانت كفاءته ونشاطه قد أضرا بمصلحته الشخصية.

فقد شهدت محافظة القنفذة في عهد إمارته، التي دامت نحو تسع سنوات، نهضة عمرانية وقفزة تعليمية كبيرة. كما شهد القطاع الصحي والحياة الاقتصادية فيما ازدهاراً وتطوراً ملحوظاً، ونعم المواطنون بالكهرباء، والمواصلات، ونعمة الأمان والاستقرار.

ومع ذلك، فحين سأله أحد الصحفيين: "ما هو الشيء الذي عملته في القنفذة؟" قال ببساطة:

"ما فعلته يعرفه أهالي القنفذة، ولا يمكن أن أدعيه... وأنا في القنفذة وفي غيرها ما أنا إلا منفذ للأوامر والتعليمات التي تصدر إلى من الجهات العليا..."[1].

---

(١) جريدة "الجزيرة"، العدد ٤٩٨٥، ١٤٠٦/٩/١٥هـ (٢٤ آيار / مايو ١٩٨٦م)، ص٥.

ولو سئل غيره هذا السؤال لطفق يعدد أعماله وإنجازاته الكثيرة، معدداً خدماته التي قدمها لهذه المدينة، ولكن جواب الأمير إبراهيم كان آية في التواضع ونكران الذات.

والواقع أنه لم يكن مجرد أداة تنفذ الأوامر والتعليمات، بل كان أميراً يحرص على خدمة منطقته، وصاحب أفكار وضعها موضع التنفيذ، وسعى لكي يحصل من الجهات العليا على الموافقات والاعتمادات لها، ولكنه تواضع الرجل الكبير، الواثق بنفسه، الذي يجد راحته الكبرى في الخدمة العامة والعمل المنتج.

إن فترة عمل الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في القنفذة، أولى إماراته، موثقة تاريخياً من خلال الأعمال التي أنجزها في المنطقة، وبقي أهل القنفذة يذكرونه بأعماله الكثيرة، وعلى رأسها مشروع جلب المياه إلى المدينة، ومنها المدارس التي فتحت في عهده وبمساعيه، وتطوير المستوصفات، وبناء الإدارات الحكومية المختلفة، وفتح فرع للزراعة.

قال الشيخ حسين عرب، الوزير السابق الذي كان موظفاً في ديوان جلالة الملك حينما كان الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم أميراً للقنفذة، أنه كان من الأمراء القلائل الذين يرسلون معاملاتهم كاملة من حيث الأسلوب والإجراءات. "فقد كانت كافة المعاملات التي ترد إلى الديوان من معاليه، لا تحتاج إلى أي مراجعة أو ملاحظة، وهذا نتيجة ما اكتسبه من خبرة عالية خلال ممارسته العمل مع والده رحمه الله في إمارة المدينة المنورة"[1].

ولما عُلم في القنفذة أن الأمير إبراهيم سيُنقل منها، شاع أنه سيُنقل إلى إمارة جيزان. ولما وصل هذا الخبر إلى القنفذة، أرسل ١٢٠ شخصاً من أهلها عريضة إلى ولي العهد يرجون فيها عدم نقل الأمير إبراهيم، قالوا فيها:

"**صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم أيده الله**

بلغنا أن أمير طرفنا إبراهيم عبد العزيز البراهيم سينقل إلى جيزان. فيا صاحب الجلالة هذه أكبر صدمة في أوجاه خداميكم أهالي القنفذة، لأن الأمير المذكور وصل القنفذة وهي

---

(١) مقابلة خاصة مع الشيخ حسين عرب في مكة المكرمة.

كالمريض المستحضر من جهات متعددة، فبث فيها روح الحياة وبذل مجهودات جبارة في إصلاحات شتى من الوجهة العمرانية ومن تآلف ومن المساواة والعدالة فأصبح كل فرد أخذ نصيبه بدون تمييز بين رفيع ووضيع، وغني وفقير، حتى أصبحنا واثقين بعون الله في نهوض هذه البلدة ورقيها وتقدمها بعد أياسها وضغوطها إلى آخر رمق من الحياة، فهي بفضل الله ثم بفضل سمو سيدي، الأمل وطيد بصلاح شأنها بتوفيق هذا الأمير قد برزت إلى حياة جديدة ونهضة جليلة. فمن مساعي الأمير تفقده لحال الرعية بصورة خاصة لكل طبقة بما يناسبها وقد بث إليها الإرشادات النافعة المحسوسة بما يعود إليهم بالنفع والمصلحة في أمورهم، وإن إرشاداته يمليها على التاجر والمتسبب والنجار والبناء والزراع، والحاضرة والبادية، بمناسبات ودية بما فيه مصلحتهم العامة وتوفير معيشتهم وفوق ذلك الحزم والشدة الذي ألقت كل إنسان يمشي على الطريق الجادة بدون تخاذل أو هوادة في سبيل الحق فرنا جميعاً أهل القنفذة وقضاه مغتبطين بهذه النعمة الجليلة التي أسديتوها ومنحتونا إياها، فعليه نسترحم من سمو سيدي عدم الانتقام من خدامكم بأخذكم هذا الأمير العزيز علينا لأن نحن لا شيء إلا بفضل الله ثم بفضل سموكم وتوجيه عنايتكم ورأفتكم وشفقتكم على عموم رعيتكم، فنسترحم إبقاء أميرنا وعدم نقله.

أمد الله في حياتكم وأيدكم بعزه ونصره آمين".

الإمضاء ١٢٠ شخصاً

كل بمفرده

صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم ايده الله

بلغنا ان اميرنا ابراهيم عبدالعزيز الابراهيم سينقل الى جيزان فيا صاحب
الجلاله هذه اكبر صدمه في اوجاعنا نحن سكان اهالي القنفذه لان الامير المذكور
وصل القنفذه وهيا كالمريض المستخطر من جور مستعبديه فبث فيها
روح الجهاد وبذل مجهودات جباره في اصلاحات شتى من الوجهه العمرانيه
ومن ناحيه المساواه والعداله فاصبح كل فرد اخذ نصيبه بدون تمييز بين
رفيع ووضيع وغني وفقير هنا اصبحنا نتغنى بعون الله في نهوض هذه
البلده ورقيها وتقدمها بعد ان يأسنا وصنفوطها الى اخر رمق من الحياه فاصبح
بفضل الله ثم بفضل سمو سيدي الاول وطيبه بصوره شامله بتوفيق هذا
الامير قد برزت الى حياه جديده ونهضه جليله فمن مساعي الامير تفقده
لحاله الرعيه بصوره خاصه لكل طبقه بما يناسبها وقد بث اليها الارشادات
النافعه المحسوسه بما يعود اليهم بالنفع والمصلحه في امورهم وان ارشاداته
بمليها على التاجر والمتسبب والنجار والبناء والزارع والحاطب والباديه
بمناسبات وديه بما فيه مصلحتهم العامه وتوفير معيشتهم رغم ان ذلك
بالحزم والشده الذي الفت كل انسان يمشي على الطريقه الجاده بدون
تماهل او هواده في سبيل الحق فصرنا جميعا اهالي القنفذه وقضاها
مغتبطين بهذه النعمه الجليله التي احرزناها وفقدنا اياه فنطلب ونسترحم
من سمو سيدي عدم الانتقال من هذا منكم بالاحتفاظ بهذا الامير العزيز
عندنا لانه لا يخشى الا الله ثم بفضل سموكم وتوجيه عنايتكم
وثقتكم عنه عموم رعيتكم فنسترحم ابقاء اميرنا وعدم نقله
ابقاه الله في حياتكم وايدكم بنصر وروح امينه

الامضاءات تحتوي ١٢٠
(كلا بمفرده)



الفصل الخامس

وكيل إمارة مكة المكرمة

وكيل إمارة مكة المكرمة

تعد إمـارة مكة المكرمة من أهـم إمـارات المملكة بطبيعة الحـال، فهي عاصمة الحجاز، والمركز الروحي للعالم الإسلامي بأسره، ومقر بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وتزداد أهمية العمل في مكة أيضاً لكونها مقصد حجاج بيت الله الحرام في كل عام، وما تلقيه إدارتها من مسؤوليات داخلية وخارجية جسيمة ودقيقة في آن واحد.

وكان يشغل إمارة مكة الأمير متعب بن عبد العزيز، فلما انتهت إمارته عُين مكانه الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز في عهد والده الملك سعود بن عبد العزيز، وعُين السيد إسحق عزوز أول وكيل لإمارة مكة المكرمة، ولكن عمله فيها لم يدم سوى بضعة أشهر قدَّم بعدها استقالته من الوظيفة، وظهرت الحاجة إلى اختيار وكيل جديدة تتوافر فيه الشروط المطلوبة لهذا المنصب المهم والدقيق، ولم يكن من المستحسن ترك وكالة إمارة مكة شاغرة لمدة طويلة، خاصة لقرب موسم الحج.

وفي ١٥ جمادى الأولى ١٣٨١هـ (٢٥ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١م) تسلم الأمير عبد الله ابن سعود، أمير مكة، البرقية التالية من والده الملك سعود:

المملكة العربية السعودية

إمارة منطقة مكة المكرمة

برقية واردة بالشفرة

التاريخ: ١٣٨١/٥/١٥هـ

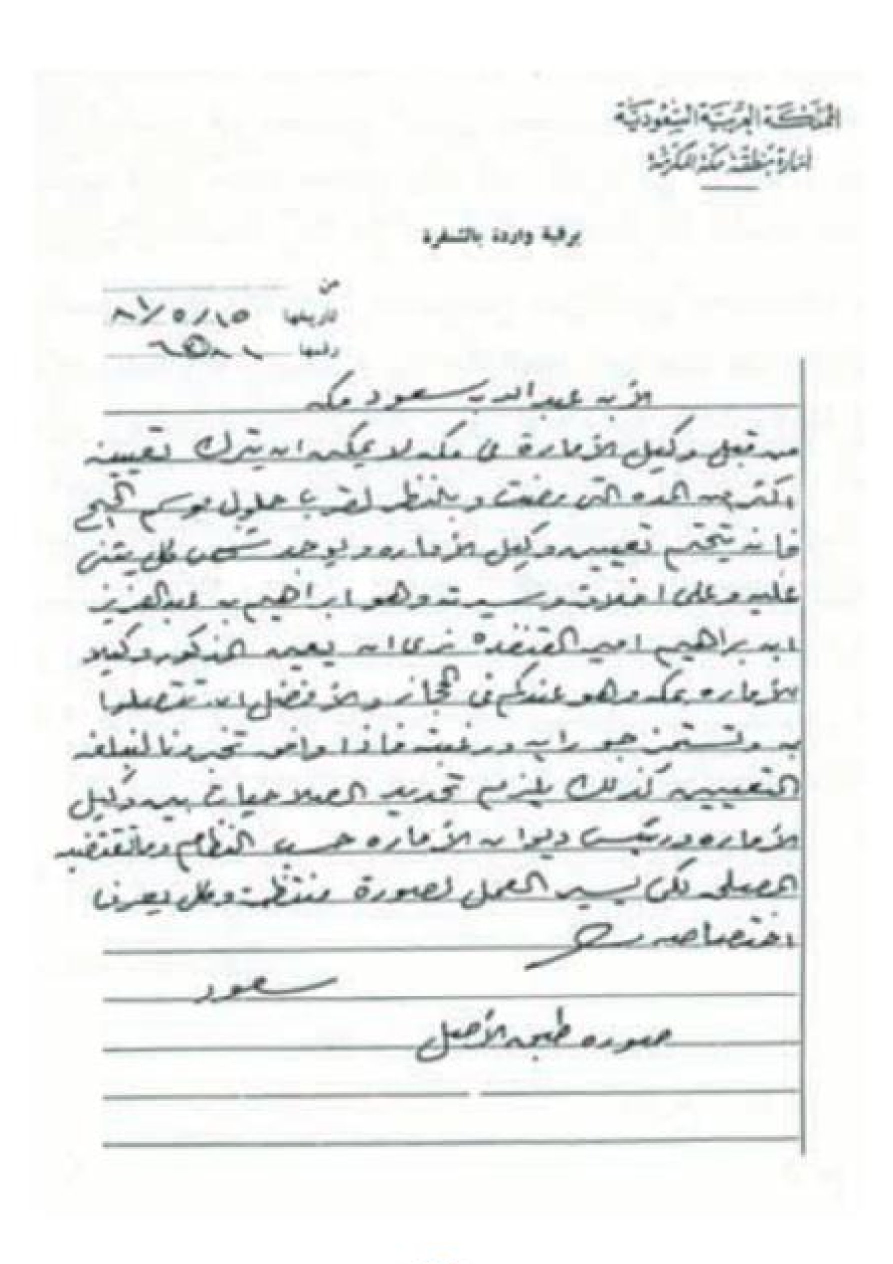
الرقم: ٦٥٨١

الابن عبد الله بن سعود - مكة

من قبل وكيل الإمارة في مكة لا يمكن أن يترك تعيينه أكثر من المدة التي مضت وبالنظر لقرب حلول موسم الحج فإنه يتحتم تعيين وكيل الإمارة ويوجد شخص كل يثني عليه وعلى

أخلاقه وسيرته وهو إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أمير القنفذة نرى أن يعين المذكور وكيلاً للإمارة بمكة وهو عندكم في الحجاز والأفضل أن تتصلوا به وتستمزجوا رأيه ورغبته فإذا وافق تخبرونا لنبلغه التعيين وكذلك يلزم تحديد الصلاحيات بين وكيل الإمارة ورئيس ديوان الإمارة حسب النظام وما تقتضيه المصلحة لكي يسير العمل بصورة منتظمة وكل يعرف اختصاصه.

سعود



المملكة العربية السعودية
إدارة منطقة مكة المكرمة

برقية واردة بالشفرة

من
تاريخها ١٥/٥/٨٦
رقمها

سعود

صورة طبق الأصل

ولما استمزج رأي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، ووافق على اقتراح تعيينه وكيلاً لإمارة مكة، تلقى البرقية التالية من الملك سعود بن عبد العزيز:

الرقم: ٦٥٨٢

التاريخ: ١٣٨١/٥/٢١هـ

إبراهيم بن إبراهيم - القنفذة - مكة

نظراً لما نتوقعه فيكم من الإخلاص والمحبة والنزاهة والحرص على المصلحة العامة فقد اخترناك نحن والابن عبد الله أن تكون وكيلاً للابن عبد الله في إمارة مكة ونرجو لك التوفيق في عملك.

سعود

وبعد نحو ثلاثة أسابيع من تاريخ هذه البرقية تسلّم الأمير إبراهيم الأمر الوزاري الرسمي الصادر بتعيينه وكيلاً لإمارة مكة استناداً إلى الإرادة الملكية والمرسوم الملكي الصادر بموجبها، وكان نصه كالآتي:

المملكة العربية السعودية

وزارة الداخلية

عدد

شؤون الموظفين

قرار وزاري رقم ٨٧٣ وتاريخ ١٣٨١/٦/١٤هـ

إن وزير الداخلية

بناءً على الصلاحية الممنوحة له بموجب نظام الموظفين العام.

وتنفيذاً للإرادة الملكية بموجب المرسوم الملكي رقم ٣٦ في ١٣٨١/٦/٧هـ، القاضي بتعيين الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أمير القنفذة سابقاً وكيلاً لإمارة منطقة مكة المكرمة في المرتبة الأولى بدرجة وكيل وزارة وبراتبها المعتمد.

يقرر ما يلي:

١- تعيين أمير القنفذة سابقاً الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم وكيلاً لإمارة مكة المكرمة بالمرتبة الأولى من كادر داخل الهيئة بدرجة وكيل وزارة براتبها المعتمد اعتباراً من تاريخ مباشرته العمل وعلى إمارة مكة الإفادة عن ذلك.

٢- يبلغ هذا القرار لمن يلزم لاعتماد مواده بموجبه......

وزير الداخلية

وزارة الداخلية

مطابق للأصل

١٣٧٧

● ● ●

إن اختيار الأمير إبراهيم لمنصب وكيل إمارة مكة، كما يظهر من برقية الملك سعود إلى نجله الأمير عبد الله، كان بقصد الإفادة من تجربة أمير القنفذة سابقاً، تلك التجربة الطويلة التي امتدت نحو تسع سنوات، وأثبت الأمير خلالها كفاءته العالية، وتفانيه في خدمة منطقته وتطويرها، مما وجه إليه أنظار الملك سعود وابنه الأمير عبد الله، أمير مكة، وجعلهما يختارانه لوكالة تلك الإمارة المهمة. وكان ذلك الاختيار، بطبيعة الحال، دليلاً على التقدير، ورمزاً للثقة، كما أنه كان حلاً لمشكلة الأمير إبراهيم الصحية الطويلة ورغبته في الانتقال إلى مكان آخر أقل رطوبة في جوه، وأكثر جفافاً.

ولما باشر الأمير إبراهيم بن عبد العزيز مهام منصبه وكيلاً لإمارة مكة المكرمة، أصدر أمير المنطقة، الأمير عبد الله بن سعود، قراراً إدارياً حدد فيه صلاحيات كل من وكيل الإمارة، ورئيس ديوانها، وتركيز المسؤولية لهما ولباقي رؤساء الإمارة. ويظهر من الإطلاع على هذا القرار الإداري المهم مدى الصلاحيات الواسعة التي منحها لوكيل الإمارة:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان امارة منطقة مكة المكرمة

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

قــــرار اداري رقـم /١ وتاريخ

ان أمير منطقة مكة المكرمة
بناء على الصلاحيات المخولـه لـه

والحاقا لقرارنا رقم ١/١٧ في ١٣٨١/٣/٢٧ الالحاقي لسابقه رقم ١/٣ فـــي ٣٨١/١/١٦ ولمناسبة تعيين ابراهيم بن عبدالعزيز بن ابراهيم وكيلا لنا بامارة منطقة مكة المكرمة بموجب القرار رقم ٨٧٣ وتاريخ ١٣٨١/٦/١٤هـ المعطوف على الأمر الملكي الكريم رقم ٣٦ وتاريخ ١٣٨١/٦/٧هـ ورغبة في تحديد صلاحيات كل من وكيل الامارة ورئيس الديوان وتركيز المسئولية بالنسبة لهما ولباقي رؤساء الامارة وموظفيها ، كل في حدود عمله وفي نطاق دائرته ـ ليسود التعاون ويحصل التجاوب بين الجميع وليشعـــر كل مسئول بما نيط به ليعود ذلك بما يكفل سير الأعمال وتنسيقها وفق ما نتوخـــــاه بخدم الصالح العام وبناء على ذلك يقرر ما يلي :

١) صلاحيات وكيل الامارة ـ

أ ـ في حالة غيابنا ينوب عنا الوكيل في كلما يلزم وتتطلبه واجبات الامارة ـ وبما نأمره في حالة وجودنا . .

ب ـ يجوز له التوقيع نيابة عنا المعاملات وارسال البرقيات الصادرة للديـوان العالي ولرئاسة مجلس الوزراء نيابة عنا في غيابنا . .

ج ـ يحق له التوقيع نيابة عنا على المعاملات وارسال البرقيات الروتينيـــة الأخرى . .

د ـ المعاملات والبرقيات التي تستلزم العرض تعرض علينا أو على وكيلنا للبت فيها من قبله ـ أو عرضها علينا فيما يتطلب ذلك . .

هـ ـ يجوز لوكيل الامارة التوقيع على قرارات الفصل والتعيين والاجـــازات بكافة أنواعها لموظفي داخل الهيئة وخارجها ـ نيابة عنا ـ . .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢) صلاحيات (رئيس الديوان) -

أ - تعرض عليه المعاملات والبرقيات الوارده يوميا فيحيل الروتينية منها الى جهاتها في الامارة لاجراء مستلزماتها وما يجب العرض عنه يعرض أولا على وكيلنا كما سبق الاشارة اليه آنفا ..

ب - تعرض على رئيس الديوان مسودات التحارير للتأشير عليها الى جانب تأشيرة رئيس القسم المختص وبعد التبييض تعرض عليه مرة ثانية للتأشير على المبيض أيضا ثم تقدم لتوقيعها من وكيلنا أو منا ..

ج - يتلقى رئيس الديوان التوجيهات اللازمة من لدنا - أو من وكيلنا ..

د - يحق له التوقيع على المعاملات وارسال البرقيات الصادرة للمديريات والمصالح ونحوها وكذا تبليغ القرارات الموقعة من لدنا أو من وكيلنا ..

٣- على كل من رئيس مكتب الأوراق - ورئيس شعبة البرقيات - تقديم الوارد يوميا لرئيس الديوان - وتصدير ما يعد للتصدير توا وبدون تأخير ..

٤- على باقي رؤساء الأقسام الاهتمام في سرعة الكتابة على المعاملات والبرقيات بالترتيب أولا بأول الا ما كان منها مستعجلا أو يتعلق بسجناء فهذه تقدم على غيرها بيومها - على أن لا تتأخر باقي المعاملات والبرقيات أكثر من ثلاثة أيام الا ما تتطلبه الاجراءات القهرية على أن يراعى انهائها متى واتت الفرصة ..

٥- على عموم الموظفين القيام بواجباتهم بكل جد واجتهاد وامانة واخلاص كل بحسبه .

٦- يبلغ ذلك القرار لمن يلزم لانفاذ مقتضاه والعمل بموجبه - والله ولي التوفيق ..

أمير منطقة مكة المكرمة

بعد تسلم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز عمله في مكة بمدة قصيرة، صادف أن أصيب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نائب رئيس الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت (المفتي العام حالياً) ومن أهم الشخصيات الدينية والعلمية في المملكة، بحادث أدى إلى جرحه، فكتب إليه وكيل أمير مكة الشيخ إبراهيم البراهيم في ١٣٨١/٧/٢هـ، (١٩٦١/٩/١٠م) رسالة استفسار أعرب فيها عن قلقه وأسفه للحادث، فانتهز الشيخ عبد العزيز بن باز الفرصة وأجابه برسالة شكر وتقدير (مؤرخة في ١٣٨١/٧/٦هـ - ١٩٦١/٩/١٤م) قال فيها إن الحادث كان جرحاً بسيطاً، وقد برأ بحمد الله، وأضاف أنه كان عازماً على مكاتبته منذ بلغه تعيينه في وكالة إمارة مكة، ولكن كثرة المشاغل حالت بينه وبينه ذلك. وذيل الشيخ عبد العزيز بن باز كتابه بالحاشية الآتية التي تحتوي على بعض النصائح الثمينة:

> **ملاحظة:** ابن الأخ الكريم. إن من أهم الأمور العناية بمصالح الناس وشكاياتهم، وقضاء حوائجهم، وتنفيذ حكم الشرع على من حكم عليه، فالواجب أن تهتموا بهذا غاية الاهتمام، وأن تلاحظوا أتم ملاحظة، وأن لا تسندوه إلى غيركم ولاسيما أمر الضعفاء والغرباء فإن أكثر الناس لا يبالي بشأنهم وفي ذلك ضرر عظيم، وقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم" وروى عنه أنه قال r كيف تقدس أمة إلا بأخذ الحق من شديدهم لضعيفهم".

أجريت بعد التحاق الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بوكالة إمارة مكة دراسة لوضع الإدارة في الإمارة، وتم وضع هيكل تنظيمي لها من المختصين، وشكلت إداراتها المختلفة كإدارة المشروعات، وإدارة الحقوق العامة، وإدارة الحقوق الخاصة، وإدارة السجناء، ومكتب الاتصالات العامة، ومكتب البرقيات، وغيرها من الإدارات والأقسام.

أمضى الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في وكالة إمارة مكة نحو ثماني سنوات، ولا يزال أهل مكة يذكرون همته في تحسين أحوالهم، وأداء مهامه الرسمية بروح إنسانية وبنشاط لا يعرف الكلل.

وقد روى لنا الأستاذ علي بشاوري، وكيل إمارة مكة المساعد سابقاً، جوانب من صفات الأمير إبراهيم وأسلوبه في إدارة أعمال الإمارة في مكة، وتعود معرفة الأستاذ بشاوري به إلى سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م عندما كان الشيخ إبراهيم أميراً للقنفذة، وكان بشاوري موظفاً في وزارة الداخلية. وكان الأمير يذهب إلى مكة لقضاء إجازته السنوية. ثم ازدادت معرفته به في سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م عندما انتقل مندوباً من وزارة الداخلية إلى إمارة مكة في عهد إمارة الأمير متعب بن عبد العزيز، وبقي فيها حتى تعيين الأمير عبد الله بن سعود خلفاً له، والشيخ إبراهيم وكيلاً للإمارة.

قال الأستاذ علي بشاوري الذي عمل مع الأمير إبراهيم البراهيم وتحت إمرته طيلة عمله وكيلاً لإمارة مكة، وحتى نقله إلى عسير:

"وجدت فيه الأب والأخ والمعلم. لقد كان يرحمه الله يطلب مني الحرص على دراسة القضايا المهمة، وكنت أتلقى توجيهاته لما فيه مصلحة العمل، كما أنه كان على الدوام يوصيني بتقوى الله والسعي إلى نصرة المظلوم، وكنا نشعر أنه والد للجميع".

وذكر الأستاذ بشاوري، ضمن ذكرياته الكثيرة عن الأمير إبراهيم وصفاته الطيبة أنه "كان يقوم بزيارة الأُسر ومواساتها فيما يصيبها من نكبات أو مشاكل، ويقدم العون والمساعدة لكل من يطلبها منه، وكان رحمه الله شديد الحرص على أن يتم ذلك في سرية تامة".

وهو يروي أنه كان يحرص مثلاً على وجوب إخباره عمن يتوفاهم الله من أهل مكة، ليقوم بزيارتهم وتعزيتهم.

"أما تعامله مع موظفيه في العمل فقد كان في غاية المجاملة والاحترام، وكنا نشعر أنها أقرب إلى معاملة الأب لأبنائه. وكان يشدد عليهم بوجوب معاملة المراجعين معاملة طيبة، وأخذهم باللين، والقيام بخدمتهم".

"وكان رحمه الله حريصاً على جمع الشمل ومصالحة المتخاصمين من أهل مكة المكرمة، وحل خلافاتهم بطريقة ودية، وكان يكلف موظفيه بإصلاح ذات البين بين المتخاصمين. فلما

تُعرض عليه النتائج يبارك ما توصلوا إليه، وكان يشق عليه أن يرى هناك خلافاً قائماً بين عوائل مكة أو أفرادها، وكثيراً ما قام بجمع المتخاصمين في مقر الإمارة، أو في دار أحدهما، أو في داره أحياناً، لحسم الخلاف ولمّ الشمل".

"وروى الأستاذ علي بشاوري أيضاً حادثة طريفة وقعت خلال وكالة الشيخ إبراهيم لإمارة مكة المكرمة:

"كان ذلك في يوم شديد المطر من أيام مكة المكرمة. وكنا نعمل آنذاك في قصر الملك عبد العزيز، حيث كان مقر الإمارة، ولم نستطع الخروج إلى منازلنا لغزارة المطر وكثر السيول، فآثرنا البقاء في الإمارة. وإذا برجل يبدو عليه الجنون يدخل علينا، وكان شديد التهيج والانفعال، وراح يسأل: أين الأمير؟ أين المسؤولون؟

"فسمع الشيخ إبراهيم صوته، وخرج من مكتبه، وراح يتحدث إلى الرجل، ويهدئ من روعه، ويلاطفه بطريقة دبلوماسية، حتى هدأ الرجل، ثم أعطاه الشيخ إبراهيم مبلغاً من المال أرسله إليه مع أحد الأخوياء لا نعرف مقداره، وقد لاحظنا أن ذلك الرجل المجنون خرج من الإمارة وعلامات السرور والفرح تكسو وجهه، على الرغم من أنه كان رجلاً غير طبيعي. وهذه من الحوادث التي شهدتها بنفسي، واطلعت على ما يتمتع به الشيخ إبراهيم من الحلم وسعة الصدر وطيبة القلب"[1].

ومن الشخصيات التي عملت مع الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في مكة الأستاذ علي حسن أبو العلا الذي تقاعد وكيلاً مساعداً لإمارة منطقة مكة المكرمة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

كان الأستاذ علي حسن أبو العلا رئيساً لبلدية جدة، فلما انتهى عمله في بلدية جدة، نقل إلى الرياض، وطلب إليه الشيخ إبراهيم البراهيم أن يأتي للعمل معه في إمارة مكة المكرمة، وحدّث الأمير مشعل في هذا الشأن، فأمر بنقله إلى مكة بناءً على طلب وكيل الإمارة.

---

(١) مقابلة خاصة في مكة المكرمة مع الأستاذ علي بشاوري، وكيل إمارة منطقة مكة المكرمة سابقاً.

وفي مكة تعرف الأستاذ أبو العلا على الأمير إبراهيم بن عبد العزيز عن قُرب، وهو يروي عن اتصال شخصي ومعلومات مباشرة، مدى عطف الأمير إبراهيم على الناس واهتمامه بمشاكلهم، ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم. قال: "إنه كان محباً للخير ومساعدة الضعفاء"، وإنه كان يوصي جميع موظفي الإمارة بتسهيل أمور المراجعين، وبصورة خاصة الضعفاء والفقراء والنساء والأرامل والأيتام منهم، بل كان كثيراً ما يسهم بنفسه في تقديم العون والمساعدة للمحتاجين من جيبه الخاص، ويحرص كل الحرص على عدم إذاعة ذلك، لأنه كان يقوم بذلك ابتغاء مرضاة الله وحده، وليس طمعاً في سمعة أو جاه.

كان الأمير إبراهيم حريصاً على أن يذهب إلى رئيس كل شعبة ليخرج له ما لديه من معاملات موقوفة للإطلاع عليها، وكان يحرص بصورة خاصة على المعاملات التي تدون عليها ملاحظات، وتحتاج إلى مساعدة، أو تلك التي تخص عوائل بائسة أو فقيرة، أو تخص أرملة تراجع عن ابن سجين لها، إذ كان، رحمه الله، يرتاح لإدخال الفرحة على قلوب أسر المساجين وأبنائهم. فكان يدون بيده أسماء الكثيرين من المساجين ليشملهم "العفو الرمضاني" الذي يأمر به الملك عادة، متحملاً مسؤولية ذلك، كما أنه كان، في كثير من الحالات، يرسل البرقيات للحصول على الموافقة بمعالجة بعض المرضى، أو إطلاق سراح بعض المساجين، وكانت برقياته، تُرفع، بشكل خاص، إلى الديوان الملكي، وغالباً ما كان الأمر الملكي يصدر بالموافقة على ما يرفعه، مما يدل على الثقة التي يتمتع بها، والأهمية التي تمنح لآرائه ومقترحاته.

ويروي الأستاذ علي حسن أبو العلا حادثة، من حوادث كثيرة، شهدها في مكة خلال قيام الشيخ إبراهيم البراهيم بوكالة الإمارة، تدل على مدى اهتمامه بالمواطنين:

"تلقت الإمارة شكوى من بعض الجزارين تشير إلى مضايقات يلقونها من موظفي البلدية، ومنها مصادرة ما يبيعونه من لحوم أحياناً. فطلب الأمير إبراهيم إلى الأستاذ علي حسن أبو العلا أن يذهب بنفسه ويطّلع على أسباب الشكوى، ويرفع له تقريراً عن حقيقة الأمر. فذهب والتقى بأصحاب المشكلة، ولما تأكد من صحة أقوالهم، رفع تقريره إلى وكيل الإمارة

الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز، فقام بدوره بالاتصال بأمين العاصمة آنذاك، الأستاذ عبد الله عريف، موضحاً له مشكلة هذه الفئة من المواطنين الذين يعملون من أجل كسب أرزاقهم، فتصادر البلدية أموالهم لأتفه الأسباب، فأمر معاليه بأن تبقى السوق على ما هي عليه"[1].

• • •

والمواقف الإنسانية في حياة الأمير إبراهيم كثيرة لا تكاد تحصى، ترافقه في عمله وحياته يومياً وبعضها لا يخلو من طرافة ومغازٍ إنسانية. ومن هذه المواقف الطريفة ما حدث في قصر السقاف بالمعابدة.

كان مقر إمارة مكة المكرمة في قصر السقاف. وكان للقصر بوابتان أُولاهما من جهة الجميزة والثانية من جهة حي الملاوي "الفيصلية". وقد أزيلت البوابتان منذ سنوات. وكان لكل بوابة حارس خاص، وحدث أن أصيب فرد من عائلة أحد الحراس "الخوي" بمرض مفاجئ وهو في مقر عمله، فجاء ابنه يسعى ليخبره بخطورة الحالة، عسى أن يتدبر والده الأمر بطريقة ما، فلم يجد بداً من أن يهرع لإسعاف مريضه، ولكنه لم يجد من يقوم عنه بالحراسة فأوقف ابنه البالغ من العمر عشر سنوات على البوابة، وأوصاه بعدم إدخال أي شخص حتى يعود. وذهب الأب وبقي الغلام يقوم بالمهمة التي كلفه بها أبوه، ولكنه ما لبث أن فوجئ بسيارة فخمة تقف عند الباب، وتشير بالأنوار، وتزمّر، وكان الوقت بين صلاتي المغرب والعشاء، والسائق يشير إليه ويستعجله بفتح الباب.

ولكن الغلام كان يرفض فتح الباب ويقول: "الدخول ممنوع"، والسائق يلح بعصبية: "افتح... افتح الباب". فأرخى الراكب بجوار السائق زجاج السيارة لمحادثة الغلام الذي ازداد في إصراره وتمسكه بتعليمات والده. وكان الراكب يحاوره فيصرّ الغلام على موقفه وهو يقول ببراءة الأطفال: "ممنوع... حتى ولو كنت ابن إبراهيم".

---

(١) مقابلة خاصة مع الأستاذ علي حسن أبو العلا في مكة المكرمة.

كان الراكب هو وكيل الإمارة الشيخ إبراهيم البراهيم فعلاً، فضحك مقدراً أمانة الحارس الحدث، وقال له برقة: "أنا ابن إبراهيم... هل تسمح لي بالدخول أم لا؟" واستدرك الغلام بذكاء ابن البادية وفطرته، وكانت سمعة ابن إبراهيم قد بلغت حتى الأطفال، فتراجع قائلاً وهو لا يعرف من هو ابن إبراهيم وكيل إمارة مكة وقال:

"إذا كنت ابن إبراهيم صحيح... فتفضل". وسارع إلى فتح الباب. ولم يدع الأمير إبراهيم الفرصة تفوت. فتوقف بعد فتح الباب، ونادى الغلام وسأله: "من أنت؟ وماذا جاء بك"، فأخبره الغلام بالأمر كله، فربت على كتفه وهو يقول "بارك الله فيك".

ولما أنهى الشيخ إبراهيم المعاملات والقضايا التي جاء من أجل إنجازها، عاد مغادراً قصر الإمارة من الباب نفسه، فتوقف عند الحارس "الخوي"، وكان قد عاد من إسعاف مريضه، فقال له:

"سلامات... عسى خير!" وسأله إذا كان يحتاج إلى خدمة أو مساعدة. كان تعامل الأمير إبراهيم مع المواطنين بهذه الروح والرماثة، ولذلك اكتسب ما عُرف به طيلة حياته من سمعة طيبة في جميع المناطق التي عمل فيها، وبين جميع من اتصل بهم من الناس. وكان بالإمكان أن يتحول حادث الغلام الذي رفض إدخال وكيل الإمارة إلى مقر الحكومة إلى قضية إهمال وتسيب من جانب الحارس ومعاقبته لتركه مقر عمله، ولكن الجانب الإنساني كان على الدوام هو الجانب الذي يسيطر على مواقف الأمير إبراهيم ويوجه أعماله[1].

ومع ذلك، يصعب تحديد إنجازات الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في مكة بصورة دقيقة؛ لأنه لم يكن المسؤول الأول في المنطقة، ولكن خبرته الإدارية السابقة جعلته يسهم في خدمة مهبط الوحي وقبلة المسلمين خدمات صامتة كثيرة لا يزال أبناء مكة وما جاورها يذكرونها بالتقدير.

---

(١) محمد موسم المفرجي، مقالة في "الندوة"، العدد ٨٢٤٤، ٥ شعبان ١٤٠٦هـ (١٥ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).



الفصل السادس

في عسير

فـي عسـير

كان الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، ولي عهد المملكة العربية السعودية في زيارة إلى منطقة عسير في أواخر جمادى الثانية ١٤٠٥هـ (آذار / مارس ١٩٨٥م). ولما وصل إلى مطار بيشة، كان في استقباله الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز، وكان في الاستقبال أيضاً الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم، الذي كان في ذلك الوقت أميراً للباحة، ولكنه جاء إلى بيشة خصيصاً ليكون في استقبال ولي العهد.

ولما وصل الأمير عبد الله وجلس المستقبلون في قاعة المطار، قال الأمير خالد لولي العهد، مشيراً إلى الأمير إبراهيم البراهيم:

– هذا طال عمرك، إبراهيم علّمنا أسلوب الإدارة في الإمارة.

كان هذا رأي أمير عسير في إبراهيم البراهيم الذي كان في فترة سابقة وكيلاً لإمارة عسير، وعمل بمعية الأمير خالد الفيصل ردحاً من الزمن. وكانت كلمته التي صرح بها أمام ولي العهد لفتة كريمة دلت على الوفاء وسمو الخلق، ولكنها دلت في الوقت نفسه على المكانة التي كان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز يتمتع بها، ومدى التقدير والاحترام الذي يحمله له سمو الأمير خالد الفيصل. وقد شكره الأمير إبراهيم على هذه المجاملة، وقال بتواضع:

– بل إن قدراتكم المعروفة هي التي أهلتكم لهذا الموقع.

فعاد الأمير خالد الفيصل، وأكد من جديد أنه أفاد من خبرات الأمير إبراهيم وتجاربه، عندما كان وكيلاً لإمارة عسير قبل بضع سنوات، وقبل انتقاله أميراً للباحة[1]. وكان الأمير خالد الفيصل صادقاً في تقييمه؛ لأن الأمير إبراهيم كان قد اكتسب خبرة عظيمة في الإدارة خلال السنوات الطويلة التي قضاها أميراً للقنفذة، ثم وكيلاً لإمارة مكة المكرمة.

(١) معلومات تفضل بتزويدنا بها الشيخ عبد الله بن محمد الشبانة خلال حديث خاص معه في الرياض في ١١ نيسان / أبريل ١٩٩٧م، وكان حاضراً خلال هذا الحوار الذي أشارت إليه في حينه جريدة "عكاظ" الصادرة خلال أيام الزيارة (العدد الصادر في ٢٦ جمادى الأولى ١٤١٥هـ – ١٨ مارس ١٩٨٥م).

كان قد مضى على الأمير إبراهيم نحو تسعة أعوام وكيلاً لإمارة مكة المكرمة حين قررت الحكومة سنة ١٣٨٩هـ نقله إلى منصب مستشار في وزارة الداخلية. وربما كان ذلك تمهيداً لنقله إلى منصب إداري آخر، فعمل في منصبه الجديد بوزارة الداخلية نحو عام واحد فقط، وبعدها عُين وكيلاً لإمارة منطقة عسير، فوصلها في سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

تقع منطقة عسير في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، بين الحجاز شمالاً واليمن جنوباً، ومساحتها حوالي مائة ألف كيلومتر مربع، وأرضها تتألف من السهول الساحلية والجبال العالية والأودية. وكانت عسير في تاريخها منطقة زراعية تحت حماية الخلفاء العباسيين في بغداد، وفي وقت لاحق أصبحت تابعة للدرعية منذ بداية دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وإمارة الإمام محمد بن سعود ووصول اثنين من آل أبو نقطة للدرعية طلباً للعلم وتلبية للدعوة. وبعد إتمامهما الدراسة، عيَّنهما الإمام محمد بن سعود أميرين لعسير تابعين لإمارة آل سعود. وفي سنة ١٨٧٢م احتل العثمانيون عسير، وأصبحت إبان حكمهم متصرفية مركزها أبها، وتتبعها ستة أقضية هي: بني شهر، وغامد، ورجال ألمع، ومحايل، والقنفذة، وصبيا. واستمرت هذه التقسيمات إلى آخر أيام العثمانيين في المنطقة[1].

وكان أشراف مكة والأدارسة يتنازعون النفوذ على عسير. واتخذ الأدارسة مدينة صبيا عاصمة لهم. وفي سنة ١٩٠٠م حاول السيد محمد الإدريسي الاستقلال بعسير بعد طرد الحامية التركية، ثم أعاد الكرَّة إبان الحرب الطرابلسية مستعيناً بالإيطاليين، ثم انضم إلى البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى لتحقيق هدفه، وعقد معهم معاهدة في آيار / مايو ١٩١٥م، وتمكن من إخراج العثمانيين من معظم عسير، وبذلك أمكن الحفاظ على حكم آل عائض شبه المستقل في مدينة أبها[2]. وقد تمكن الإدريسي من الوقوف في وجه الملك حسين

---

(١) **بيان العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيى حميد الدين**، الكتاب الأخضر الذي أصدرته وزارة الخارجية للمملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، سنة ١٣٥٣هـ (الملحق الجغرافي والتاريخي، ص"ز").

(٢) Admiralty، Geographical Handbook of Arabia، London: Naval Intelligence Division، ١٩٢٠.

من ناحية، وفي وجه الإمام يحيى من ناحية أخرى. ومهَّد له البريطانيون الاستيلاء على الحديدة، ومرت المنطقة بفترة من الاضطرابات والفوضى، وأصبحت تحت ضغط شديد من اليمن. وفي محاولة لإحباط مخططات اليمن، التجأ الأدارسة إلى الملك عبد العزيز آل سعود، الذي كان قد نجح في ضم الحجاز إلى مملكته.

وكان الملك عبد العزيز، وهو يخوض معاركه المتتابعة مع ابن الرشيد لضم حائل إلى الدولة السعودية، يفكر في كيان متماسك لدولة عربية موحدة، ذات حدود آمنة. وكان، بما أوتي من الذكاء وبُعد النظر، يدرك ما لعسير من أهمية خاصة بسبب موقعها جنوبي الحجاز، مما يجعلها إلى حد ما باباً جنوبياً للحرمين الشريفين.

كانت الدولة العثمانية منذ تأسيس المتصرفية تحافظ على آل عائض، وتستعين بهم، بل كانت تعيّن أحد أمراء هذه الأسرة معاوناً للمتصرف في عسير. وآخر من تولى هذا المنصب حسن بن علي بن عائض، الذي عُيِّن معاوناً للمتصرف سليمان شفيق باشا الكمالي في سنة ١٩١٢م.

وبعد اضطرار العثمانيين إلى الجلاء عن المنطقة سنة ١٣٣٦هـ – ١٩١٨م، استقل ابن عائض بحكمها، وكان مستبداً، فنفرت القبائل من حكمه، لاسيما شهران وقحطان[1].

وكانت مكانة الملك عبد العزيز تزداد في هذه الأثناء قوة وانتشاراً، وربما كانت حركة الإخوان قد وصلت آثارها إلى فئات من قبائل منطقة عسير، مثل قحطان وشهران، مما وسع شقة الخلاف بين تلك الفئات والأمير حسن بن عائض، إضافة إلى سوء معاملة الأمير حسن لتلك القبائل[2]. ونتيجة لذلك كله، اتصل قادة الفئات المذكورة بالسلطان عبد العزيز يشكون إليه معاملة أميرهم، وبادر السلطان بإرسال وفد من ستة من فحول علماء نجد إلى أبها، وكتب إلى الأمير حسن بن عائض وإلى رؤساء قحطان وشهران يحضهم على المسالمة،

---

(١) الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، الرياض، ١٩٩٦م، ص١٧٦.
(٢) أمين الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته**، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٤م، ص٣٠٠، سعود بن هذلول، **تاريخ ملوك آل سعود**، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص١٢٠.

وينصحهم بالرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم، فرفض الأمير حسن هذه الوساطة واعتبرها تدخلاً في شؤونه الداخلية، وأعاد العلماء قائلاً لهم: "إذا تدخل ابن سعود في شؤون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل (قلعة بيشة) بقوة من قبائل عسير، ونحتلها حيث أنها كانت تابعة لإمارة أجدادنا في الماضي"[١].

واجتمع هذا الرفض المشوب بالتهديد مع عوامل أخرى مهمة، منها وجود علاقة جيدة حينذاك بين (السلطان) عبد العزيز والإدريسي المناوئ لابن عائض، وحذر (السلطان) عبد العزيز من امتداد نفوذ الملك حسين إلى المنطقة، وما كان يوجد من ارتباط عسير السابق بالحكم السعودي[٢]. فرأى الملك عبد العزيز أن الوقت مناسب لتحركه من أجل تحقيق فكرته في توحيد أرجاء المملكة، فأرسل ابن عمه الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي في ألفين من الجنود، وأمره بأن يدعو حسن بن عائض للسلم أولاً. ووصل الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى أبها، واشتبك مع قوات ابن عائض في موقع اسمه الحجلاء، بين أبها وخميس مشيط، وكانت معركة عنيفة انتهت بهزيمة ابن عائض، ودخل الجيش السعودي إلى أبها بدون مقاومة، وواصل ابن مساعد سيره حتى السراة إلى حدود الأدارسة، الذين كانوا آنذاك قد أعلنوا ولاءهم لآل سعود.

وأسر عبد العزيز بن مساعد بعض آل عائض الفارين، ورجع حسن ومحمد إلى الأمير ابن مساعد مستسلمين، فأرسلهما إلى الرياض، حيث أقاما بضيافة السلطان عبد العزيز آل سعود، واتفقا معه على أن يكونا إلى جانبه كما كان أجدادهما من قبل.

وبلغ من ثقة الملك عبد العزيز بنفسه أن عرض على حسن بن عائض أن يعَينه أميراً لعسير فاعتذر عن عدم قبولها قائلاً: "قد عادينا الناس، ونخشى إذا أمرتنا أن يقوموا علينا، ولكننا نكون معاونين لمن تؤمّرون أيدكم الله"، فوافق السلطان عبد العزيز وسمح لهما بالعودة إلى أبها بعد أن منحهما مبلغاً كبيراً، وخصص لهم مرتبات شهرية.

---

(١) ابن هذلول، ص١٢١.
(٢) العثيمين، ص١٧٦.

عاد الرجلان إلى بلادهما راضيين مغتبطين، فأقام محمد في أبها عند حاكمها، وكانت سيرته حسنة، أما حسن فقد استأذن في أن يسافر إلى بلدته حرملة ليجلب عائلته إلى العاصمة، فأُذِن له. ولكنه عندما وصلها تمنّع فيها، وشرع يدس الدسائس على ابن سعود.

أما عبد العزيز بن مساعد، فقد أمره السلطان عبد العزيز بالعودة إلى الرياض، وكان ذلك في ٤ صفر ١٣٣٩هـ (١٨ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٠م)، فغادر أبها دون أن يترك فيها حامية تراقب أحوال المنطقة، مكتفياً بجعل كل شيخ من مشايخ عسير أميراً على بلدته وفقاً لتعليمات السلطان، إلى أن عيّن السلطان أميراً على عسير، ولكن السكان أخذوا يشكون منه، فاستبدل به آخر، فلم تتوقف الشكاوى، ثم استبدل بهذا غيره، فاستمرت الشكاوى. ومن المحتمل أن أولئك الأمراء بدر منهم ما يوجب الشكوى، لكن من المحتمل أيضاً أن تلك الشكاوى كانت نتيجة تحريضات من جهات معينة كابن عائض أو الملك حسين[1].

وقد تطور الأمر حتى تزعم ابن عائض ثورة في عسير، وحاصر الأمير الذي عينّه الملك عبد العزيز في أبها، فاضطر ذلك الأمير إلى الخروج منها مع تلك الحامية بأسلحتها، لكنه جمع أنصاراً من أبناء المنطقة في خميس مشيط، وحاول مقاومة ابن عائض، ففشل[2].

وقد جرت هذه الأحداث في الوقت الذي سجّل فيه الملك عبد العزيز انتصاره النهائي على آل رشيد في حائل. فلما علم بما حدث في أبها جهز جيشاً قوامه ستة آلاف مقاتل، معظمهم من الإخوان، وولى قيادته نجله الثاني فيصل. وانطلق ذلك الجيش من نجد في شوال ١٣٤٠هـ (حزيران / يوليو ١٩٢٢م)، والتحق به قرب منطقة عسير أربعة آلاف من قحطان وزهران وشهران وغيرها، وواصل زحفه نحو أبها فدخلها، ولكنه وجدها خالية تقريباً، ولم يبق فيها غير العجزة،إذ تركها آل عائض وأنصارهم، بينما لجأ حسن إلى حرملة.

وكانت حرملة حصناً في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ خاصة لا يعرفها

---

(١) العثيمين، ج٢، ص١٧٨.

(٢) هاشم النعمي، **تاريخ عسير** (مكان الطبع وتاريخه غير مذكورين)، ص٢٥٥ - ٢٥٦.

غير أهلها. وكان آل عائض في محاربتهم الأتراك يلجأون إليها، وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم. ومع ذلك، فقد تمكن الأمير فيصل بن عبد العزيز من اقتحامها أخيراً، ولكنه وجد أن حسن بن عائض قد فرَّ منها. أما محمد بن عائض، فقد سار إلى القنفذة واستنجد بالملك حسين، فأمدَّه بسرية صغيرة ومائتي جندي نظامي.

وبعد فرار حسن ومحمد وهزيمة الجيش الحجازي، عيّن الأمير فيصل سعد بن عفيصان أميراً على أبها، وأقام فيها حامية عددها خمسمائة جندي، وعاد بمن بقي من جيشه إلى الرياض.

وتمكن آل عائض من الحصول على معونة من الملك حسين، فنسقوا مع أنصارهم من عسير، وحاصروا ابن عفيصان في أبها. وأخرج ابن عفيصان قوات لصدهم، لكنها لم تنجح في بداية الأمر، وكادت أبها تسقط في أيدي المحاصرين لولا وصول نجدة من الرياض[1]، كما سبقت الإشارة.

ولما توفي ابن عفيصان بعد تلك الحادثة بأيام قلائل، عيّن السلطان عبد العزيز بدلاً منه في الإمارة عبد العزيز بن إبراهيم، الذي امتاز بالحزم والدهاء، وكان من دهائه أن ذهب بنفسه إلى ابن عائض في حرملة، وتفاوض معه، وبذل له ما أرضاه، ثم استقدمه إلى أبها وأكرمه، واتفق معه على سلام أدى إلى ترحيله مع بقية أسرته إلى الرياض؛ حيث أقاموا جميعاً معززين مكرمين. وبذلك تم توحيد منطقة عسير مع ما وحّده الملك عبد العزيز من مناطق البلاد.

وبعد هذه الأحداث بنصف قرن تقريباً، حيث استقرت الأمور، ونعمت البلاد بالسلم والطمأنينة، يصل إلى عسير ابن عبد العزيز البراهيم وكيلاً لإمارتها، تلك الإمارة التي غادرها طفلاً في السادسة من عمره مع أبيه الذي كان أميرها.

تُرى ماذا كان شعوره ساعة وصوله إلى عسير؟، هل كان شعوراً بالحنين إلى الماضي؟ أم أنه كان قد نسي مراتع صباه فيها، وعاد وكأنه ينزل منطقة جديدة عليه، ليس له بها عهد سابق.

(١) العثيمين، ج٢، ص١٧٨ - ١٧٩.

كانت الحكومة السعودية قد قررت أن تجعل إمارة عسير "إمارة منطقة"، وصدر الأمر الملكي بتعيين الأمير فهد بن سعد أميراً، والشيخ إبراهيم البراهيم وكيلاً للإمارة. وكان تعيينه سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، فوصلها قبل الأمير فهد بن سعد، ليمهد له الأعمال، وتأخرت مباشرة الأمير فهد، وكان الأمير إبراهيم البراهيم يضطلع بمسؤوليات الإمارة، حتى وصوله.

ولما نُقل الأمير فهد بن سعد إلى حائل، عُين الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أميراً لمنطقة عسير، فعمل الأمير إبراهيم بن عبد العزيز مع سموه وكيلاً للإمارة حتى سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.

حينما تسلم الشيخ إبراهيم البراهيم أعمال منطقة عسير، اهتم بتطوير العمل، ويبدو أنه لم يقتنع بالطريقة التي كانت تسير عليها الأعمال، فضلاً عن عدم وجود تشكيل إداري يتماشى مع حجم العمل.

وكان الشيخ إبراهيم البراهيم خلال الفترة الانتقالية بين عمله وكيلاً لإمارة مكة المكرمة، ووكيلاً لإمارة عسير، يختار من موظفي وزارة الداخلية وبعض الدوائر الحكومية الأخرى من يجدهم من ذوي الكفاءة والسمعة الحسنة ليستعين بهم في تطوير جهاز الإمارة وأداء العمل وإنجاز الكم الهائل من المعاملات. وقد شرع في وضع التشكيل الإداري الجديد وأشرف بنفسه على هذا التنظيم الجديد.

وقد وفَّر للموظفين الذين حضروا من الخارج سكناً في الإمارة، رغبة منه في الإفادة من الوقت، وكان يسهم معهم في العمل بنفسه إلى وقت متأخر من الليل، من أجل تنظيم الأعمال وإنجاز المتأخر منها. وكان الأستاذ محمد بن علي بن زيد، الذي أصبح فيما بعد وكيلاً لإمارة عسير، مديراً للجوازات والجنسية في أبها في ذلك الوقت، وقد وصف لنا ما شهده خلال هذه الفترة من الصفات التي يتميز بها الأمير إبراهيم، وهي الثقة بالنفس، والقدرة على اتخاذ القرارات، والبت في الأمور، وسرعة البديهة، والصبر والتحمل. كما كان رحمه الله في غاية اللطف

والتهذيب، وكان وهو على مكتبه وفي مجالسه الرسمية، لا يخرج حديثه مع من حوله عن أمور العمل وما يتطلبه أداؤها، ويسهّل على الموظفين إجراءاتهم وتوفير الخدمات لهم، واقتراح أي عمل من أعمال النفع العام لمواطني المنطقة، وتشجيع إسهامات الموظفين في تسيير معاملات المواطنين وأعمال التنمية. أما في مجالسه الخاصة ورحلاته، فكان بشوشاً، متواضعاً، لطيف المعشر، يتحدث مع الجميع ويستمع إليهم "حتى أن البعض لم يكن يصدق أنه ذلك المسؤول الكبير وذلك الرجل المهاب".

ومن المواقف التي شهدها الأستاذ محمد بن علي بن زيد بنفسه، ورواها لنا، ما يلي:

"عرض عليه أحد موظفي الإمارة (أي إمارة عسير) قضية ما، مقترحاً بعض الحلول، إلا أن معاليه لم يأخذ بتلك الاقتراحات، ووجّه بإجراء يخالف الاقتراح الذي أبداه الموظف. فما كان من ذلك الموظف إلا أن ذهب إلى الأمير إبراهيم، وكيل الإمارة الذي كان يقوم بأعمال الأمير، وكان في مكتبه عدد من الوجهاء يزورونه، وأخذ يجادله ويحاول إقناعه بصواب اقتراحه، فلم يبد الأمير أي اهتمام للأمر، وأوعز إلى الموظف بالانصراف، وبعد خروج زواره، استدعاه وقال له بلهجة هادئة ولكنها حازمة: لقد أخطأت يا هذا. تأتي وتجادلني بحضور أعيان البلد ووجهائه؟، لقد كان يحسن بك أن تضع رأيك مكتوباً وترسله، أو تتفاهم معي بأسلوب مهذب في وقت مناسب، وعندما يكون مكتبي خالياً من الناس، فإما أقنعتني وأخذت برأيك، أو أقنعتك بما وجهت به. فأرجو أن لا يتكرر منك هذا الخطأ. وخرج الموظف راضياً وهو يعتذر".

وروى الأستاذ محمد بن علي بن زيد أيضاً موقفاً آخر للأمير حدث معه شخصياً، حين كان الأمير وكيلاً لإمارة عسير. فقد عُرضت على الأستاذ زيد معاملة درسها ثم أعدّ بها مذكرة شرح فيها القضية مقترحاً بعض الحلول. وكان أحد طرفي القضية يتابعها، ولعله اطّلع على ما اقترحه، فلم يرضه ذلك، فسارع إلى تقديم شكوى إلى الأمير إبراهيم، وزعم أن في اقتراحه تحيزاً لخصمه، فوعد الأمير إبراهيم بدراسة الموضوع. فلما وصلت المعاملة إلى الأمير أحالها للإدارة الاستشارية لدراستها وإبداء الرأي فيها، فدرستها وقدمت نتيجة دراستها للأمير،

فاطلع عليها وقارنها بدراسة الأستاذ زيد. ولما تبين له أن ادعاء المشتكي كان باطلاً، أعاد المعاملة إلى الأستاذ زيد ليعمل بالرأي الذي أبداه وشكر له اقتراحاته، قائلاً له: "أنا لا أشك في المسؤولين عادة حتى يثبت ما يوجب الشك. واقتراحاتك كانت مبنية على الأمانة والاجتهاد الصحيح، وسيكون النجاح حليفك إذا سرت على هذه الطريقة دائماً دون أن تهتم بضغط خارجي أو شكوى. فكانت نصيحة يقول الأستاذ محمد بن علي بن زيد إنما كانت ذات أثر كبير فيه، وإنه عمل بها دائماً"[1].

قال الأستاذ صالح عبد الله العواد، مدير عام الشؤون المالية والإدارية بإمارة عسير، الذي عمل مع الأمير إبراهيم عندما كان وكيلاً لإمارة عسير:

"كان رحمه الله يتصف بالحزم المقرون بالعدل، وبغير قسوة، يساعد المحتاجين دون معرفة ولا وساطة، وفي صمت، وهدوء.

كان لطيفاً في جلساته الخاصة، يتميز بقوة الذاكرة، دائم الاهتمام بالآخرين وبأحوالهم. أما في العمل فكان ودوداً يستمع للصغير والكبير، والغني والفقير، ويحرص على وصل الحق لأصحابه"[2].

وقد حدثنا الأستاذ صالح بن فرحان بن عبد الله آل سعدان، الذي تقاعد عن العمل سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م من وظيفة مدير الشؤون الأمنية بإمارة عسير، وكان قد عمل مديراً للمكتب السرّي والبرقيات طوال الفترة التي عمل فيها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في إمارة عسير. قال:

"كان معاليه خلال عمله المحرك الأساسي في الإمارة والساعد الأيمن لسمو الأمير، حيث أن الأمير خالد قد جاء إلى منطقة عسير فوجد الأمور والأعمال غاية في التنظيم بعد أن كان عدد موظفي إمارة عسير قبل مجيء ابن إبراهيم لا

(١) مقابلة خاصة مع الأستاذ محمد بن علي بن زيد وكيل إمارة عسير.

(٢) صالح عبد الله العواد في تصريح لجريدة "عكاظ" العدد ٧٢٣٥، ١٤٠٦/٨/١هـ (١١ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

يتجاوز الخمسة عشر موظفاً بما فيهم الأمير. فجاء ابن إبراهيم ومعه العديد من الموظفين الأكفاء من ذوي الخبرة، فتوسعت الإمارة وتطورت... إلخ.

ومن الشخصيات التي ربطتها بالأمير إبراهيم بن عبد العزيز روابط وثيقة حينما كان وكيلاً لإمارة عسير فضيلة الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي، الذي كان رئيساً للمحاكم بمنطقة عسير، وسبق له أيضاً أن عمل مع الأمير إبراهيم رئيساً لمحاكم القنفذة مدة خمس سنوات.

وقد طلبت إلى فضيلته أن يحدثني عن علاقته بالأمير إبراهيم بن عبد العزيز، فتفضل ببعض المعلومات القيمة، وبما عرفه عن الأمير الذي رافقه لمدة تقارب الخمس سنوات عندما كان أميراً للقنفذة، وذلك من سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م إلى مطلع سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م، ثم رافقه في مدينة أبها من منتصف سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م إلى أوائل سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، وقد ربطته بالأمير إبراهيم صداقة حميمة، ومعرفة امتدت طيلة هذه السنوات.

قال الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي:

كان الأمير إبراهيم رجلاً مستقيماً جاداً وعادلاً في إمارته، مهيباً يحترمه الكبير والصغير، عطوفاً، محباً للخير، وكان رحمه الله يجلّ طلبة العلم ويحترمهم، كريماً يتحلى بمكارم الأخلاق والسجايا، وكان قدوة في عمله وتعامله، ومثالاً يحتذى في التواضع، بالغ الاهتمام بذوي الحاجات وبرعايتهم، وشد أزر المحتاجين، مع لين الجانب، رحب الخير وعمق الإخاء. وكان شهماً كريماً، ومثالاً للصلاح والتقوى وأداء الواجب في خدمة دينه ومليكه ووطنه، ذا بصيرة نافذة، ورأي حكيم، وتجربة طويلة بالحياة والناس. دائم الاعتبار وكثير التأمل وفياً لأصدقائه ومحبيه، كثير الوصل والبر لمن عرفه، حفياً بعشيرته الأقربين ولمن يقصده من الناس.

ومع كل هذه الطيبة واللطف، كان رحمه الله حازماً في تنفيذ الأحكام الشرعية، مهيباً عند الخصوم"[1]

ومما يذكره الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي عن علاقته بالأمير إبراهيم حينما كان قاضياً أنه "كان عوناً لنا، بعد الله سبحانه وتعالى"، في حل كثير من المشكلات والقضايا المعقدة، كقضايا القتل والحقوق والمنازعات على الأراضي، سواء في الحجاز، أو القنفذة أو في عسير. وكان رحمه الله محباً لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وكان يشجع القضاة على ذلك، ولكنه كان في الوقت نفسه حريصاً على تنفيذ أحكام القضاء بقوة وحزم. وقد أشاد الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي، أكثر من مرة خلال مقابلته، بمساهمة الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في تطوير منطقة عسير، وكذلك المناطق الأخرى التي عمل بها.

هذا بعض ما رواه الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي، وكان ممن اتصل بالأمير إبراهيم بن عبد العزيز، نجله الشيخ محمد إبراهيم الراشد الحديثي، الذي كان قاضياً في القنفذة، خلال إمارة الأمير إبراهيم بن عبد العزيز عليها. وقد ذكر أن علاقته به تعود أولاً إلى علاقة العمل بين المحكمة والإمارة، وكذلك إلى الزمالة والصداقة التي كانت تربط الأمير إبراهيم بوالده الشيخ إبراهيم الحديثي.

ويروي الشيخ محمد الحديثي أن الأمير إبراهيم بن عبد العزيز كان كبير الاهتمام بأمور المتخاصمين والمراجعين، وأنه كثيراً ما كان يناقش والده بصورة شبه يومية تقريباً، لمعرفة سير القضايا. وقال إنه رحمه الله كان ذا ثقافة دينية واسعة، خاصة في العلوم الشرعية والفقهية. فكان إذا أصدر والده حكماً معيناً في قضية ما، وأتت بعدها قضية مشابهة، فأصدر فيها حكماً مختلفاً، ناقشه الأمير إبراهيم في الحكم واستفسر عن سبب الاختلاف بين الحكمين الصادرين في قضيتين متماثلتين. وأنه كان مع والده يشرحان له ملابسات كل قضية، فيناقشها الأمير إبراهيم ويلح في معرفة مبررات الاختلاف في الأحكام.

(١) مقابلة خاصة في عسير مع الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي.

وكان الأمير إبراهيم حريصاً على إنهاء قضايا منازعات الأراضي بين القبائل بطريقة سليمة، وقضايا الأراضي تعدّ من القضايا المزمنة التي تحدث بين القبائل بصورة مستمرة... وكان الأمير إبراهيم يقوم بتشكيل لجان من الخبراء والقضاة للنظر في تلك القضايا ومحاولة حلها بالطرق السليمة أو بحل عادل يرضي الطرفين.

وذكر لنا الشيخ محمد بن إبراهيم الراشد الحديثي مثالاً على ذلك ما حدث بين قبيلتين تنازعتا في أبها حول الأراضي، وكان بعض أفراد إحدى القبيلتين قد حفر آباراً في الأرض المتنازع عليها، مما أغضب أفراد القبيلة الأخرى، فاشتدت الخصومة وأوشك الخلاف أن يتحول إلى قتال مسلح بين الطرفين. ولكن الأمير إبراهيم قام على الفور بإرسال عدد من "الخويا" ورجال الشرطة للحفاظ على الموقع، وكف القبيلتين عن النزاع حتى انتهاء الموضوع، وعرضه على المحاكم لإصدار حكمها بما تقتضيه الشريعة الإسلامية. وبذلك حقن الأمير إبراهيم دماء كثيرة كانت على وشك أن تراق.

ومن الحوادث التي كادت تؤدي إلى إراقة الدماء، وتمكن الأمير إبراهيم البراهيم من تسويتها والحد منها، ما رواه لنا الشيخ عبد الله بن محمد الشبانة، من أصدقاء الأمير إبراهيم المقربين، ومن الذين رافقوه في عسير في مواقف عديدة أظهر فيها ابن إبراهيم قوة شخصيته وحكمته في معالجة المشاكل، منها حادثة وقعت لقبيلة ربيعة ورفيدة.

كان الأمير إبراهيم في القرعة، يستعد للسفر إلى الرياض بالطائرة، حينما جاءه نبأ مقتل أحد شيوخ المنطقة، وهو أحمد العسكري شيخ قبائل بني عبد العوص، على يد أحد أفراد قبيلة ربيع ورفيدة. قال الأمير : "أوّاه، إن القتال سينشب ما لم نتدارك الأمر". فعدل عن السفر واستقل سيارته حالا، وذهب إلى مقر الإمارة. وهناك كانت الشرطة مجتمعة، والأهالي في هياج عظيم، وهم يقولون: لم يقتله إلا فلان. وفلان الذي ذكروا اسمه شخص من "المتاحمة"، شيوخ ربيعة ورفيدة. وجاء أحد أبناء القتيل وهو يصرخ: "شيخ بدل شيخ"، يريد بذلك أنه سيذبح عبد الوهاب المتحمي، شيخ ربيع ورفيدة، أخذاً بثأر أبيه.

فلما وصل ابن إبراهيم قال: "إن كانت اليد لك، فتوكل على الله واذهب واذبحه. وإن كانت اليد للدولة، فاجلس في مكانك واترك لنا معالجة الأمر".

وتمكن الأمـير إبراهيم بقوة شخصيته وجرأتـه على معالجة الوضع والسيطرة على الموقف[1].

كان اهتمام الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم بشؤون الفقراء والمحتاجين والمظلومين يعود إلى أول عهده بالإدارة، إذ كان منذ توليه الإمارة للمرة الأولى في القنفذة كبير الاهتمام بحالة أولئك الناس، وكان يؤرقه أن يعلم أن هناك من يرقد في السجن مظلوماً أومتهما، ولم يُبت في أمره.

حدثني نجله الشيخ خالد إبراهيم البراهيم أن أحد أصدقاء والده قال له يوماً:

"لماذا تقضي كل هذا الوقت في العمل، ولماذا لا ترفه عن نفسك قليلاً؟" فأجابه:

"وكيف أترك شخصاً في السجن ينتظر انتهاء معاملته، ومصيره متوقف على قرار أتخذه، كيف أستطيع أن أرفه عن نفسي والرجل في السجن؟".

وبدافع من هذا الشعور، أصدر الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بتاريخ ٣ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ (٦ آيار / مايو ١٩٧٣م) التعميم التالي إلى شعب إمارة منطقة عسير، وفيه يؤكد وجوب إنجاز معاملات السجناء بأسرع ما يمكن، كما يؤكد أن أي موظف يتسبب في تأخير معاملة سجين أكثر من الوقت المحدد سيتخذ بحقه العقاب الرادع. وهو تعميم يدل على مدى حرصه على مصالح المواطنين واهتمامه بأمرهم.

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله بن محمد الشبانة في الرياض بتاريخ ١١ نيسان / أبريل ١٩٩٧م.

التاريخ ٣/٤/٩٢هـ

تعميم لجميع شُعَب الإمارة

المكرم/ مدير الشعبة الجنائية

كثيراً ما لاحظنا تأخر معاملات السجناء أكثر من اللازم، وكثيراً أيضاً ما عمَّدناكم بوجوب إنهائها قبل غيرها من المعاملات... ونظراً لأن معاملات السجناء، وخاصة السجناء الذين أوشكت محكومياتهم على الانتهاء... أو السجناء من أرباب الجنح البسيطة والذين لم يُحكموا بعد في انتظار انتهاء الإجراءات على معاملاتهم، وتظل تدور تبعاً للروتين أو نتيجة اللامبالاة بأهميتها، فإذا انتهت تلك الإجراءات وإذا بهم قد مكثوا مدة أكثر مما سيحكم به عليهم... لذا والحالة هذه نُعمّدكم بإتباع الآتي:

أولاً: عند ورود معاملة أي سجين لمكتب الوارد العام، عليه قيدها في الحال ثم إحالتها للشعبة المختصة بعد أن يبيّن بالساعة والدقيقة الوقت الذي وردت وقُيّدت فيه، والوقت الذي سلّمت فيه للشعبة.

ثانياً: على مدير الشعبة عند إحالتها للموظف المختص تبيان ساعة ودقيقة استلامه لها إن لم يقم باتخاذ اللازم عليه هو نفسه. وفي هذه الحالة يترك العمل الروتيني جانباً وينهي موضوعها، شريطة أن لا تبقى معاملة السجين لدى المحرر أكثر من ساعة واحدة ما عدا المعاملات التي يتطلّب الأمر دراستها دراسة مستفيضة، فهذه تُدرس على أن ينتهي موضوعها بنفس اليوم الذي وردت فيه.

ثالثاً: على النُسّاخ حالة ورود معاملات السجناء إليهم أن يقوموا بنسخها قبل غيرها على أن لا تمكث معاملة السجين لدى الناسخ أكثر من ساعة واحدة. وعلى الشعبة إيضاح الوقت بالساعة والدقيقة الذي تُسلّم فيه المعاملة للنسخ... هذا وليكن معلوماً لدى الجميع بأن أي موظف يتسبب في تأخير معاملة سجين أكثر من الوقت المحدد آنفاً، سوف يُتخذ بحقه العقاب الرادع، وقد زُوِد موظفو الاستعلامات (المعقبون) بصورة من أمرنا هذا لتعقيب قضايا

السجناء في شّعب الإمارة بما فيها قسم النسخ، وعليهم إشعار مدير مكتبنا عن أي معاملة من هذا النوع يتسبب أحد الموظفين في تأخيرها للعرض لنا عنه، لاتخاذ ما نراه مناسباً في حقه... ولذا حُرر.

وكيل إمارة منطقة عسير

إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم

صورة من الأصل لمكتبنا

= = لسعادة المدير العام – للإحاطة.

= = للأرشيف.

التاريخ ٣ / ٦ / ٩٢هـ

تعميم لجميع شعب الامارة ..

المكرم / مدير الشعبة الجنائية

كثيرا ما لاحظنا تأخير معاملات السجناء أكثر من اللازم . وكثيرا أيضا ما عمدناكم بوجوب انهائها قبل غيرها من المعاملات .. ونظرا لأن معاملات السجناء وخاصة السجناء — الذين أوشكت محكومياتهم على الانتهاء .. أو السجناء من أرباب الجنح البسيطة والذين لم يحكم بعد في انتظار انتهاء الاجراءات على معاملاتهم — وتظل تدور تبعا للروتين أو نتيجة اللا مبالاة بأهميتها — فاذا انتهت تلك الاجراءات واذا بهم قد مكثوا مدة أكثر مما سيحكم به عليهم .. لذا والحالة هذه نعتمدكم باتباع الآتي :—

أولا — عند ورود معاملة أي سجين لمكتب الوارد العام عليه قيدها في الحال ثم احالتها للشعبة المختصة بعد أن يدون بالساعة والدقيقة الوقت الذي وردت وقيدت فيه — — والوقت الذي سلمت فيه للشعبة .

ثانيا — على مدير الشعبة عند احالتها للموظف المختص تبيان ساعة ودقيقة استلامه لها، ان لم يقم باتخاذ اللازم عليه هو نفسه . وفي هذه الحالة يترك العمل الروتيني جانبا وينهي موضوعها — شريطة ان لا تبقى معاملة السجين لدى المحرر أكثر من ساعة واحدة ماعدا المعاملات التي يتطلب الامر دراستها دراسة مستفيضة فهذه تدرس على أن ينتهي موضوعها بنفس اليوم الذي وردت فيه .

ثالثا — على النساخ حالة ورود معاملات السجناء اليهم ان يقوموا بنسخها قبل غيرها على أن لا تمكث معاملة السجين لدى الناسخ اكثر من ساعة واحدة . وعلى الشعبة ايضاح الوقت بالساعة والدقيقة الذي تسلم فيه المعاملة للنسخ . . هذا وليكن معلوما لدى الجميع بأن أي موظف يتسبب في تأخير معاملة سجين أكثر من الوقت المحدد آنفا سوف يتخذ بحقه العقاب الرادع — وقد زود موظفو الاستعلامات ((المعقبين)) بصورة من أمرنا هذا لتعقيب قضايا السجناء في شعب الامارة بما فيها قسم النسخ وعليهم اشعار مدير مكتبنا عن أي معاملة من هذا النوع يتسبب أحد الموظفين في تأخيرها للعرض لنا عنه لاتخاذ ما نراه مناسبا في حقه .. ولما حرر ......

وكيل امارة منطقة عسير

ابراهيم بن عبدالعزيز البراهيم

صورة مع الاصل لمكتبنا .

— لسعادة المدير العام — للاحاطة .

— للارشيف

ولما فجعت أسرة وأصدقاء الأمير إبراهيم بالحادث الأليم الذي أودى بحياته، امتلأت الصحف السعودية بالمقالات التي كتبت في رثائه، وكان بينها مقالة بقلم الشريف خالد حسين آل زيد، الذي عرفه عندما كان وكيلاً لإمارة عسير، وكان الكاتب منتدباً من قبل وزارة المالية ضمن لجنة كُلفت بمهمة في مدينة أبها، قال فيها:

كان بيته هو المدينة والمدينة بيته... جل أوقاتنا في بيته العامر ننعم بكرم ضيافة وقلب كبير... يخجلك بتواضع العالِم، ويسعدك بحديث المثقف. أجمل أوقاتنا عندما نكون في معيته في شتاء أبها القارس نلتحف بجميل شمائله وحديثه العذب الهامس، أو في خارج أبها بين الحقول والأودية الجميلة يحفنا شذى أريحيته وكرمه الفياض. كان حلو المعشر، لا تمل لحديثه، سماعه يأسر سامعيه في هيبة ووقار وعمق مشاعر.

كان رحمه الله يحافظ على مشاعر جالسيه، يعطي كل ذي حق حقه من التقدير والاحترام... للصغير قبل الكبير، في تواضع ومحبة جعلت مجلسه محجة القوم ومزارهم"[1].

(١) الشريف خالد حسين آل زيد، مقالة بعنوان: ألا رحمك الله يا أبا عبد العزيز، جريدة "الجزيرة"، العدد ٤٩٩٦، ٢٥ رمضان ١٤٠٦هـ (٥ آيار / مايو ١٩٨٦م)، انظر النص الكامل للمقالة في الملحق.



الفصل السابع

رحلة حول العالم

رحلة حول العالم

كان إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم شخصية متعددة الجوانب، واسعة الثقافة والإطلاع، ولم تكن ثقافته من مكتسبات المرحلة الدراسية وحدها. والواقع أن دراسته النظامية أو المدرسية كانت متقطعة وربما مشوشة ومحدودة، بسبب تنقله مع والده في الإمارات المختلفة التي تولاها من جهة، واقتصار دراسته في معظمها على ما تعلمه في "مدرسة العلوم الشرعية" في المدينة المنورة. وعلى الرغم من أن الدراسة في تلك المدرسة كانت جدية وأصيلة، فإنها كانت أشبه بدراسة اختصاصية مقتصرة على العلوم القديمة، ولم يكن فيها شيء من العلوم الحديثة والثقافة العصرية.

ولكن ثقافة الأمير إبراهيم الحقيقية حصل عليها بجهده الشخصي، ومطالعاته الخاصة، وحبّه للقراءة. فقد كان منذ بلوغه سن التعليم مولعاً بالمطالعة، وخاصة في كتب الأدب والتاريخ.

ومما عزز ثقافته أيضاً ورفدها، تجاربه الشخصية في الحياة، وما شهده من أحداث خلال مرافقته لوالده في مختلف مراحل حياته ومراكز عمله. ثم جاءت أسفاره الكثيرة خارج المملكة، ومشاهداته وملاحظاته خلالها. والأسفار تُعدُّ دائمًا مصدرًا من أهم مصادر الثقافة العامة، ومن وسائل الإطلاع والمعرفة. وكان الأمير إبراهيم يدرك ذلك كل الإدراك، وقد قال مرة، في معرض حديث له مع مراسل جريدة "الجزيرة"، إنه يحب السفر إلى الخارج، والتجول في العالم الواسع، ويعتقد أن السياحة جزء مهم من الإطلاع العام[1].

كانت سفرته الأولى إلى مصر سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م مرافقًا لوالده الأمير عبد العزيز البراهيم حين اشتد المرض عليه، فقصدها للتداوي.

---

(١) جريدة "الجزيرة"، ١٤٠٦/٨/٨هـ - ١٩٨٦/٢/١٨م.

وقد انتهز الأمير إبراهيم فرصة وجوده في مصر، فاتصل بالأوساط الأدبية فيها، وتعرف على عدد من رجالات مصر وأدبائها، وكان منهم الدكتور محمد حسين هيكل، الذي احتفى به الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وكذلك نجله الأمير إبراهيم البراهيم خلال زيارته إلى المملكة العربية السعودية.

وفي سنة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م سافر مع عائلته إلى لبنان للتداوي، وكان أميراً للقنفذة، فقضى فيه عدة أشهر. وكان لبنان في ذلك الوقت، كما هو اليوم، مركزاً من أهم مراكز الثقافة والحضارة في الوطن العربي.

على أن الرحلة الكبرى التي قام بها الأمير إبراهيم كانت تلك التي بدأها سنة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، وكانت أطول رحلاته، وأوسعها نطاقًا، رحلة حول العالم بدأها في جدة وعاد إليها بعد حوالي ثلاثة أشهر، كانت سفرًا متواصلاً زار خلاله معظم أقطار آسيا وأمريكا وأوروبا التي لم يشاهدها قبلاً، وكان على الدوام يشعر برغبة كبيرة في زيارتها.

ولم تكن هذه الرحلة بمهمة رسمية، أو إيفاد حكومي، ولا هي بقصد التجارة أو ما شابه ذلك من أغراض السياحة في هذه الأيام وفي أغلب الحالات، بل كان هدفها مشاهدة أقطار العالم المختلفة، والإطلاع على أحوال البلاد الأخرى ومجتمعاتها وثقافاتها.

واختار الأمير إبراهيم في هذه الرحلة رفيقاً له هو صهره الأستاذ عبد الله إبراهيم الحديثي، الذي هو من كبار رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية، وكان والده، الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي رئيس محاكم منطقة عسير (سابقاً) ورئيس محكمة القنفذة، من أوثق الناس صلة به، كما أنه يُعد من أكثرهم معرفة بأخباره.

ويقال إن جوهر أخلاق المرء، وما خفي من طويته، يظهران على حقيقتهما أكثر ما يظهران في حالات معينة، منها قيام خصومة شديدة معه، أو بسبب خلاف مالي، ومنها أيضاً الرفقة في السفر. وقد يعاشر المرء شخصاً لسنوات عديدة، ويظن أنه يعرف أخلاقه وطبائعه، ثم يسافر معه في رحلة، وإذا به يكتشف في أيام قلائل خلال رفقة السفر ما لم يعرفه خلال سنوات طويلة من العلاقة معه.

وقد تفضل علينا سعادة الأستاذ عبد الله الحديثي بتفاصيل وافية وطريفة عن هذه السفرة الممتعة، وذكرياته عنها، وكذلك ذكرياته عن الأمير إبراهيم والانطباعات التي تكوّنت لديه عن شخصيته خلال هذه الرحلة الطويلة التي استغرقت زهاء ثلاثة أشهر.

انطلق الأمير إبراهيم في رحلته الطويلة من جدة إلى لبنان بالطائرة، يرافقه الأستاذ الحديثي، وبعد قضاء بضعة أيام في ربوعه، سافرا، بالطائرة أيضاً، إلى الكويت، ومنها إلى بغداد. ومن بغداد سافرا بالسيارة إلى البصرة، مروراً بالنجف وكربلاء.

واجتمع الأمير إبراهيم خلال سفرته بكثير من الوجهاء وعلماء الدين، وزار كثيراً من المواقع الأثرية في العراق. وكان يرافقه خلالها مرافق من السفارة السعودية في بغداد كلّفه السفير بهذه المهمة. ولما وصلا البصرة استقبلهما القنصل العام السعودي أيضاً.

ومن البصرة رجع رفيقا السفر إلى الكويت، ثم انتقلا إلى عبادان، وسافرا منها إلى طهران، ثم إلى شمال إيران وبحر قزوين، وكانا يعتزمان مواصلة السفر إلى أفغانستان. وفي طهران لقيا في الفندق الذي كانا يقيمان فيه، وهو فندق "شيراتون"، الشيخ محمد الحمد الشبيلي "أبو سليمان"، الذي تربطه بالأمير إبراهيم علاقة قديمة ووطيدة. وكان أبو سليمان في طريقه إلى كابُل ليتسلم منصبه سفيراً للمملكة العربية السعودية في أفغانستان. فألح عليهما أن يذهبا سوياً إلى كابُل ويبقيا فيها بعض الوقت. فوافقا نزولاً على إلحاحه وسافرا إلى كابُل معًا.

كان الشيخ محمد الحمد الشبيلي من الدبلوماسيين السعوديين المرموقين، وقد مثّل بلاده في باكستان والهند والعراق وأفغانستان وماليزيا، وكان معروفاً بلطفه وكرمه الحاتمي المبالغ فيه أحياناً، وحبه لضيافة أصدقائه وإكرامهم[1]. وقد بقي الأمير إبراهيم والأستاذ الحديثي في كابُل، وتفقدا معالمها واطلعا على أحوالها وزارا بعض ضواحيها.

---

(١) انظر كتاباً شاملاً عن الشيخ محمد الحمد الشبيلي، أعدّه الدكتور عبد الرحمن الصالح الشبيلي - وهو من أقربائه الأوفياء - تضمن سيرته، وجمع فيه كل ما تيسر له من معلومات عن حياته وعمله، وما كتب عنه من مقالات الرثاء والتقدير بعد وفاته، وكتب مقدمته سمو الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية (الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

ومما يؤكده الأستاذ عبد الله الحديثي أنهما وجدا الأفغانيين يتلهفون على مقابلة السعوديين ويتشوقون إلى الحصول على الصحف والمجلات السعودية القديمة والحديثة، إذ تتداولها الأيدي هناك بشكل عجيب.

وكان الأمير إبراهيم يهوى الرحلات البرية، ويفضلها على السفر بالطائرات أو البواخر، ويحب الإطلاع على أحوال المسلمين، وزيارة المساجد ودور العلم في البلاد التي يزورها أو يمر بها خلال سفرته.

وبعد نحو عشرة أيام جميلة في كابُل، سافر مع رفيق رحلته الأستاذ عبد الله الحديثي من كابُل إلى بشاور. وربما كانا بذلك من أوائل السعوديين أو العرب الذين قطعوا المسافة من كابُل إلى بشاور بالسيارة. وقد أقدما على قطعها رغم ما كان يكتنف هذه السفرة من المخاطر؛ فمن المعروف أن منطقة "ممر خيبر" المشهور لا تسيطر عليها سلطات الأمن التابعة لأي من الحكومتين الأفغانية والباكستانية، ولذلك تكثر فيها المشاكل، وينشط قطّاع الطرق وتتكرر الحوادث.

وكان مع الرجلين خلال هذه المرحلة من السفر مرافق سعودي هو الأستاذ محمد الحبابي، من كبار موظفي السفارة السعودية في كابُل، وكان يقول لهما مداعباً بقصد تخويفهما – مع شيء من الجدّية –: "إن أهل خيبر لا يعرفون العملات الورقية، ولا يعترفون بها، وإذا ألقوا القبض علينا واحتجزونا فيجب أن نفتدي أنفسنا بالذهب، ولذلك فالأولى أن نحمل معنا بعض العملة الذهبية لهذا الغرض...".

ولكن السفرة مرت بسلام وبدون أية مشاكل، وقد أخذ الأمير إبراهيم ورفيقه السيارات من بشاور، التي قضيا ليلتهما فيها، وذهبا إلى موقع "سد تربيلا" الذي يقوم على أحد الأنهار الكبيرة في باكستان، وهو من أكبر السدود في آسيا. وتربيلا بلدة صغيرة تقع بين آبوت آباد ومردان القريبتين من بشاور القريبة بدورها من الحدود الأفغانية الباكستانية. وكان الأمير إبراهيم حريصاً على تفقد هذه الأمور التي لها علاقة بالتنمية والزراعة، راغبًا

في الإطلاع على المشروعات التنموية في الدول التي تشابه ظروفها ما هو موجود في المملكة العربية السعودية.

وبعد بضعة أيام قضاها في الزيارة والتجوال في أنحائها من كراتشي إلى لاهور – وحدود كشمير، سافر إلى منطقة الجبال التي كان يحكمها المهراجات في السابق. وهي مناطق جبلية يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف متر، وفيها قصور وفنادق وأنهار جارية، منها منطقة اسمها البحرين. وكانت تلك المرحلة مشوبة بالمخاطر الرهيبة أيضاً، وكان القيام بها مغامرة كبيرة ولكنها انتهت بسلام.

ومن باكستان انتقلا إلى الهند، وزارا مدينة بومبي والمناطق المهمة الأخرى مثل العاصمة دلهي وتاج محل، وغيرهما من الأماكن التي يحرص كل زائر للهند على مشاهدتها.

وفي بومبي لقيا تاجرًا سعوديًا هو الشيخ محمد العلي العبد الله البسام، الذي كان رجل أعمال كبيرًا ومعروفًا يقيم في الهند منذ مدة طويلة، وشخصية معروفة هناك.

والعلاقات بين المملكة العربية السعودية والهند قديمة جدًا، وقد نزح بعض أفراد عائلة البسام إلى بومبي في الهند من مدينة عنيزة في حدود سنة ١٨٨٠م، واشتغلوا بالتجارة بين الهند والمملكة العربية السعودية، وما زال هنالك أفراد منهم يقيمون في الهند ويمارسون التجارة. وفي بومبي شارع باسم (البسام)، وهو الشارع الذي كان يقيم فيه الشيخ محمد العلي البسام، الذي انتقل إلى رحمة الله قبل سنوات.

وبعد الزيارة إلى الهند، اتجه الأمير إبراهيم والأستاذ الحديثي إلى تايلاند، وكانت في تايلاند سفارة سعودية، فرحبت بالزائرين، واحتفت بقدومهما. وفي تايلاند زار الأمير إبراهيم معالمها واتصل بمسلميها وزار مساجدها.

كان الأمير إبراهيم نشيطًا في السفر لا يعرف للراحة معنى، فلا يكاد يصل إلى بلد إلا ويشرع في التجول والإطلاع على معالمه، دون إضافة وقت كثير للراحة. وقد قام في تايلاند برحلات مكوكية إلى شتى أرجائها.

يروي السيد علي عيسى، الداعية المسلم والمشرف على دار الرابطة الإسلامية بتايلاند، أن الأمير إبراهيم خلال زيارته إلى تايلاند، قضى في بانكوك وضواحيها عدة أيام متنقلاً وزائرًا للمساجد والمؤسسات الإسلامية فيها. وفي أثناء مأدبة الغداء التي أقامها السيد علي عيسى تكريماً له، كان مثار دهشة الحضور، ومعظمهم من أبناء المنطقة من العاملين في الحقل الإسلامي بتايلاند، إذ تساءلوا كيف تبتعد شخصية مرموقة وفي منزلته عن الأضواء، في حين أن جميع رجال السفارة رهن إشارته، وكيف يجلس في هذا المنزل المتواضع وفي هذا الجمع ويتصرف وكأنه واحد منهم، يناقش معهم أمور الدعوة، عارفًا وعاملاً وموجهًا ومرشدًا. وكان بين الجمع رجل اعتنق الإسلام حديثًا، وبعد أن قدمه السيد علي عيسى للأمير إبراهيم نفحه قبل مغادرته مبلغًا من المال[1].

وبعد خمسة أيام في تايلاند، سافرا إلى سنغافورة فماليزيا، وعادا إلى سنغافورة فبقيا فيها بضعة أيام، سافرا بعدها إلى أندونيسيا فزارا معظم معالمها وجزرها المهمة، بما فيها جزيرة بالي الشهيرة.

وخرجا من إندونيسيا إلى هونغ كونغ، وبعد مدة قصيرة فيها، سافرا إلى تايوان ثم إلى اليابان وقضيا فيها بضعة أيام اطّلعا خلالها على كثير من مظاهر نهضتها الصناعية، منها زيارتهما إلى مصانع "تويوتا" للسيارات، ثم استقلا القطار السريع "تايكوديا لاين" (الرصاصة) إلى شمال اليابان، حيث زارا مدينة أوساكا. ثم غادرا اليابان إلى جزر هاواي، فقضيا في ربوعها فترة قصيرة وزارا معظم جزرها الرئيسة، طارا بعدها إلى الولايات المتحدة.

دخل الأمير إبراهيم والأستاذ عبد الله إبراهيم الحديثي الولايات المتحدة في مدينة سياتل على ساحل المحيط الهادي بولاية واشنطن. وكان الشيخ عبد العزيز والشيخ خالد، نجلا الأمير إبراهيم، يدرسان في غرب أمريكا، إذ كان الشيخ عبد العزيز يدرس في تاكوما (القرية من

---

(١) علي عيسى، مقالة بعنوان: "ابن إبراهيم كما عرفته"، مجلة "اليمامة"، العدد ٩١٠ الصادر في ١٩ شوال ١٤٠٦هـ (٢٧ حزيران / يونيو ١٩٨٦م)، (انظر نص المقالة كاملاً في الملحق).

سياتل) والشيخ خالد يدرس في جامعة أوريغون بمدينة يوجين[1]. وقد زار الأمير إبراهيم نجليه وتفقد أحوالهما وسير دراستهما، ثم واصل السفر إلى كندا، فقضى فيها أياماً قلائل عاد بعدها يرافقه الأستاذ عبد الله إبراهيم الحديثي ونجلاه الشيخان عبد العزيز وخالد إلى الولايات المتحدة، وزاروا معظم مدنها الرئيسة: لوس أنجلوس، سان فرانسيسكو، شيكاغو، ديترويت، ومدناً أخرى، حتى وصلوا إلى واشنطن ونيويورك.

وقد حصل لهم جميعًا موقف طريف آخر في ديترويت، حيث استقلوا جميعاً سيارة من المطار إلى فندق "هيلتون" في وسط المدينة، وعلى بعد عدة أميال في الطريق إلى مركز المدينة وجدوا تجمعًا كبيرًا في أحد الملاعب الرياضية، دخلوا إلى هذا التجمع، فوجدوه عبارة عن اجتماع للأمريكيين السود في إحدى المناسبات، وقد كان في هذا الاجتماع جمع غفير، وتركوا هذا التجمع وذهبوا إلى الفندق. وقد كانت مفاجأة كبيرة أن يجدوا هذا الفندق الضخم مغلق الأبواب وخارجه حراسة كبيرة، وبعد أن تأكد الحراس أن هناك حجزًا باسم الأمير إبراهيم ومرافقيه، أدخلوهم إلى الفندق، وحمل بعض المديرين الليليين حقائبهم نظراً لعدم وجود موظفين بالفندق على الإطلاق في تلك اللحظة، وعند الاستفسار أعلمهم المدير الليلي أن هذا اليوم يوافق مناسبة تجمع للأمريكيين من أصل أفريقي، وأنه عند انقضاء اجتماعهم بعد قليل، قد تتعرض المدينة لأعمال السلب والنهب والفوضى. وعندما أخبروه أنهم جاءوا للتوّ من هذا الاجتماع أسقط في يده وأوجس في نفسه خيفة، ونظرًا لإغلاق مرافق الفندق ومعظم مطاعم المدينة ومرافقها في المركز الرئيسي، فقد كانت تلك تجربة أخرى لنوع الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبعد هذه الجولة في الولايات المتحدة، رجعا إلى أوروبا بالطائرة، فزارا بريطانيا وفرنسا وأسبانيا في رحلة شيقة عادا بعدها إلى الرياض عن طريق بيروت، بعد رحلة حول العالم امتدت نحو ثمانين يومًا، وكانت متعة للنفس وترويحًا عن متاعب العمل، واطلاعًا على حضارات العالم وثقافاته، وعلى أحوال المسلمين في شتى أنحاء العالم. ولا شك أنه نقل إلى المسؤولين في

---

(١) University of Oregon، Eugene.

بلاده، بعد عودته، صورة جيدة وواضحة عن أحوالهم بغرض دوام المساعدة التي تقدم لهم وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

كانت الرحلة حقًا مصداقًا لقول الشاعر:

تغرَّبْ عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائدٍ

تفرجُ همٍّ، واكتسابُ معيشةٍ، وعلمٌ، وآدابٌ، وصحبةُ ماجدِ



الفصل الثامن

أميرًا للباحة

أمــيرًا للباحـــة

كانت إمارة منطقة الباحة آخر المناصب التي تولاها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، وربما كانت أهمها، من حيث ما أنجزه خلالها، وما حفلت به خدمته فيها من أعمال ومواقف جعلت أهل الباحة يلهجون بذكره حتى اليوم.

لقد منح الأمير إبراهيم منطقة الباحة وأهلها سنوات عمره الأخيرة، وخدمها بالعمل الصادق الدؤوب، والعطاء المتواصل، والعمل ليل نهار، حتى حقق لها الكثير مما تمناه أهلها، وما كانوا يحلمون به من إصلاحات عمرانية وإدارية واجتماعية وصحية، بعد أن كانت عندما تسلم إمارتها سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، عبارة عن مجموعة قرى لم تحظ بغير القليل من أسباب الحضارة، فأصبحت بعد ثماني سنوات منطقة سياحية تتوافر فيها جميع وسائل الراحة من مواصلات جوية، وطرق برية، وماء وكهرباء، وفنادق و"موتيلات"، وحدائق غنّاء، حتى احتلت مدينة الباحة ومنطقتها مكانة ممتازة بين مناطق المملكة.

أحب الأمير إبراهيم أهل الباحة، وأحبوه، وكرس كل جهوده ونشاطه وما حصل عليه في مناصبه السابقة من خبرة، للنهوض بالباحة، وحقق فيها مشروعات لا يمكن حصرها. ففي عهده عُبّدت طرقها بعد أن كانت مهملة، وشُجّرت، وأضيئت بالكهرباء، وأنشئت بها المستشفيات، وانتظمت الإدارة، وأُسّست البلديات، ونُسّقت فيها الشوارع والحدائق والغابات.

تقع مدينة الباحة[1]– عاصمة المنطقة – في الجهة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية، فهي أشبه بواسطة العقد بين منطقتي مكة المكرمة وعسير، كما أنها ترتبط بمدينتي الطائف وأبها عبر ما يعرف بطريق الجنوب، إذ أنها تبعد عن الأولى مسافة ٢٢٠ كيلومتراً، وعن الثانية مسافة ٣٥٠ كيلومتراً.

(١) "الباحة لغةً هي "الماء ومعظمه" و"الساحة" و"النخل الكثير" و"فناء الدار"، و"باحة الطريق وسطه"، وهي تجمع على "بوح".

وتقسم منطقة الباحة إلى قسمين أحدهما يقع على جبل السراة، والثاني في سفح الجبال في تهامة، والقسم الغربي التهامي منها يطل على البحر الأحمر. وهي منطقة تتمتع بجمال أخّاذ، وطقس معتدل صيفًا وشتاءً في السراة، دافئ في قطاع تهامة، وأجواؤها - وخاصة في السراة - ممطرة طوال العام.

وتقطن منطقة الباحة في قسميها (السراة وتهامة) قبائل غامد في الجنوب، وقبائل زهران في الشمال، ولذلك سُمّي القسم الذي تسكنه قبائل غامد (بلاد غامد)، والقسم الذي تسكنه قبائل زهران (بلاد زهران). ومدينة الباحة - وهي عاصمتها - تتوسط القسمين.

أما مساحتها، فقد تفاوتت التقديرات بشأنها تفاوتاً غريباً. فمثلاً جاء في الدليل الذي أصدرته إمارة منطقة الباحة بمناسبة زيارة الملك فهد بن عبد العزيز إلى المنطقة في سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م بعنوان "خطوات منطقة الباحة على طريق التقدم" - وهو منشور رسمي - أن مساحة المنطقة تبلغ "أكثر من اثني عشر ألف كيلومتر مربع" (ص١٩)، بينما جاء في كتاب الباحة، تأليف أحمد بن صالح السياري، مدير العلاقات العامة في إمارة الباحة، أن "مساحة المنطقة تباينت فيها الآراء فمنهم من حددها بحوالي ٣٦ كيلومتراً مربعاً، ومنهم من حددها بـ ٢٥,٥٨٠ كيلومترًا مربعًا".

وكذلك عدد سكانها، فقد قدّرهم علي حافظ في سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م بثلاثمائة ألف نسمة[١]، بينما جاء في كتاب الباحة أن "عددهم يقارب مليون نسمة"[٢].

الباحة في التاريخ:

تعد الباحة من أقدم المدن في الجزيرة العربية. ففي نهاية السنة العاشرة للهجرة، ذهب من منطقة الباحة وفد من قبيلة الأزد، عبر طريق وعرة قاصداً رسول الله ﷺ. وكان

(١) علي حافظ، **أربعة أيام في منطقة الباحة**.
(٢) أحمد بن صالح السياري، **الباحة**، جدة (بلا تاريخ).

الوفد مؤلفاً من ثمانين رجلاً بقيادة الطفيل بن عمرو الدوسي[1]. وفي مكة، قابلوا الرسول الكريم، وأسلموا على يده.

وتتابعت أفواج الداخلين في دين الله من أهل المنطقة. وفي نهاية السنة العاشرة للهجرة، كانت أجزاء كبيرة من منطقة الباحة قد استنارت بالإسلام، ثم تسابقت قبائلها في الجهاد في سبيل الله مع رسوله، فشاركت في غزوات عديدة منها غزوة خيبر، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة حنين، وفتح الطائف، وتبوك، ومكة.

ولما تأسست الدولة الإسلامية واتسعت رقعتها على أرض الجزيرة العربية، قُسّمت إلى وحدات إدارية سميت المخاليف، وجُعلت المنطقة المعروفة اليوم بالباحة، مخلافاً من مخاليف الطائف، وسميت مخلاف شنوءة، وعُيّن حميضة بن النعمان الشنوئي أميراً عليه.

وكان بعض أهل شنوءة قد انضموا إلى المرتدين ليأمنوا بطشهم، فلما وصلت جيوش المسلمين بقيادة جرير بن عبد الله البجلي إلى المنطقة لتأديب المرتدين، كان ضمن أفرادها جمع من غامد وزهران، وسارع الأهالي فانضموا إليهم في قتال المرتدين من أتباع الأسود العنسي، ودحرهم.

وشاركت قبائل غامد وزهران في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واستمرت حياة سكان المنطقة بوتيرة عادية عبر القرون التالية، وسارت متأثرة بالأحداث التاريخية التي توالت على الجزيرة العربية، وبصفة خاصة جهاد محمد بن سعود الذي ظهر في عهده المصلح الديني الإمام محمد بن عبد الوهاب، فاتسعت الحركة الإصلاحية، وتم توحيد الإمارات المتفرقة، إلى أن توفي سنة ١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م، وخلفه ابنه عبد العزيز الذي اتسعت في عهده حدود الدولة السعودية الأولى إلى الرياض والقصيم وبريدة والأحساء.

---

(١) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي، الأزدي، صحابي من الأشراف، في الجاهلية والإسلام. وكان شاعراً، غنياً، مضيافاً، مطاعاً في قومه. وكان "لدوس" صنم يقال له "ذو الكفين"، فلما أسلموا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه. استشهد الطفيل في اليمامة سنة ١١ هـ (٦٣٣م).

واغتيل عبد العزيز بن محمد بن سعود في سنة ١٢١٨هـ - ١٨٠٣م في الدرعية وهو يصلي، فتولى ابنه سعود مقاليد الحكم، وهو الملقب بـ "سعود الكبير". وبايعه الشيخ محمد ابن عبد الوهاب. وبعد وفاة سعود الكبير، انتقل الحكم إلى ابنه الأكبر عبد الله، واستمر في الجهاد.

وفي العهد التركي سادت الفوضى وانتشر الاقتتال في أنحاء متفرقة من الجزيرة، إلى أن تمكن سعود بن فيصل من دخول الرياض سنة ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م، وبعد وفاته بويع عبد الرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م إمامًا وحاكمًا على الرياض، وشهدت الجزيرة العربية في عهده أحداثاً كبيرة حرص فيها عبد الرحمن الفيصل على تجنب الفتن، ولكن ابنه الشاب عبد العزيز كان يتحفز لاستعادة مُلك آبائه وأجداده، وتوحيد الجزيرة العربية. ونفذ أولى عملياته باسترداد الرياض من ابن الرشيد، وكان ذلك إيذانًا ببداية تأسيس الدولة السعودية الحديثة، أو الدولة السعودية الثالثة، كما اصطلح المؤرخون على تسميتها.

وبعد نجاح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في فتح الرياض سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠٢م وهو في الحادية والعشرين من عمره، استمرت عمليات توحيد الجزيرة العربية حتى سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م، حيث بويع عبد العزيز آل سعود في ٨ جمادى الثانية ١٣٣٤هـ (٢٤ كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٥م) ملكًا على الحجاز وسلطانًا لنجد. وفي ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ (٢٢ أيلول / سبتمبر ١٩٣٢م) أعلن توحيد أجزاء المملكة وتسميتها باسم "المملكة العربية السعودية".

ومنذ ذلك التاريخ بدأت مناطق المملكة، ومنها منطقة الباحة، تعيش حياة الاستقرار، في ظل دولة مركزية موحدة، وتسير على طريق التقدم والرخاء بخطى متلاحقة سريعة.

وكانت منطقة الباحة قد تأسست في سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م في بلدة الظفير، وسميت آنذاك بإمارة الظفير، وبقيت كذلك حتى سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، وفيها انتقلت عاصمتها إلى بلدة بلجرشي، وسميت بإمارة بلجرشي.

وفي سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، انتقل مركز الإمارة إلى بلدة الباحة باعتبارها الأقرب إلى وسط المنطقة، وسميت المنطقة بإمارة منطقة الباحة، وصار يتبعها ٣٧ إمارة فرعية. وكان أول من تولى إمارة الباحة تركي بن محمد الماضي، وخلفه فيها تسعة أمراء، كان آخرهم سعود ابن عبد الرحمن السديري.

وفي ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ (٤ نيسان / أبريل ١٩٧٨م)، عُين الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا لمنطقة الباحة، خلفاً لأميرها السابق سعود بن عبد الرحمن السديري. وتسلم وزير الداخلية، الأمير نايف بن عبد العزيز، برقية تبلغه بصدور الأمر الملكي الكريم رقم ١٠٥ وتاريخ ١٣٩٨/٤/٢٦هـ القاضي بتعيينه أميراً لمنطقة الباحة بالمرتبة الممتازة[١] ختمت بالعبارة الآتية: "وإنني إذ أبلغكم ذلك أهنئكم بهذه الثقة الملكية الكريمة متمنياً لكم دوام التوفيق".

إبراهيم بن عبد العزيز إبراهيم في إمارة الباحة: إنجازات عظيمة

قبل وصول الأمير إبراهيم إلى منطقة عمله الجديد طلب إلى وكيل الإمارة آنذاك، وهو الشريف فيصل بن هزاع العبدلي، أن يوافيه بتقرير عن أهم ما تحتاجه المنطقة من الخدمات. كما أنه عقد قبل مغادرته الرياض لقاءات مع الوزراء المعنيين. وكانت المنطقة في ذلك الوقت عبارة عن قرى متناثرة متباعدة لا تصل السيارات إلى معظمها، ولا وجود للخدمات الأساسية فيها، فلا طرق، ولا هواتف، ولا مستشفيات، ولا مطار. وكان المرضى والنساء الحوامل يتعرضون للموت قبل الوصول إلى المستشفى الصغير الوحيد في بلجرشي لوعورة الطرق وقلة الإمكانات الطبية، وكان الناس يسافرون إلى الطائف أيام العطل الأسبوعية لمشاهدة البث التليفزيوني.

---

(١) وبعد نحو سنة واحدة، صدر أمر ملكي آخر برقم أ/٢٧١ وتاريخ ٢٤ رجب ١٣٩٩هـ (٢٠ حزيران / يونيو ١٩٧٨م)، بتعيين الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم أمير منطقة الباحة بمرتبة وزير اعتباراً من ١ رجب ١٣٩٩هـ.

وبعد مقابلاته مع المسؤولين المعنيين في الرياض، وصل الأمير إبراهيم إلى الباحة في جمادى الأولى سنة ١٣٩٨هـ (نيسان / أبريل ١٩٧٨م)، ومنذ وصوله انطلق بجهد المخلصين وعزم الصادقين لخدمة المنطقة التي عهد إليه بمسؤوليتها. وبعد أن درس أوضاعها والأسباب التي أدت إلى تأخر نموها، وجد أن من أهمها كون فروع الوزارات المختلفة، وخاصة فروع الخدمات، مرتبطة بفروع أخرى في مكة المكرمة وجدة وعسير والطائف والليث والقنفذة. فقد وجد مثلاً أن مدارس البنات يرتبط قسم منها بالطائف، وآخر بالقنفذة، وثالث بتعليم البنات بجدة. ووجد أن تعليم البنين في تهامة يرتبط بتعليم البنين بجدة، وهكذا. فكان من أُولى الخطوات التي شرع فيها أن قدم تقريراً إلى سمو وزير الداخلية اقترح فيه أن تكون فروع الوزارات والمؤسسات العامة مرتبطة بالوزارات الأم في الرياض مباشرة. وعلى الرغم من أن هذا التغيير يبدو في الوهلة الأولى روتينياً وشكلياً، فقد أدرك الأمير إبراهيم بثاقب نظره وبنتيجة خبرته الإدارية الطويلة، أنها ستختصر المعاملات، وتقضي على الروتين الذي كان يعرقل سير الأعمال، ويؤثر في تطور المنطقة تأثيراً غير منظور، ويؤخر أشغالها إلى حد بعيد.

ثم قام الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، بعد وصوله إلى الباحة بمدة قصيرة، بزيارة ميدانية إلى جميع مدن المنطقة وقراها، سراها وتهامتها، وباديتها وحاضرتها. واستغرقت جولته أكثر من شهر كامل. وسجل خلال الجولة ملاحظاته عن كل جزء زاره. فلما عاد أعد تقريرًا إضافياً وصف فيه المنطقة ومشاكلها، وسبب تأخر النمو فيها، واحتياجاتها، وما يجب تنفيذه في الأمد القريب والبعيد، لكي تساير ركب التقدم وتجاري المناطق الأخرى في المملكة.

ورفع الأمير إبراهيم تقريره إلى الجهات المسؤولة، ثم تابعه شخصيًا، وأرسل نسخًا منه إلى الوزراء المختصين، واهتم مجلس الوزراء بهذا التقرير، فناقش احتياجات منطقة الباحة بالتفصيل.

ولم يكتف الأمير إبراهيم بذلك أيضًا، فقدم دعوة إلى الملك الراحل خالد بن عبد العزيز لزيارة المنطقة. فأيد جلالته رحمه الله فكرة الأمير، وقبِل دعوته، ولكن ظروفه

الصحية لم تسمح لـه بالقيام بها، فأناب عنه ولي العهد الأمـير فهد بن عبد العزيز (خادم الحرمين الشريفين) فيما بعد، فوصل سموه إلى المنطقة في أواخر سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م واطلع على أحوالها شخصيًا، ودرس احتياجاتها، ولدى عودته وجَّه الوزراء المختصين الذين كانوا بمعيته إلى الاهتمام بتلبية احتياجاتها. كل بحسب اختصاص وزارته، وأصبحت تلك الزيارة الميمونة حدثًا مهمًا في تاريخ المنطقة الحديث، ونقطة تحول أساسية فيها، يتداول الناس ذكرها بالتقدير، إذ أعقبها مباشرة الشروع في تنفيذ عدد من المشروعات المهمة التي أحدثت في مدينة الباحة ومنطقتها نقلة حضارية غير مسبوقة.

كان من أهم ما أمر به الملك فهد عند زيارته للباحة هو البدء بالمشروعات التالية:

١- بناء مطار.

٢- بناء مستشفى.

٣- توسعة نطاق شبكة التلفزيون.

ولم يتوان الأمير إبراهيم البراهيم عن متابعة تنفيذ توجيهات جلالته، وكان على الدوام يرفع إلى جلالته مشاكل المنطقة ويحصل على موافقته وتعضيده لتنفيذ المشروعات الضخمة التي خططت لمنطقة الباحة من طرق ومدارس ومراكز حكومية ومجمعات ومطار دولي ومستشفى كبير ومرافق سياحية ومركز رياضي.

تحققت لمنطقة الباحة خلال إمارة الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز مشروعات حيوية مهمة غيرت وجهها، وسارت بها في ركب الحضارة خطوات جبارة لا يمكن حصرها جميعاً، وإنما نعرض جوانب من أهمها.

استن الأمير إبراهيم عادة تقضي بمراعاة التوازن في التعامل مع أعيان ومشايخ قبيلتي غامد وزهران، تفاديًا للشعوب بانطباع - غير مقصود طبعًا - بالتفرقة، ودرءًا للحساسية التي يحتمل حدوثها، ولكي لا يكون إجراء يتخذ لمصلحة فئة على حساب أخرى. وقد ترك المنطقة وهو محل إكبار وتقدير أعيان المنطقة بل سكانها جميعًا.

لجنة وكلاء الوزارات:

وفي ١٢ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ (١ آزار / مارس ١٩٨٢م) شُكّلت، بأمر ملكي، لجنة من وكلاء عدد من الوزارات مهمتها زيارة منطقة الباحة والتعرف على احتياجاتها، ورفع التوصيات اللازمة لتطويرها.

ولا شك أن تأليف هذه اللجنة وإيفادها إلى الباحة كانا باقتراح من الأمير إبراهيم بن عبد العزيز نفسه. وكانت لجنة كبيرة تضم وكلاء وزارات الداخلية، الشؤون البلدية والقروية، المالية والاقتصاد الوطني، الزراعة والمياه، المواصلات، العمل والشؤون الاجتماعية، التجارة، البرق والبريد والهاتف.

وبدأ الوفد أعماله بزيارة الأمير إبراهيم في مقر عمله بالباحة، وعقدوا معه اجتماعاً رسمياً عرض خلاله الأمير احتياجات المنطقة وما تتطلبه من مشروعات، وخاصة بناء السدود، وفتح المدارس في بعض المناطق النائية. وأبدى وكيل وزارة المالية أن الاعتمادات الموجودة لا تسمح بتحقيق هذه المشروعات، فأجابه الأمير بشجاعة كبيرة أننا نتهم بمالية الدولة مثل اهتمامك، ولكن هذه الأمور ضرورية للمواطنين.

وفي اليوم التالي خرج الوفد، ومعهم الأمير، بسيارات "الجيب" لزيارة بلاد زهران، وكان قد أعد لهم مخيماً هناك، وساروا في جبال الزهران، حتى وصلوا إلى مكان لا تستطيع السيارات أن تصل إلى أبعد منه، فنزل الوفد من السيارات ووصف لهم الأمير إبراهيم المكان من الناحية التاريخية والسكانية، ثم أخذ وكلاء الوزارات يصعدون في الجبل سيراً على الأقدام، فساروا نحو ثلاثة كيلومترات، وقفوا بعدها، وتساءل أحدهم أين بقية الإخوان؟ فقيل لهم أنهم تعبوا.

قال الأمير إبراهيم: "سمعنا وكيل المالية والمواصلات أمس يناقشنا في احتياجات المنطقة، وكنا نطالب بفتح المدارس في المكان الفلاني والفلاني، فكيف يقطع الأولاد هذه المسافة البعيدة، وكيف يصلون إلى المدارس، وأنت تأتي والسيارة معك في معظم الطرق، ثم تقول تعبت ولا تهتم بما يجابهه الأطفال الصغار والأولاد.

كلنا نحب أولادنا، وكلنا نحب توفير القرشين للدولة، ولكن علينا أن نضعها في مكانها الصحيح. كيف يقطع أولادنا هذه المسافة؟ أنت لم تأت إلا مرة واحدة، وهؤلاء الأطفال يقطعون هذه الطريق مرتين في اليوم ليصلوا إلى مدرستهم، ألا تحن عليهم، أين الشعور بالمسؤولية؟ هذا حرام".

وكان الأمير إبراهيم يلطف أقواله هذه ببعض النكات والتعليقات الطريفة التي جعلت أعضاء الوفد يضحكون وهم يؤيدونه فيما قال. ولم يجد الوفد مناصاً من تلبية حاجات المنطقة من مدارس ودوائر حكومية تسهل أمور المراجعين، وتوفر عليهم مشقة السفر إلى مقر الإمارة كلما عرضت لهم حاجة[1].

وكان من أبرز أعمال الأمير إبراهيم الباقية في الباحة، هو اهتمامه بإنشاء المستشفيات في المنطقة.

المستشفيات

كان ابن منطقة الباحة وما جاورها من قرى إذا مرض، أو مرض أحد أفراد أسرته، لا يجد مستشفى تتوافر فيه أسباب المعالجة الضرورية. وكان لابد من نقل المرضى بطائرات الدفاع المدني إلى الطائف أو مكة أو جدة أو الرياض، وكذلك في حالات الولادة المتعسرة لنساء المنطقة وأمهاتها. وكان لابد لنقل المريض من استحصال موافقة وزارة الدفاع، وكان سمو وزير الدفاع، الأمير سلطان بن عبد العزيز، هو الذي يأمر بأن ينقل بالطائرات من تستدعي حالتهم ذلك، فإذا تعذر رفع الأمر إلى سموه بسبب انشغاله أو غيابه عن مقر عمله أو بسبب آخر، مات المريض.

وكان في المنطقة قبل إمارة الشيخ إبراهيم البراهيم على الباحة سنة ١٣٩٨هـ مستشفى سعته ٥٠ سريراً في بلجرشي جنوب المنطقة، و٢١ مستوصفاً صحياً.

(١) مقابلة مع الأستاذ عبد الله العبد الرحمن الإبراهيم في داره بالرياض في يومي ٢١ و٢٣ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٦م.

فلما زار سمو ولي العهد (خادم الحرمين الشريفين) الملك فهد بن عبد العزيز، الباحة، تقدم الأمير إبراهيم إلى سموه بطلب لإنشاء مستشفى متخصص وكبير في الباحة، وبيّن له عملية المعاناة الشديدة التي يواجهها أبناء المنطقة بصفة عامة، على الرغم من جهود الدولة وحرصها على نقلهم بالسرعة الممكنة في الحالات الطارئة.

واستدعى ولي العهد وزير الصحة وعرض عليه الطلب، وعلم منه أن ميزانية وزارة الصحة ليس فيها اعتمادات لمشروع صحي كبير كهذا. وكان الوزير يرى أيضاً أن منطقة الباحة لا تستوعب مشروعاً كهذا. ووقف أمير الباحة يشرح ظروف المنطقة، وأوضاعها، وحاجتها، وحاجة سكانها لمشروع صحي كبير، خاصة وأن الباحة أصبحت مدينة كبيرة، كثيفة السكان، ولم تعد قرية أو مجموعة قليلة من القرى.

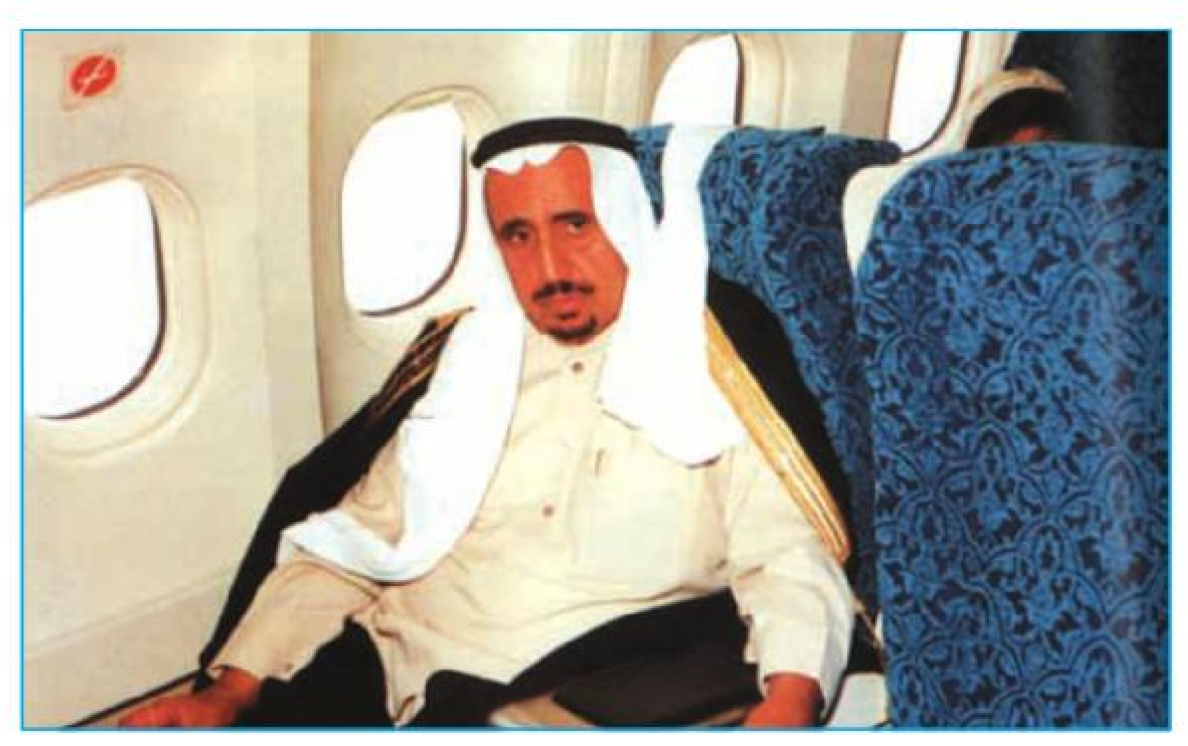
واقتنع سمو ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز بما أوضحه أمير الباحة، وأصدر تعليماته باعتماد جميع تكاليف المستشفى دون أي تأخير.

وقد اختار الأمير إبراهيم بن عبد العزيز موقع المستشفى بنفسه، على ربوة مرتفعة تتوسط بلاد غامد وزهران. وخلال ثمانية شهور أقيم المستشفى، وتحقق المشروع الذي كان أشبه بحلم، وأصبح اسمه "مستشفى الملك فهد"، وهو من المعالم الحضارية التي تفخر بها المنطقة.

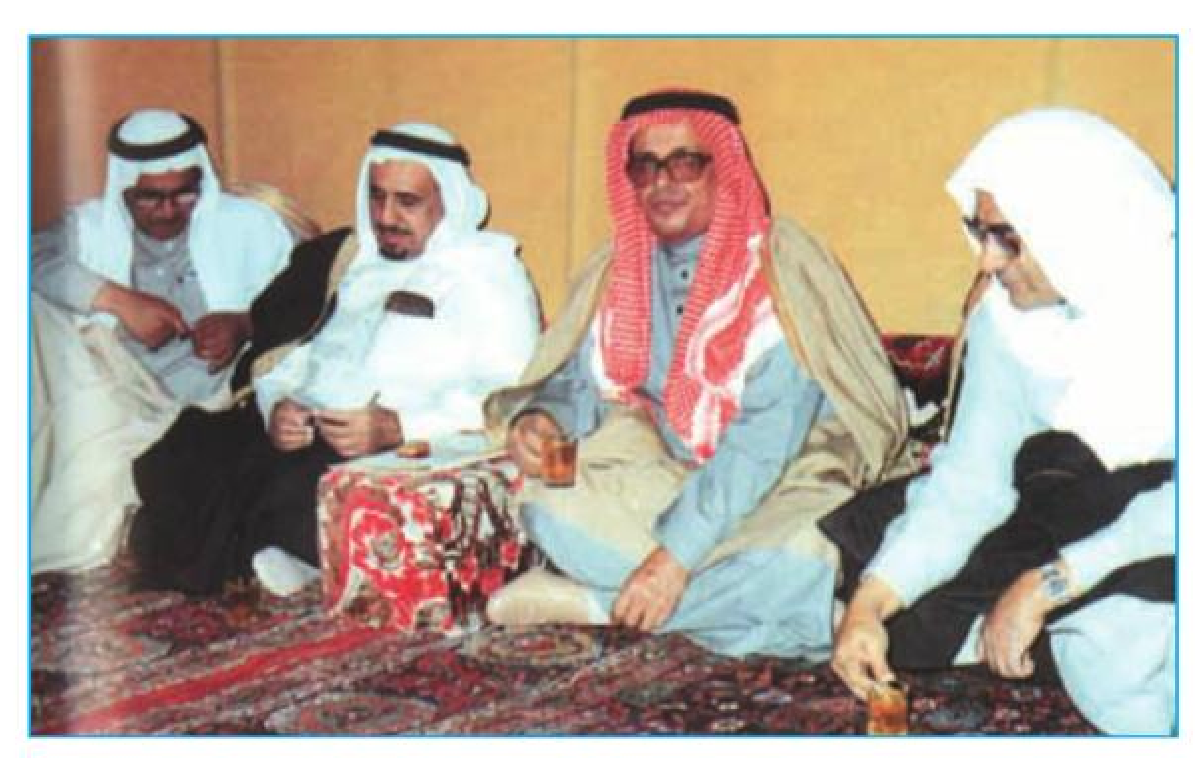
لقد برهن الملك فهد "ولي العهد آنذاك" على تقديره وتجاوبه مع احتياجات منطقة مهمة من بلاده، كما برهن الأمير إبراهيم بن عبد العزيز على جدارته بأمانة المسؤولية، وتقديره لمهمته، ومفهومه لمنصب الإمارة وواجبه تجاه أهل منطقته، وأن الإمارة ليست امتيازاً لشخص وإنما هي واجب تجاه الشعب، وخدمة للبلاد وأهلها.

بدأ تشغيل مستشفى الملك فهد سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، وكان يحتوي على ٣٨٠ سريراً، ويعمل فيه ١١٢ طبيباً، و١٠٦ فنيين، و٧٠٠ شخص من فئات أخرى، مع عيادات متخصصة. وقد عهد بإدارتها إلى شركة سعودية - أجنبية متخصصة. وبلغت تكاليف هذا





الشيخ إبراهيم البراهيم يفتتح مطار الباحة ويدخل أول طائرة كبيرة تابعة للخطوط السعودية وصلت المطار سنة ١٤٠٢هـ.



مع وزير العمل والشؤون الاجتماعية السابق السيد محمد الفايز عند زيارته لمنطقة الباحة.



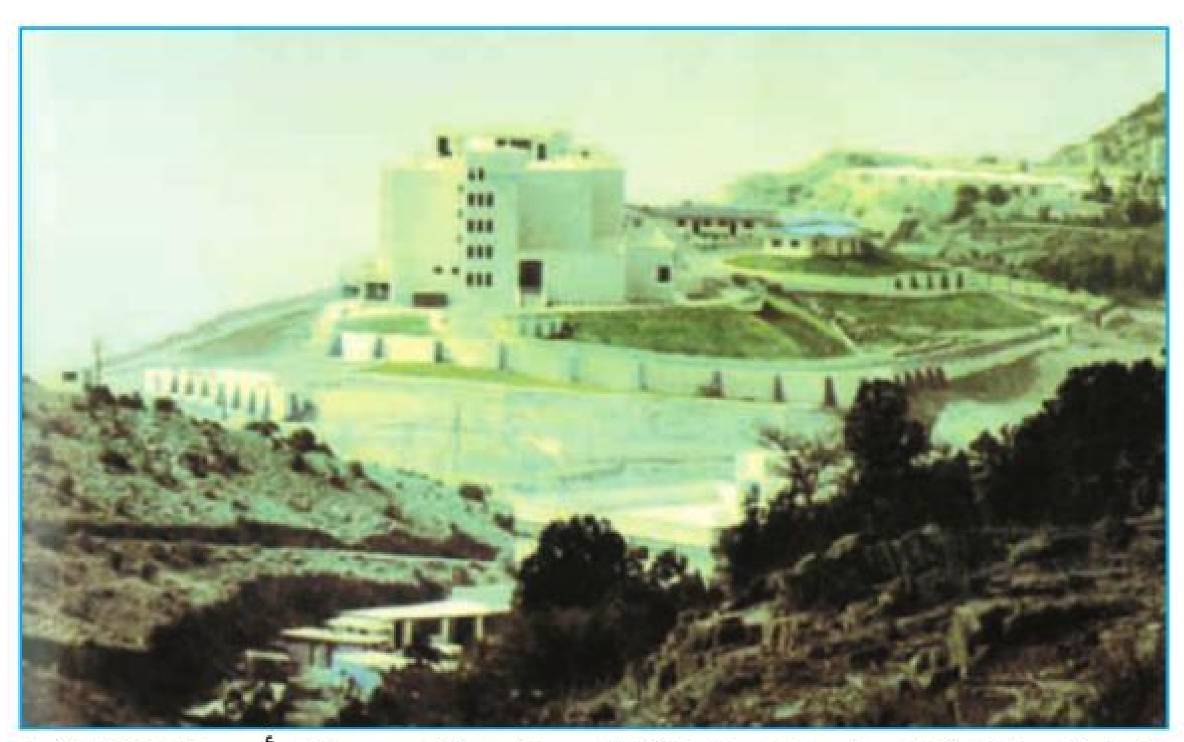
من أهم المشاريع الصحية: مستشفى الملك فهد في الباحة.



جزء من عقبة الباحة، المشروع الرائد في المنطقة.



موتيلات الباحة: المشروع الذي تم تنفيذه سنة ١٤٠٥هـ.



فندق قصر الباحة السياحي الذي تم افتتاحه سنة ١٤٠٥هـ من قبل أمير المنطقة الشيخ إبراهيم البراهيم.



أحد المشاريع المهمة التي تم إنجازها في منطقة الباحة بتوفيق من الله: طريق عقبة الباحة الذي يربط السراة بتهامة.



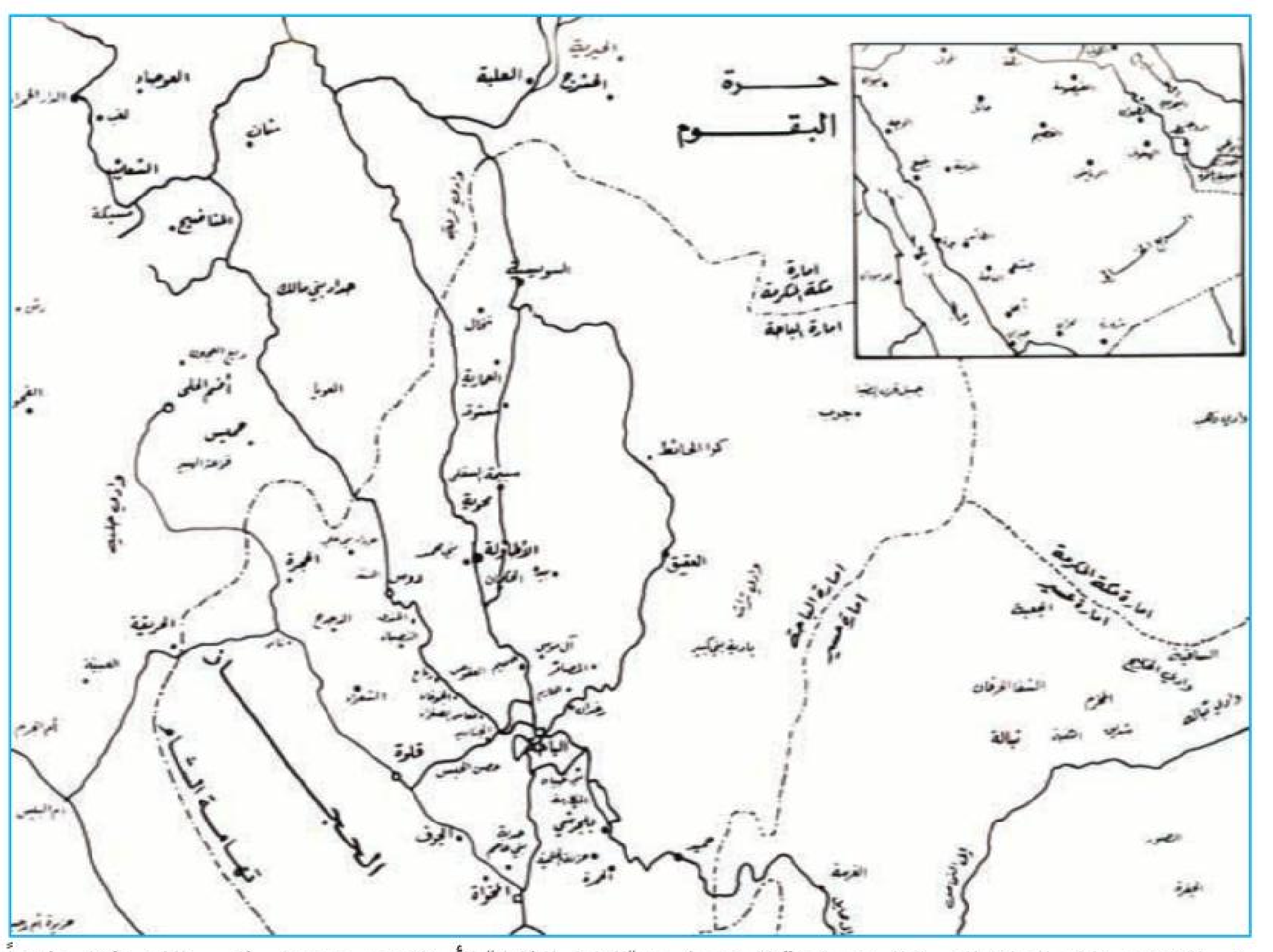
آخر احتفال تعليمي حضره المغفور له الشيخ إبراهيم البراهيم في أوائل سنة ١٤٠٦هـ ويُرى برفقته مدير التعليم وحمود البراهيم وعدد من المسؤولين يتفقدون أحد المشاريع التعليمية في الباحة.



سد وادي الصدر بزهران، وهو واحد من ٤٢ سداً تم تنفيذها عندما كان الشيخ إبراهيم البراهيم أميراً لمنطقة الباحة.



صورة من أواخر الخمسينات في الطريق إلى الحرم المكي الشريف: الأمير مشعل بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة السابق والشيخ إبراهيم البراهيم وكيل الإمارة آنذاك في مكة المكرمة برفقة الوفد المصري برئاسة السيد حسين الشافعي نائب الرئيس المصري معتمراً.



خريطة توضح مناطق المملكة العربية السعودية منقولة بتصرف من "الدليل الشامل" للأستاذ زكي محمد على فارسي الذي تفضل مشكوراً بالموافقة على الاستعانة من الدليل.

المشروع الضخم ٧٠٠ مليون ريال سعودي (حوالي ١٨٦ مليون دولار).

ولما علم الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بالحاجة الماسة والعاجلة لجهاز غسيل كلوي في منطقة الباحة، أمر بسرعة تأمينه. وكان توفير المال اللازم لهذا الجهاز يتطلب بعض الإجراءات والموافقات الروتينية التي قد تستغرق شيئاً من الوقت، فأمر الأمير إبراهيم بشرائه على نفقته الخاصة إسهامًا منه في التخفيف من آلام المصابين بالفشل الكلوي بأسرع ما يمكن.

وفي مظهر من مظاهر الاعتراف بالفضل، أطلق المشرفون على المستشفى اسم الأمير إبراهيم بن عبد العزيز على قسم غسيل الكلى. ويلاحظ روّاد مستشفى الملك فهد في الباحة صورته تتصدر القاعة الخاصة، وإلى جانبها نبذة عن نواة هذا القسم، وتشير إلى بادرته الإنسانية الطيبة. وغني عن الإشارة أن التسمية أُطلقت، والصورة عُلّقت، بعد وفاة الأمير المصلح، ولو اقتُرِح ذلك وهو على قيد الحياة لرفض رفضًا قاطعًا.

أما مستشفى بلجرشي، فقد افتتح في سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، وكان يحتوي على ٢٢٧ سريرًا، ويعمل فيه ٤٦ طبيبًا، و١٠٦ فنيين، و٩٢ من فئات أخرى.

وفي عهد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، افتتحت مستشفيات ومستوصفات أخرى، منها مستشفى قلوة العام في تهامة، ومستشفى الأمراض الصدرية، ومستشفى الأمراض النفسية في بلجرشي، ودار النقاهة الطبية في الباحة، و٥٨ مستوصفًا مختلفة الفئات تمارس أعمالها العلاجية والوقائية في أماكن مختلفة بالسراة وتهامة والبادية.

كما افتُتح في سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م معهد صحي للبنين (يتدرب فيه ٢١٥ طالبًا) و٨ مراكز صحية متطورة، ومراكز للتوليد، ومكتبان صحيان، ومركز لمكافحة ومعالجة البلهارسيا، و٤ مستوصفات أهلية وعيادتان خاصتان[1].

---

(١) **خطوات منطقة الباحة على طريق التقدم الحضاري في ست سنوات ١٣٩٨هـ - ١٤٠٤هـ**، دليل صادر عن إمارة منطقة الباحة بمناسبة زيارة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز لها سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

المواصلات

الطرق:

كانت الباحة في بداية تولي إبراهيم بن عبد العزيز إمارتها عبارة عن مجموعة قرى متناثرة، متباعدة، لا تصل السيارات إلى معظمها، ولا وجود للهاتف ولا للخدمات الأساسية. ولذلك كان من أهم النواحي الحيوية التي وجّه إليها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز اهتمامه الكبير لتحسين أحوال منطقة إمارته، تحسين وسائل المواصلات وشق الطرق التي تربط المنطقة بغيرها من المناطق، وتلك التي تربط مدن المنطقة وقراها، بعضها ببعض، إضافة إلى تعبيد الطرق في مدينة الباحة نفسها.

ولما وصل الأمير إبراهيم إلى منطقة الباحة، لم يكن بها من الطرق المعبدة سوى ٢٦ كيلومترًا تربط بين بعض القرى، إضافة إلى الجزء الواقع في منطقة الباحة من طريق الطائف – الباحة – جازان، وطوله ٢٩٠ كيلومترًا[١].

وقد أقدم الأمير الجديد على معالجة هذا النقص بهمة عظيمة، فحقق المشروعات التي أصبحت تربط المنطقة بالمناطق الأخرى كالطائف وأبها وبيشة والقنفذة وطريق الساحل جدة – جازان، ومن أهم الطرق التي فتحت في عهد الأمير إبراهيم البراهيم ما يأتي:

١- طريق الباحة – العقيق (المعروف بطريق المطار)، وطوله ٤٧ كيلومتراً، وقد بلغت تكلفته ١٦٦ مليون ريال.

٢- طريق وصلات الجنش الزراعي، وطوله ٥٧ كيلومترًا، وكلفته ١٤٠ مليون ريال، ويخدم هذا الطريق عشرات القرى الزراعية في بلاد زهران.

٣- طريق المخواة – قلوة – الشعراء – الحجرة، في تهامة، وطوله ٧٤ كيلومتراً، وتقدر تكاليف إنشائه بـ ٢٨٥ مليون ريال، وهو يخدم ١٥٠ مدينة وقرية.

---

(١) **الطرق في منطقة الباحة**، منشورات وزارة المواصلات السعودية، ذو القعدة ١٣٩٨هـ (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٨م).

٤- المرحلة الثانية من طريق وصلات بلجرشي، وطوله ١٧ كيلومترًا، وكلفته ٢٠ مليون ريال.

٥- طريق عقبة - الباحة - المخواة، الذي يربط جزأي المنطقة، السراة وتهامة، وطوله ٤٥ كيلومتراً. وكان المسافرون بين تهامة والسراة قبل ذلك يقطعون مسافة ٦٠٠ كيلومتر عن طريق مكة المكرمة - الليث، فاختصَرت المسافة إلى ٤٥ كيلومتراً، وأدت إلى تسهيل تسويق وتبادل المنتجات الزراعية بين المنطقتين، كما سهَّلت وصول سكان القرى الساحلية والتلال المجاورة إلى الخدمات الصحية الحديثة في منطقة الباحة.

وقد تضمن إنشاء هذا الطريق تنفيذ ٦٤ جسرًا، بطول إجمالي قدره ٥,٧٤٧ مترًا، و٣٤ نفقاً طولها الإجمالي (٢٠١١ كيلومترًا)، وبلغ مجموع تكاليف هذا المشروع الحيوي (٥٤١ مليون ريال[1].

٦- طريق بني سعد - الباحة السياحي، وطوله ٢١٣ كيلومترًا. ويتضمن المشروع ٢٢ نفقًا، طولها الإجمالي ٤٣٢٣ مترًا، و١٠٢ من الجسور مجموع أطوالها ١٣,٥٢٧ متراً، إضافة إلى ٧٣٣ عبَّارة. وقد بلغت تكاليف هذا الطريق ١٢٧٥ مليون ريال، وهو يخدم عدداً كبيراً من القرى والمناطق السياحية الواقعة على جانبيه في مناطق بني سعد، وبني الحارث، وثقيف، وبني مالك، وزهران.

وهنالك طرق كثيرة أخرى لا يتسع المجال لذكرها. وقد جاء في تقرير لوزارة المواصلات السعودية، صدر في أوائل سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، بأن كلفة الطرق التي تم تنفيذها في منطقة الباحة في السنوات الماضية تزيد عن ثلاثة آلاف مليون ريال[2].

وقد قربت هذه الطرق وغيرها بين أجزاء منطقة الباحة. وكانت المنطقة قبل وصول الأمير إبراهيم مجموعة قرى متناثرة، وفي سنة وفاة الأمير إبراهيم كانت قد أصبحت، بفضل هذه الطرق، أشبه بمدينة واحدة طولها أكثر من ١٤٠ كيلومتراً.

(١) **الطرق في منطقة الباحة**، منشورات وزارة المواصلات السعودية، ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٨م.
(٢) المصدر السابق.

خلال وجود الأمير إبراهيم في الباحة، حدث أن هطلت أمطار غزيرة أدت إلى خسف الطريق المؤدي إلى الطائف في جزء تابع لإمارة منطقة مكة المكرمة، فانتقل الأمير إبراهيم من فوره إلى موقع الحدث على بعد ١٠٠ كيلومتر تقريبًا، بعد أن أصدر أوامره بتحرك معدات إصلاح الطرق كافة، وأمضى هناك يومًا وليلة، وعمل على اختيار ممر بديل عيَّنه بنفسه، وأمر المعدات بفتحه بدون توقف، ولم يغادر الموقع حتى استطاع العابرون المرور بسهولة ويسر. وكان يتناول طعامه هناك، ويضفي على العاملين في فتح الطريق الذين يشاركونه في تناول الغداء دعمًا معنويًا، ويحثهم على الاستعجال في العمل. ولم ينس وهو في موقعه أن يجري اتصالات سريعة من أجل إعادة الطريق إلى سابق حالته، وقد تم ذلك في وقت وجيز، وعاد الأمير إلى قصره ناعم البال مرتاح الضمير.

المطار:

وفي عهد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، أنشئ مطار الباحة الذي خدم بالإضافة إلى المنطقة بعض المناطق المجاورة لها. وقد نَفذ هذا المشروع بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز (وكان في ذلك الوقت وليًا للعهد)، وانتهى العمل في إنشائه سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م وأصبح يؤدي خدماته بشكل متكامل. واستقبل أول رحلة في شهر رمضان (حزيران / يونيو) من السنة نفسها. وقد أُلحق به طاقم كامل من المرافق الملاحية والمراصد وأدوات السلامة. وفي ضوء ذلك، قامت الخطوط الجوية السعودية بافتتاح فرع لها في الباحة لتقديم الخدمات الجوية لأهالي المنطقة وزوارها. وفي سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، كان معدل الركاب القادمين إلى منطقة الباحة بالطائرات، والمغادرين منها، أكثر من ستين ألف راكب في العام الواحد، وقد أمكن تحقيق هذا المرفق السياحي المهم، بهمة أمير الباحة إبراهيم بن عبد العزيز.

مشروعات الزراعة والمياه

نالت الزراعة وتوفير المياه وبناء السدود اهتماماً خاصاً من الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، حتى أنه اشتهر باهتمامه ببناء السدود في جميع المناطق التي عمل فيها، وكان رحمه الله

يرى أن بناء سدود صغيرة في مناطق متعددة سيخدم الزراعة ويوزع فائدتها، ويوفر أسباب الإنتاج والمعيشة لأعداد كبيرة من المزارعين، ويرفع مستواهم الإنتاجي، وبالتالي مستواهم المعيشي. وكان توفير المياه للمزارعين بغزارة من الأمور الرئيسة التي شغلت باله. ومن عجائب القدر أن تكون وفاته نتيجة تدفق سيل اكتسح السيارة التي كان يستقلها، وأدى إلى غرقه في المياه التي شغل توفيرها لمواطنيه جانبًا كبيرًا من وقته واهتمامه.

وقد أقيم خلال فترة إمارة الأمير إبراهيم في الباحة اثنان وعشرون سداً لحجز المياه على أودية مهمة في المنطقة وتخزينها لأغراض الشرب والزراعة. وكان آخر مشروع اعتُمد في عهده هو مشروع المياه من العقيق إلى الباحة بتكلفة ٦٤ مليون ريال. أما مجموع ما أُنفق على مشروعات المياه والسدود، فقد بلغ أكثر من ثلاثمائة مليون ريال.

ومن أهم المشروعات التي نُفّذت في عهده وبتوجيهه أيضًا:

أولاً: ٢٩ مشروع مياه أنشئت في الأماكن التي تتوافر فيها المياه لسقيا الأهالي، بلغت تكاليفها أكثر من ١٥ مليون ريال.

ثانياً: مشروع سقيا بالناقلات لبعض القرى المحتاجة إليها.

ثالثاً: إنشاء بيوت زراعية محمية لإنتاج الخضار.

رابعاً: ١٢ مشروعاً للتشجير في أنحاء متفرقة من المنطقة لزيادة الرقعة الخضراء.

خامساً: مناحل للإرشاد والإنتاج.

سادساً: مشروع جلب مياه الشرب من العقيق إلى الباحة وبلجرشي بكلفة قدرها ٧٠ مليون ريال.

البث التلفزيوني ومقسم الهاتف والمركز الرياضي

وفي عهده أُنشئت بأمر من الملك فهد أيضاً محطة للبث التلفزيوني، مما سهل إيصال التلفزيون إلى منازل المنطقة، ووفر لسكانها هذا المرفق الثقافي والإخباري الحيوي. وكان بعض شباب المنطقة قبل ذلك يقضون سهراتهم في رؤوس الجبال لمشاهدة البث التلفزيوني

من أقرب المحطات، وهي محطة جدة. وكان كثيرون منهم يسافرون إلى الطائف – التي تبعد عن الباحة ٢٣٠ كيلومترًا – خلال عطلات الأسبوع أو العطلات الصيفية لمجرد مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية، كأخبار العالم والسباقات الرياضية وغيرها.

ومن إنجازات الأمير إبراهيم في منطقة الباحة إنشاء مقسمات للهاتف الآلي في مدينة الباحة وبلجرشي والمندق والأطاولة وبني ظبيان والقرى المجاورة لها، وبذلك اتصلت المنطقة بالعالم الخارجي لأول مرة في أواخر سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٧م.

وقد تم في عهد الأمير إبراهيم أيضاً تأسيس مركز رياضي ضخم يُعدُّ من أبرز المعالم الحضارية في المنطقة.

السياحة

أما في مجال السياحة وتشجيعها، فكانت خدمات الأمير إبراهيم لا تقل عنها في المجالات الأخرى.

ومنطقة الباحة بطبيعتها الجميلة، منطقة سياحية حباها الله بأبدع وأجمل المقومات الطبيعية من مناظر جذابة وجو بديع جميل، وقد أطلق عليها أحد الشعراء "أخت لبنان".

اهتم الأمير إبراهيم بتشجيع السياحة إلى الباحة، فعبّد الطرق، ووفّر وسائل المواصلات، وأنشأ الفنادق، ووفر شتى لوازم الراحة، فأضاف إلى جمال منطقة الباحة التي تكسوها الحدائق وتحيط بها الغابات، ما وفرته التقنيات الحديثة من وسائل الراحة، حتى صار الكثيرون من أبناء المملكة يفضلون قضاء إجازاتهم فيها.

وأقيم في الباحة "موتيل" سياحي في موقع جميل يطل على تهامة والسراة، ويحتوي على ١٠٢ من الوحدات السكنية التي صُمّمَت بشكل فريد يتناسب مع العادات والتقاليد الإسلامية، بحيث لا تطل أي منها على الأخرى، ولا يشرف بعضها على بعض.

ومما سهل على الأمير إبراهيم عمله في الباحة، ومكّنه من تحقيق إنجازاته المهمة فيها، إصراره على إقامة فروع لبعض الوزارات والمصالح، منها وزارة التجارة ووزارة العمل ووزارة

الأشغال العامة والإسكان، وبنك التسليف السعودي، وصندوق التنمية العقارية، إضافة إلى العديد من المراكز الزراعية والمجتمعات القروية.

كما أنه استحدث مديريات عامة للشؤون الصحية والتعليم ورعاية الشباب والبريد والاتصالات والجوازات وغيرها، وكذلك إنشاء مديرية عامة لتعليم البنات وأخرى لتعليم البنين في المخواة، ضمت المدارس في الجزء التهامي من المنطقة، وكانت مدارس تهامة في السابق مرتبطة بإدارة تعليم القنفذة والليث وجدة.

وقد شهدت منطقة الباحة في عهد إمارته تطورًا تعليميًا كبيرًا، إذ أسس ما يزيد عن ٦٠٠ مدرسة لمختلف المراحل، للبنين والبنات، يدرس فيها أكثر من خمسين ألف طالب وطالبة، وتقوم بالإشراف عليها ثلاث إدارات للتعليم، اثنتان منها لتعليم البنين في الباحة والمخواة، وثالثة لتعليم البنات بالباحة، إلى جانب مركزين للإعداد والتدريب المهني، وأربعة معاهد علمية، ومعهد صحي للبنين.

وللأمير إبراهيم الفضل في فتح وبناء الكثير من المدارس بمختلف المراحل، في بعض قرى المنطقة. ولا ننسى أبداً جهوده في إنشاء الكلية المتوسطة للبنات بالباحة لخدمة الطالبات وتمكينهن من مواصلة دراستهن دون مشقة.

أعمال البر والخدمات الاجتماعية

وفي سنة ١٤٠٢هـ أُسست في الباحة، بمبادرة من الأمير إبراهيم، مبّرة جديدة لمساعدة المحتاجين من أهلها، وكان له الدور الأكبر والفضل الأوفر في تأسيسها. وقد اختير لها مجلس للإدارة من ٩ أعضاء، وانتُخب الأمير رئيسًا لها، كما انتُخشب رئيس المحاكم نائبًا للرئيس، واستؤجر للجمعية محل خاص أسسه أمير المنطقة نفسه.

وقد أصبحت "جمعية البِر الخيرية" من أكبر الجمعيات الخيرية في المملكة. وأدت خدمات

كبيرة للمحتاجين من سكان المنطقة والقبائل المجاورة حتى أصبح يستفيد من مساعداتها بعد تأسيسها بمدة قصيرة نحو عشرة آلاف أسرة.

وأعدّت لجنة الاتصالات بأهل الخير والمحسنين، مع فريق العمل تحت إشراف المجلس، دعوات وكتباً رسمية لأصحاب السمو والأمراء وأصحاب الفضيلة العلماء والموسرين من أبناء المملكة لدعم الجمعية وخدمة أهدافها الإنسانية، فبلغت التبرعات مليون ريال سعودي.

وكان من الأعمال التي اضطلعت بها هذه الجمعية، ومن ورائها الأمير إبراهيم، تأسيس مدارس لتحفيظ القرآن، وروضة للأطفال، ودار لتأهيل المرأة، ومساعدات دائمة ورواتب مقطوعة للأُسر الفقيرة التي ليس لها معيل، ومساعدات للفقراء في شهر رمضان، وتوصيل الكهرباء للأُسر المستحقة للمساعدة في هذا الشأن، إلى جانب خدمات عامة أخرى.

وكان الأمير إبراهيم يتمتع بوعي اجتماعي وحس إنساني كبير. فقد لاحظ، مثلاً، أن المهور في المنطقة مرتفعة وتكاليف الزواج باهظة مما يثقل على كاهل المتزوجين في بداية حياتهما، وأن متوسط الحال لا يستطيع الزواج. فدعا مشايخ القبائل إلى الاجتماع بأفراد قبائلهم، والاتفاق على خفض المهور وتكاليف الزواج، فاتفق الأهالي على ذلك، وسجلوا اتفاقاتهم شرعاً.

ولم يكتف الأمير إبراهيم بذلك، بل أراد أن يكون قدوة حسنة، فلما حان زواج أحد أبنائه، وهو سعود بن إبراهيم، وجّه الدعوة إلى حفلة الزواج في الباحة، ولما اكتمل حضور المدعوين قدمت لهم القهوة والشاي، وقال لضيوفه لقد قررت أن أدفع نفقات وليمة الزواج إلى "جمعية البر الخيرية" ليستفيد منها أكبر عدد من المحتاجين، وآمل من كل قادر منكم أن يفعل ذلك أيضاً، فاستحسن الجميع هذا القرار، وشكروه على هذه المبادرة، ووعدوه بالسير على غرارها.

وحدث مرة أنه كان مدعواً لحفل زفاف أحد أثرياء المنطقة أو ابنه، وفي الطريق علم أنه أسرف في الإنفاق على الدعوة، فأمر سائق سيارته بالعودة، إذ أغضبه ذلك. وفي أول لقاء له بصاحب تلك الدعوة أمعن في لومه على بذخه، وهذه الحادثة مشهورة على ألسنة الناس في الباحة.

وكانت علاقات الأمير إبراهيم الواسعة بشخصيات المملكة العربية السعودية ووجهائها

وأعيانها، سببًا مباشرًا ومهمًا في التعريف بمنطقة الباحة عندما كان أميرًا لها، حيث استضاف في الباحة عددًا كبيرًا من رجال الأدب والصحافة ورجال الأعمال، بقصد التعريف بمنطقة الباحة، بل إنه استضاف فيها نخبة من أعيان الخليج العربي، كما استضاف عددًا من الوزراء العرب الذين كانوا يحضرون إلى المملكة في زيارات رسمية.

كتب عن الباحة:

تحدثت كتب كثيرة عن الباحة، فوصفت بلاد غامد وزهران ومغانيها، ولكن خمسة منها ألفت بكاملها عن منطقة الباحة على نحو خاص، وهي **في سراة غامد وزهران** لعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، و**معجم قرى غامد وزهران** للأستاذ علي صالح السلوك، و**ألحان من غامد وزهران** للواء المتقاعد علي بن صالح الغامدي، **وزهران بين الماضي والحاضر** للأستاذ مسفر الزهراني، و**أربعة أيام في منطقة الباحة** للأستاذ علي حافظ.

جاء في كتاب **أربعة أيام في منطقة الباحة**:

"وقد شاهدنا منطقة الباحة، وتجولنا في غاباتها وقراها من بلجرشي في الجنوب حتى المندق، فجبل دوس الشامخ في الشمال، وكان قد مضى على إمارته لها أكثر من سبع سنوات (يقصد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز) فرأينا بها من التقدم والإصلاحات والتطور ما يبهر العقل ويهيئ هذه المنطقة لمستقبل متألق سياحياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً بإذن الله"[١].

(١) **أربعة أيام في منطقة الباحة**، ص١٥.



الفصل التاسع

الأمـــير والرجــل

الأمــير والرجـل

في أحد أيام إمارة إبراهيم بن عبد العزيز للباحة، تقدم أحد المواطنين البسطاء إلى الإمارة بطلب لتعيينه في عمل شاغر، وهو صنع القهوة وصبّها للأمير وضيوفه. وكانت للرجل خبرة بهذا العمل، وبه حاجة إلى ما يعول به أسرته. ولكن كانت في صوته بحة قبيحة تجعل كلامه منفّراً وغير مفهوم أحيانًا، وخشيت الإدارة المسؤولة عن تعيين المستخدمين أن لا يرضى الأمير عن تعيينه بسبب عاهته هذه، فلما عُرِض الأمر عليه، قال: "إنه سيتولى إعداد القهوة، ولن يكون مذيعًا".

كان هذا الجواب يدل على أمرين: فهو يُظهر ما كان يتمتع به الأمير من روح الدعابة، وهي على الدوام صفة تدل على لطافة النفس ورهافة الحس، ولكنه فوق ذلك يدل على ما كان يتمتع به من روح إنسانية، وما يشعر به من عطف على شخص محتاج يبحث عن عمل، ولكنه مصاب بعاهة لا ذنب له فيها، ولا تؤثر في عمله أو تعرقله.

والمواقف الإنسانية المماثلة التي تروى عن الأمير إبراهيم كثيرة لا تحصى، مما أكسبه سمعة عالية وشهرة طيبة في جميع الأماكن التي عمل فيها أميراً أو وكيلاً للإمارة.

وعلى الرغم من أنه كان يتمتع بروح الفكاهة، وَحُبِ "النكتة" والمزاح مع أصدقائه، فإنه كان في ساعات العمل يلتزم الجد، وكان قوي الشخصية مهيب المجلس، وكان مجلسه في مقر عمله يتسم بالجدية والصرامة. وكانت شخصيته في أوقات العمل تغاير شخصيته حين يفرغ من العمل ويكون بين أهله وأصدقائه، ففي مقر عمله كان يعير العمل ما يتطلبه من وقار وجدية، كي لا يطمع في لطفه وكرمه طامع يحاول استغلال علاقة خاصة لقضاء مصلحته.

ولم يكن مكتب الأمير إبراهيم مفتوحاً لكل "من هب ودب"، ولا لزائر يريد إضاعة وقته في الثرثرة أو التحدث في الأمور الخاصة الخارجة عن نطاق العمل، على حساب أشغال المواطنين ومصالحهم، ولكنه في الوقت نفسه كان يصر على مقابلة من لديه شكوى أو مظلمة. وقد قال في هذا الصدد مرة إن المواطن الذي يتقدم بمظلمة، ثم يسلم عريضة ليد الأمير شخصياً، يشعر بالاطمئنان، ويدرك

أن قضيته ستلقى أذناً صاغية، فإذا كان مطلبه عادلاً، فإنه لابد أن يجاب إليه.

حدثنا الأستاذ عبد الله العبد الرحمن البراهيم، فقال:

"حين نجلس معه يكون مرحاً، بحيث أشك أن هذا الشخص الذي يجلس أمامي الآن، هو نفس الشخص الذي كان في مكتب الإمارة الرسمي قبل ساعة.

كان يجمع الناس حوله ببساطة، وكأنه عالم نفسي أو اجتماعي، إذ يأتيه بسطاء الناس، فيرون ذلك الرجل المهيب في مجلسه الرسمي يتبسط معهم، فقد كان في أوقات الراحة يلغي الحواجز بينه وبين الناس، ويتكلم ويمزح ويضحك. فكان من هذه الناحية خبيراً بالنفوس، يجيد كسب المحبة والاحترام معاً. وكان رجلاً صادقاً في عمله، يضع كل شيء في مكانه، معروفاً لدى الناس جميعاً بصدقه ووقاره".

وكان من عادته – وقد حافظ على هذه العادة طيلة وجوده في منطقة الباحة – أن تكون داره مفتوحة للناس كافة مساء كل يوم، كما أن مائدته كانت مفتوحة للعشاء يومياً أيضاً، ولم يكن يرضى أن ينصرف زائر، كائناً من كان، دون أن يتناول طعام العشاء على مائدته. وكان يراقب زوّاره ويقدم لهم الطعام بنفسه، ويدعوهم للاستزادة منه.

كان قصر الأمير إبراهيم في الباحة موئلاً للقاء مديري الإدارات والمصالح الحكومية في كل مساء، وتحولت جلستهم بعد العشاء إلى ما يشبه الاجتماع الرسمي، إذ يبحثون خلاله ما يواجهونه من مشاكل تعترض عملهم أو قيامهم بتنفيذ مشروعات التنمية، وكان كل منهم يبدي رأيه بصراحة، ويعرض ما لديه من اقتراح ويطرح ذلك لمناقشة ودية صريحة.

وكانت أريحية الأمير إبراهيم بن عبد العزيز وعمق تجربته وراء هذه العادة المفيدة، وكان يصغي لكل اقتراح، ويحترم كل رأي.

وكان الأمير إبراهيم دائب النشاط كثير الحركة، عظيم الشعور بالمسؤولية وشديد الاهتمام بأداء الواجب. محبًا للرحلات، ولذلك يخرج يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع في رحلات

يجمع فيها بين الترفيه والاتصال بالقبائل والمواطنين، وكان يتبسط معهم، ويدعوهم، ويلبي دعواتهم، ويناقشهم في أمورهم ومشاكلهم بصفاء ومروءة ويحاول التوصل إلى حلول لها.

وكان شديد الاهتمام براحة المواطنين، يعمل دائمًا على إزالة عناء السفر عنهم، وقد دأب على إقامة مخيم في منطقة تهامة وسط الجبال الشاهقة والطرق والوعرة، يذهب إليه يومين في الأسبوع، للنظر في مشاكل المواطنين وشكاواهم ليوفر عليهم، وخاصة على العاجزين والمرضى منهم، مشقة السفر إلى مقر الإمارة في الباحة لمتابعة مصالحهم.

وكان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز يتفهم دور المسؤول الإداري فهماً عميقاً. فهو شديد في مطالبة المواطنين باحترام القوانين وتنفيذ أوامر الحكومة والتقيد بها، بصفته ممثلاً للحكومة. ولكنه من ناحية أخرى، كان أمام الحكومة يمثل المواطن، ويدافع عن حقوقه، ويطالبها بخدمته.

وكان مغرمًا بالسفر على الطرق البرية، ويفضلها على استخدام الطائرات، ولا يتضجر من طول المسافات، بل يفضل عبور الطرق الترابية على الطرق المعبدة في تجواله للنزهة على وجه الخصوص، لأن السيارة في هذه الطرق تسير ببطء، مما يتيح له فرصة التأمل في الأرض ومعالمها. وكان الأمير إبراهيم موسوعي المعلومات عن جغرافية بلاده، خبيراً بأوديتها، يحفظ أسماء كثير من المواقع والجبال، سواءً المشهورة منها أو غير المعروفة.

ولعل من أبرز الصفات التي عُرفت عن الأمير إبراهيم تواضعه الجم، ووفاؤه الذي يكاد يكون مبالغاً فيه.

كان يكره الظهور، ويحاول الابتعاد عن الأضواء، ويعزف عن الدعاية الشخصية. ويروي الأستاذ علي صالح السلوك[1] في مقابلة مع جريدة "المسائية الأسبوعية" حادثة تدل على مدى عزوف الأمير إبراهيم عن الدعاية الشخصية:

(١) الأستاذ علي صالح السلوك من الشخصيات السعودية التي عملت مع الأمير إبراهيم في الباحة منذ وصوله إلى المنطقة حتى وفاته، وكان مستشاراً بمكتبه وهو مدير عام الإدارة بأمانة منطقة الباحة، ونائب رئيس نادي الباحة الأدبي، وقد أظهر وفاءً عظيماً للأمير إبراهيم بعد وفاته وكتب عنه وعن إنجازاته في الصحف السعودية في شتى المناسبات.

"عندما تقررت زيارة الملك خالد – يرحمه الله – للمنطقة سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م وقام بها نيابة عنه ولي عهده آنذاك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، كلف الأمير إبراهيم الأستاذ السلوك بإعداد كتيب إعلامي عن المنطقة وقبائلها والأماكن السياحية فيها، وقد أعددت المعلومات واخترت لها الصور وعرضتها عليه فوافق وقال: لا تضف أي شيء دون استشارتي، وعند طباعة الكتاب وإخراجه تطلب الأمر صورة فوتوغرافية واحدة، وكان لديَّ صورة لمعاليه في إحدى جولاته في المنطقة ومعه بعض أنجاله، فأضفتها، ولما اطلع على الكتيب غضب وأمر بنزع الصورة من جميع النسخ المطبوعة قائلاً: "الكتاب ليس دعاية لي"... وأمضينا ليلة كاملة ننزع الصفحة ونتلافى أثر نزعها حتى لا يكون ملفتًا للنظر..."[1].

أما مظاهر وفائه فقد أفاض في ذكرها أصدقاؤه وعارفوه. وكان للوفاء عنده مفهوم سامٍ يندر مثيله.

وكان من عاداته الحميدة، حرصه على رد الزيارة في الأعياد للمعمرين، والأعيان ذوي المكانة في المنطقة.

وروى لنا الأستاذ أحمد حامد الغامدي أنه كان في إحدى المرات بمعية الأمير إبراهيم: "فطاف بنا وقتًا طويلاً، وقطع مسافات شاسعة بحثاً عن أناس بسطاء للغاية لأنهم كانوا على علاقة بوالده، أو كانوا من رجاله الذين عملوا معه معاونين أو موظفين، وذلك بقصد تطييب خواطرهم وإقالة عثراتهم في سن الشيخوخة، وكان بعضهم معدماً، وقد رأيته يعطي كل من يجده منهم بسخاء كبير، فكانوا يلهجون له بالشكر والدعاء".

---

(١) "المسائية الأسبوعية"، السنة ١٨، العدد ٤٩٩٥، ٢٨ – ٢٩ ربيع الآخر ١٤١٩هـ (٢٠ – ٢١ آب / أغسطس ١٩٩٨م).

وقال رجل من خاصته أنه "أمضى يومًا كاملاً يبحث عن رجل كفيف البصر في قرية نائية جدًا في قطاع بني مالك، جنوبي مدينة الطائف، لأنه من رجال أبيه، ويرى من واجبه أن يزوره. ولم يغادر الأمير دار ذلك الرجل حتى بدل بؤسه إلى سرور، ويأسه إلى رجاء". وكان رحمه الله يتمثل بالحديث الشريف: "من إيمان المرء صلته لأهل وّ أبيه".

ولم يكن وفاء الأمير إبراهيم قاصراً على أصدقائه وزملاء والده ورجاله، وإنما كان يشمل من أساءوا إليه أو اختلفوا معه في وقت من الأوقات. ومما يرويه أحمد حامد الغامدي، أن الأمير إبراهيم كان قد اختلف مع إحدى شخصيات منطقة الباحة، وتحديداً في قطاع البادية، وكان الرجل غير محق في موقفه من الأمير ظالمًا له.

وعلم الأمير إبراهيم أن الزمن قد تجهم لذلك الرجل، وأن المرض أقعده، فلم يعد بمقدوره أن يتناول إلا حليب الإبل الذي يُجلب له من أصحابها بصعوبة كبيرة وكلفة عالية، وهو يكاد يكون معدماً. فما كان من الأمير إلا أن اشترى ناقتين أهداهما له ليشرب من لبنهما. وأدرك الرجل خطأه، وصحح رأيه الذي كان نتيجة الجهل. ومات الرجل وهو يدعو للأمير بطول العمر، ويأسف على ما بدر منه نحوه.



الشيخ الإبراهيم وعن يمينه نجله الأكبر عبد العزيز وإلى يساره نجله خالد الثاني في العمر بين أبنائه.



المغفور له بإذن الله الشيخ إبراهيم البراهيم في الوسط يؤدي الرقصة الشعبية "العرضة" وإلى يمينه نجله خالد البراهيم.



الشيخ إبراهيم البراهيم ونجله الأكبر عبد العزيز.



الشيخ المرحوم ونجله خالد.





الشيخ إبراهيم عبدالعزيز البراهيم عندما كان وكيلاً لإمارة عسير بصحبة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز وصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمهما الله والشيخ خليفة بن حمد آل ثان أمير قطر السابق في إحدى المناسبات التي أقيمت في منطقة عسير عام ١٣٩٩هـ



أمير الباحة الراحل ومعه ابنه فهد البراهيم.



الشيخ إبراهيم البراهيم يشارك الموظفين فرحتهم في إحدى المناسبات.



لقطة للمرحوم في إحدى الجولات التفقدية في منطقة الباحة وبصحبته المرحوم الشيخ عبد الله البراهيم.



صورة تذكارية من آخر رحلة لخارج المملكة: المرحوم الشيخ البراهيم مع بعض الأقارب والمرافقين (١٤٠٥هـ) (١٩٨٥م) قبل سنة من وفاته.



الفقيد في أوائل رحلاته إلى الخارج مع محمد على الشويهي ومحمد المرشد الزغيبي.

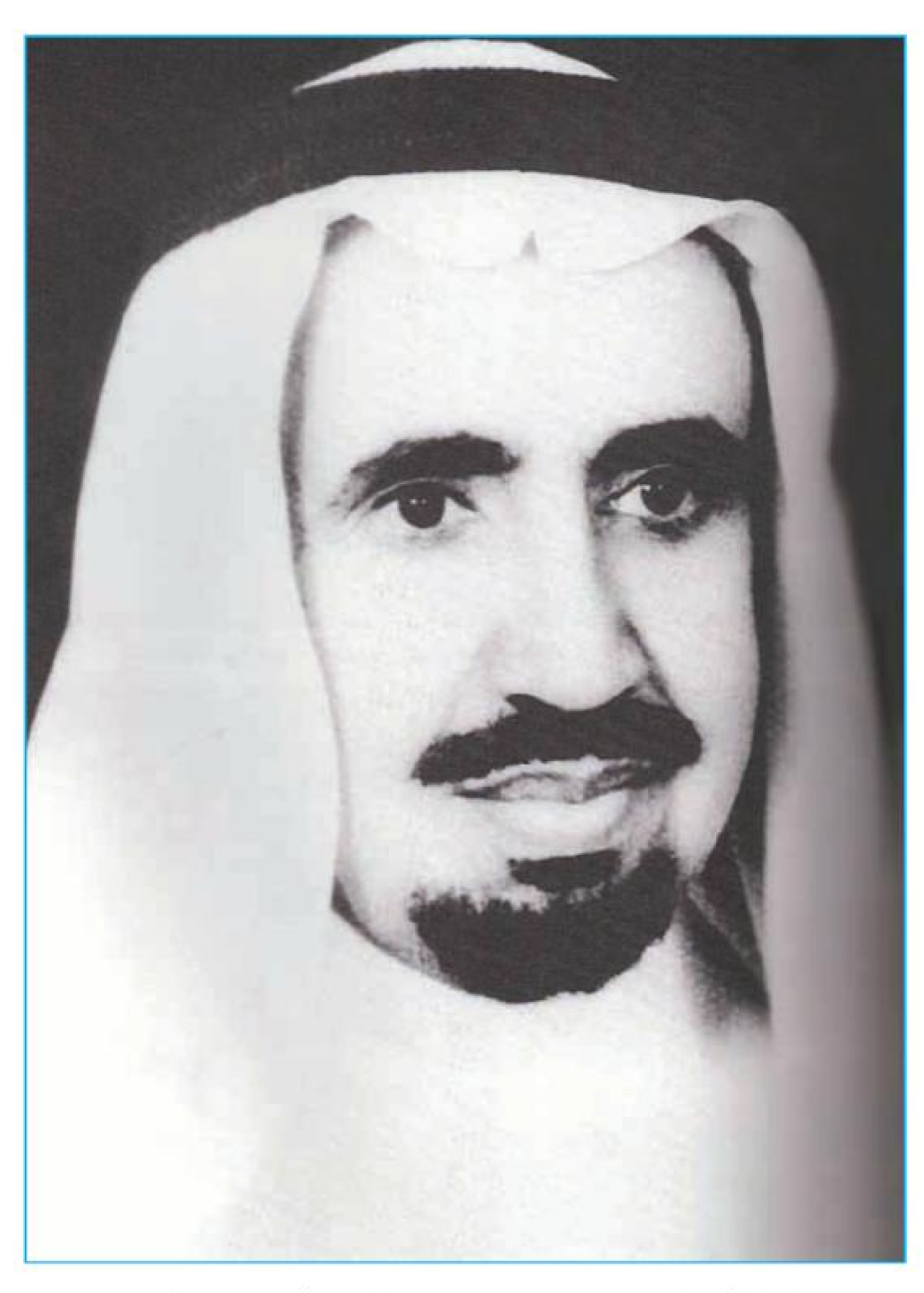


صورة للشيخ إبراهيم آل إبراهيم خلال تفقده مشاريع منطقة الباحة



الشيخ البراهيم في إحدى زياراته الخارجية.

معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في صورة تذكارية.



معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في صورة تذكارية.



صورة لمعالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في إحدى المناسبات الرسمية.



معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في منطقة الباحة.



معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم في إحدى رحلاته البرية.



معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم يؤدي العرضة مع أهالي وأمراء القبائل بمنطقة عسير.



معالي المرحوم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم وسبعة من أبنائه وابني أختيه إبراهيم العبد الله البراهيم ود. سامي عبد الله عبد الرحمن البراهيم.



الفصل العاشر

الأب المثـالــي

الأب المثالــي

كان الأمير إبراهيم أبًا مثاليًا ورب أسرة تغمر قلبه المحبة والحنان، دون أن يؤثر ذلك الحنان في القرارات التي يتخذها لمصلحة أولاده وأفراد أسرته مهما بدت شديدة في وقتها، إذا وجد أنها في مصلحتهم.

وكان يحرص على جمع أفراد الأسرة مرتين أو ثلاث مرات سنوياً، ويدعوهم من كافة المناطق، مما أدى إلى نشوء روابط عائلية قوية جداً بينهم، وكانوا يقضون في ضيافته نحو أسبوع، كما أنهم كانوا يقضون عطلة العيد في ضيافته أيضاً في الباحة.

ومن أهم الأمور التي أولاها الأمير إبراهيم عنايته الخاصة هي خدمة التعليم العام في المناطق التي عمل فيها، أميراً ووكيلاً للإمارة، والعمل على توسيع نطاقها وفتح المدارس في المناطق المختلفة، ولذلك كان من الطبيعي أن يحرص على تعليم أولاده، ولديه ١٣ ابنًا و١٣ ابنة كان حريصاً على أن ينال كل منهم أفضل تعليم ممكن.

وفي سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، استقدم لأولاده مُدرّسة خاصة من لبنان هي عفاف صفا لتباشر بتعليمهم، كما قرر بعد ذلك إرسال ولديه الكبيرين عبد العزيز وخالد للدراسة في كلية فيكتوريا بمصر، وقد ذهبا إليها في سنة ١٩٦٠م، وهما في سن صغيرة، ولكن أحد أصدقائه تدخل في الأمر، وتمكن من إقناعه بإدخالهما في مدارس وطنية في المرحلة الابتدائية والثانوية، لأن كلية فيكتوريا، وإن كانت ذات مستوى تعليمي جيد، فإنما تبقى مدرسة أجنبية، وقد لا تغرس في طلابها الروح الإسلامية والعادات والفضائل العربية، فأعادهما إلى المملكة حيث أكملا الدراسة الثانوية فيها، فلما أتمّاها قرر إرسالهما للدراسة في أمريكا، كما يروي لنا نجله الشيخ خالد البراهيم في معرض ذكرياته عن والده رحمه الله.

وكان الأمير إبراهيم البراهيم يوزع عطفه الأبوي على أبنائه بالقسط، ويعدل بينهم، فلم يشعر صغير منهم ولا كبير، بأن أحداً من إخوته مفضل عليه، أو أنه ينال من حنانه الأبوي أكثر

مما يناله هو.

كان أكبر أبنائه هو الشيخ عبد العزيز الذي سمَّاه تيمنًا باسم والده الأمير عبد العزيز، وابنه الثاني هو الشيخ خالد. ونظراً لتقارب سنيهما ونشأتهما معاً، فقد قرر إرسالهما للدراسة في الخارج سوياً – كما سبقت الإشارة – فذهبا أولاً إلى كلية فيكتوريا الشميرة بمصر، وهي معروفة بمستواها التعليمي والتربوي الممتاز، ثم أرسلهما للدراسة في الولايات المتحدة في ولايتين متجاورتين. فقد ذهب الشيخ عبد العزيز إلى جامعة "تاكوما" بولاية واشنطن، على الساحل الغربي من الولايات المتحدة، حيث حصل منها على شهادة الماجستير في العلوم السياسية والاقتصادية. أما الشيخ خالد فذهب إلى جامعة أخرى، بمدينة يوجين في ولاية أوريغون المجاورة، وهي جامعة "أوريغون"، وحصل منها على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال.

أما أبناؤه الآخرون، فهم، بحسب تسلسل أعمارهم، **سعود**، وهو يحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من إحدى جامعات الولايات المتحدة أيضاً، **ومنصور**، وهو يحمل الشهادة نفسها، **وفهد**، وهو يحمل درجة الدكتوراه، **ومحمد**، وهو يحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال، **ووليد**، **وبدر**، **وماجد**، **وسلطان** وهم يحملون الشهادة نفسها، **ونواف** **وتركي** وهما يدرسان في المرحلة الثانوية، **وفيصل**، أصغر أبنائه، وهو يدرس في المرحلة الابتدائية. كما كان جميع بنات الأمير إبراهيم متعلمات تعليمًا جيدًا.

ويحمل أولاد الأمير إبراهيم عن والدهم أطيب الذكريات، فضلاً عمًا يغمر قلوبهم نحوه من محبة واحترام. فقد عُنِيَ بتنشئة كل واحد منهم عناية خاصة، ووفر لهم أسباب الدراسة على أكمل وجه، وحمَّلهم رسالته في الحياة، وأعدَّهم للمستقبل خير إعداد.

وقد تسنى للمؤلف تسجيل لمحات من ذكريات نجليه الأكبرين، الشيخ عبد العزيز والشيخ خالد، كما أن نجله الخامس، الشيخ فهد، كتب كلمة مؤثرة إثر انتقال والده إلى جوار ربه ضمَّنها مشاعر الابن بفقدان أب مثالي.

ذكريات الشيخ عبد العزيز

قال الشيخ عبد العزيز البراهيم إن ذكرياته عن والده، رحمه الله، كثيرة، "وإن العبارات تعجز عن وصفه، والكلام يعجز عن بيانه".

كان في تعامله يمثل أصدق صور العاطفة وأنقاها، وكان الارتباط الأبوي الحنون لا يقتصر على علاقته مع أبنائه وأفراد أسرته، بل يتعداه إلى الآخرين، فكان كثير المشاركة للناس في أفراحهم وهمومهم، وكان يحث على صدق العطاء، والإخلاص في أداء الواجب، ومخافة الله في القول والعمل.

وتحدث الشيخ عبد العزيز عن عادات والده الخاصة، فقال:

"كان أبرزها حرصه الشديد على تخصيص جزء من برنامجه اليومي، للاجتماع مع أبنائه لمتابعة سير دراستهم والوقوف على مستوياتهم الدراسية، والاستماع إليهم، وحثّهم على الاستزادة من العلم، والتمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، واحترام صغيرهم لكبيرهم، والتواصل فيما بينهم.

وكان رحمه الله شديد الحرص أيضاً على التفاف جميع أفراد أسرته حوله أثناء تناول الطعام، وكان يتفقد الغائب منهم، ولا يبدأ الطعام قبل أن يطمئن على الغائبين صغيرهم وكبيرهم. وكان رحمه الله – كما يعرف الجميع عنه – آية في التواضع والوفاء. وقد كان له في كل مدينة وقرية معارف وأصدقاء وأحباب، يفاجئهم بزيارته لهم في منازلهم ومواقع عملهم، وكان على الدوام لطيفاً معهم، يتفقد أحوالهم، ويعطف على كبيرهم، ويحنو على صغيرهم، ويرعى شؤونهم، ويشاركهم في مناسباتهم. وكان لا يتخلى عن هذه العادة المحببة إلى نفسه وإلى أحبائه، مهما كانت ظروف انشغاله أو ارتباطاته الرسمية".

أما آراؤه السياسية، ومواقفه الوطنية، وخاصة موقفه من قضية فلسطين، فقد ذكر الشيخ عبد العزيز أنها كانت على العموم تعكس صفة الاعتدال والحكمة الفطرية التي تميَّز بها في شخصيته الخاصة والعامة معًا. قال الشيخ عبد العزيز:

"كان دائمًا مع الحق والعدل ونصرة المغلوب على أمره. وهذا ينسحب بشكل خاص على قضية فلسطين.

وكان، رحمه الله، كبير الحرص على التعبير عن مظلمتهم ومحنتهم المستمرة في اغتصاب أراضيهم وتشريدهم حول العالم. وكان يؤكد دائمًا على النهج الذي سار عليه مؤسس المملكة وزعيمها الأول المغفور له الملك عبد العزيز بصدد فلسطين: بأنه لن يستعاد الحق إلا بواسطة أهل الحق أنفسهم، وبمعونة إخوتهم العرب والمسلمين".

وسأل المؤلف الشيخ عبد العزيز عن والده "إنسانًا": ماذا كانت هواياته، وقراءاته، وهل كان هنالك أديب أو شاعر معين كان معجبًا به بصورة خاصة؟ فقال:

"كان رحمه الله شغوفاً بالطبيعة الفطرية لكل ما حوله، ومحبًا للتجول والسفر في أنحاء الصحراء، وفي السواحل، والإقامة فترات طويلة في مخيمات البر.

وكان يميل إلى الفن والأدب، ويحب القراءة والإطلاع على كل ما هو جديد ومفيد لحياة أبنائه ومجتمعه، ومن كان مسؤولاً عنهم في الخاصة والعامة. ولا يمكن أن يقال إنه كان له ولع خاص بالموسيقى مثلاً، ولكنه كان واسع الإطلاع في شتى مجالات المعرفة، وكان يتميز بذاكرة حادة، وشغف شديد بالكتب الأدبية وخاصة كتب التراث. وكان يميل إلى قراءة الشعر، ويهوى بصورة خاصة شعر أحمد شوقي من شعراء القرن العشرين".

أما طباعه الشخصية وتعامله مع الناس، فقد ذكر عنها الشيخ عبد العزيز قائلاً: "إن من أنبل صفاته هو أنه كان حليماً هادئ الأعصاب، نادراً ما يثور، ولا يثور إلا في وجه حق، وعندما تحتدم الأمور وتبلغ نهاياتها".

وختم الشيخ عبد العزيز ذكرياته عن والده قائلاً:

"قد تكون شهادتي مجروحة نظراً لأنني أكبر أبنائه، ولكن سيرته بين الناس جميعاً، وخاصة بين من عمل معه من موظفين وزملاء، لهي أكبر شاهد على هذا الجانب من حياته. وأحسن ما أذكره هنا هو أن أقول إن الوالد رحمه الله كان ملتزماً أكبر التزام بالمبدأ الإسلامي

الموروث: الدين المعاملة".

ذكريات الشيخ خالد - النجل الثاني للأمير إبراهيم:

قال الشيخ خالد بن إبراهيم للمؤلف:

"أول شيء أتذكره عن الوالد رحمه الله، حادث وقع يوم كان عمري ثلاث سنوات أو تزيد قليلاً. كان الوالد مغرماً بالبر، يخرج أحياناً لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر، وينصب مخيمًا للعائلة، وفي إحدى المرات أخذني معه وأنا في تلك السن، وبتنا في البر. وكنت في ذلك الوقت صغيراً لا أزال أنام مع والدتي، فأفقت في الليل وسألت عن والدتي وأنا أبكي، فحاول والدي تهدئتي. وكانت لدينا سيارة فورد صغيرة في ذلك الوقت، فأخرجني إلى السيارة وفتح الراديو وحاول إلهائي به.

هذا الحادث أتذكره بكل وضوح على الرغم من صغر سني في ذلك الوقت.

ومن عاداته أنه كان يأخذ أولاده معه إلى كل مكان يذهب إليه لتعلقه بأطفاله، ولكي يتعودوا على مجالسة الكبار. وفي إحدى المناسبات حضر الملك سعود لزيارة المنطقة، فأخذنا معه إلى الاستقبال الرسمي ونحن أطفال، وقد سلمنا على الملك سعود والملك فيصل غير مرة.

وكانت لديه فكرة تربوية ممتازة، ويرغب في تعويدنا على مجالسة الرجال والإصغاء إلى محادثاتهم. وكانت مجالسة عامة يتردد على زيارته فيها علماء وأدباء وشخصيات مهمة من شتى الأنواع، وكان يشركنا في هذه الجلسات ويشجعنا على حضورها.

كان إخلاص المرحوم للعمل شديداً، يقضي فيه نحو ٧٠ بالمائة من وقته. يذهب إلى مكتبه في ساعة مبكرة من الصباح ويعمل حتى الظهر، ثم يرجع ليتناول الغداء في البيت، وبعده يرتاح نحو ساعة ونصف الساعة. ومن عادته أن ينام بعد تناول الغداء يومياً. وكانت تجلب إليه مجموعة كبيرة من الأوراق فيدرسها ويعمل عليها في البيت ساعات طويلة من الليل.

قال له أحد أصدقائه مرة لماذا تقضي كل هذا الوقت في العمل، ولماذا لا ترفه عن

نفسك، فأجابه: وكيف أترك شخصاً في السجن ينتظر إنهاء معاملته، ومصيره متوقف على قرار أتخذه؟.

كان ضميره اليقظ يحثه على العمل، وكان مؤمناً بالعمل دؤوباً عليه.

من النقاط المهمة في سيرته أنه كان كريماً، يتفقد أصدقاءه القدماء ويحرص على البحث عنهم، وفياً لهم. وكان واصلاً للرحم، يتفقد أخواله وأخوال جده ويرعاهم، ويعيرهم اهتمامه، ويزورهم، كما يصل أصدقاءه".

ومما لاحظناه في الفترة الأخيرة، أنه كان يحرص على اصطحابنا معه حينما يأتي إلى الرياض. وكان حين يزورها يتوافد عليه أصدقاؤه، ويدعونه إلى بيوتهم.

وكان لا يرغب في رد أي طلب، بل يحاول تلبية كل طلب لأصدقائه، ولا ينظر إلى الطبقة التي ينتمي إليها الشخص، سواء أكان فقيرًا أو غنيًا، أو ينتمي إلى عائلة كبيرة أو متواضعة. وكان يبحث عن دورهم، ويسأل عنهم، ويذهب إلى دورهم في الأحياء القديمة أو الفقيرة بلا تكلف.

ومما نذكره عنه، نحن أولاده، أنه كان يحارب ميلنا إلى سياقة السيارات حينما كنا صغارًا، ولم يسمح لنا بقيادة السيارة إلا بعد أن أنهينا دراستنا الثانوية.

كان رحمه الله يتمتع بروح الفكاهة، ويحب النكتة والمزاح مع أصدقائه، وقد أصبحت هذه الروح واضحة لديه في أعوامه الأخيرة، وروح الفكاهة في الشخص دليل صفاء الذهن، وعلامة الذكاء، وخفة الروح وطيبة القلب.

قرر في البداية إرسالنا إلى كلية فيكتوريا بالإسكندرية، فذهبنا إليها ونحن في الدراسة التمهيدية في سنة ١٩٦٠م، ولكن أحد أصدقائه تدخل في الأمر، ونصحه بأن يدخلنا مدارس وطنية في المرحلة الابتدائية والثانوية، لأن كلية فيكتوريا، وإن كانت ذات مستوى تعليمي جيد، فإنها مدرسة أجنبية لا تغرس في نفوس طلابها الروح الإسلامية والفضائل والعادات العربية. وكان يرعانا أثناء إقامتنا في مصر ودراستنا في كلية فيكتوريا أحد أبناء عمومته، وهو

الأستاذ عبد الله عبد الرحمن إبراهيم (أبو سامي) الذي كان ولي أمرنا في مصر، والمسؤول عنا.

وقد عدنا إلى الدراسة في الوطن بعد سنة واحدة، ولما أكملنا دراستنا الثانوية، قرر إرسالنا للدراسة في أمريكا. وعشية مغادرتنا إليها جمعنا وألقى علينا محاضرة قوية في أهمية التمسك بديننا وعاداتنا وفضائلنا، وأكد على عدم إغفال الصلاة، وتحدث عن أهمية العلم والدراسة، وعن تاريخ عائلتنا، وزودنا بكثير من النصائح.

وكانت رواتب الطلاب المبتَعثين إلى أمريكا في ذلك الوقت ٢٢٠ دولاراً في الشهر، فزودنا إضافة إلى ذلك بمبلغ ألف دولار للطوارئ طوال السنة، وقال إننا يجب أن ندبر أمورنا بهذا المبلغ الذي يعيش عليه غيرنا من الطلاب، فسافرنا وأقمنا في شقة صغيرة، واشترينا سيارة مستعملة، وتعودنا أن نكتفي بهذا المبلغ ونعيش عليه بصعوبة، على الرغم من قدرته على زيادة ما يرسله إلينا، وإرسال أي مبلغ إضافي. وقد طلب الأخ عبد العزيز مرة زيادة المبلغ المخصص لنا، فرفض هذا الطلب.

وفي إحدى المرات طلبنا إلى الوالدة أن ترسل لنا شيئاً من المال لحاجة لنا، فلما أرسلته وعلم الوالد بالأمر لم يرتح للأمر بل غضب غضبًا شديدًا.

إننا نعلم الآن أن ذلك لم يكن بُخلاً منه، بل حرصاً على تعويدنا على الضبط والالتزام.

ولما أكملنا دراستنا وقررنا إقامة حفل لتوديع أصدقائنا وتكريم أساتذتنا، طلبنا إليه مبلغًا من المال، فحول لنا عشرة آلاف دولار. وكان هذا مبلغًا خياليًا بالنسبة لنا في ذلك الوقت. وقد فعل ذلك بعد أن أكملنا دراستنا وحصلنا على نتائج مرضية.

"وكان رحمه الله رجلاً يكتم غيظه، ولا يحب أن يجرح شعور الآخرين، وأذكر أنني في أحد أيام الدراسة في المملكة، في المرحلة الابتدائية تخاصمت مع أحد التلاميذ في المدرسة، فكتب المدير رسالة إلى والدي يشكوني فيها على هذا التصرف، وأرسل الرسالة بيد السائق. فأطلعني السائق على الرسالة، وحاولت إغراءه بالمال لكي لا يوصل الرسالة إلى والدي. فطلب السائق لقاء هذا أن أعطيه جهاز تسجيل جديد كنت فرحاً به. أعطيته إياه، وظننت أن الأمر انتهى. ولكن

السائق أوصل الرسالة دون علمي، ولم يظهر على والدي مظهر الغضب ولم يقل لي شيئاً، حتى رأيت الرسالة على منضدة في غرفة النوم، وكان قد تعمد وضعها لكي أراها، فعلمت أنه كان يدري بالأمر ويكتم غيظه، لعلمه أن الأمر كان من نزوات الشباب أو اليفاعة الزائلة.

ومن الحالات القليلة التي عجز فيها عن كتمان ألمه وتأثره، وأصابه فيها حزن عظيم، حينما توفيت أخته الشقيقة، وكانت ساكنة معنا. وقد رأيته يكاد ينهار من الحزن عليها، وكان ذلك مظهراً من مظاهر شعوره الرقيق الذي كان يسيطر عليه في سائر الحالات، إذ لم يتمالك نفسه أمام هذه الحادثة.

وصادف أن انتابني في صغري مرض الربو فعجز الأطباء عن معالجته، وازدادت معاناتي منه، ونصحه البعض بأن "الكيّ" هو العلاج الوحيد لحالتي. وقد سيطر الوالد على أعصابه، وحاول إقناعي بأن العملية بسيطة، ومنحني عدة جنيهات ذهبية، وقد تمت عملية الكيّ المؤلمة في صدري، ولكن كان بها شفائي التام من المعاناة وزوال المرض نهائيًا.

كان رحمه الله يصحو مبكرًا نوعًا ما، ولكنه لم يكن يتناول شيئًا من قبيل الفطور، وإنما يكتفي بتمرة وفنجان من القهوة، ويخرج إلى عمله فلا يعود إلا في حدود الساعة الثانية بعد الظهر، فنتناول الغداء معًا، ويشرب الشاي ثم ينام وينهض في الساعة الرابعة أو نحوها، فيخرج في نزهته المعتادة بالسيارة يوميًا تقريبًا، ولا يحب الجلوس في البيت بين العصر والمغرب، وخاصة حينما كنا في الباحة. وكان يصلي المغرب في الخارج.

وفي المساء يجلس لاستقبال أصدقائه الذين يسهرون معه، وكان من عاداته أن يقرأ الكتب الأدبية قبل النوم.

كان الوالد رحمه الله يشجعنا على الكتابة إليه من أي مكان نكون فيه، ويسره أن يتسلم رسائلنا التي نخبره فيها عن أحوالنا ودراستنا وسفراتنا ومشاهداتنا، وكان يحفزنا على التعلم ويحثنا على الالتزام بالفضائل.

كان يتمتع بسمعة ممتازة، وكان له أصدقاء يحبونه ويحترمونه في كل مكان عمل فيه.

وعند زيارته منطقة من المناطق يسأل عن أصدقائه القدماء فيها، ويتفقدهم على حساب وقته ونومه وراحته.

أحدثت وفاته في حائل هزة عظيمة في المملكة، وكان لها صدى أسف عظيم، وقد سمعنا بالأمر ونحن في الخُبَر وقد أخبرني بالأمر أخي سعود.

وكان وطنيَّ الروح، يعمل لخدمة قضايا الأمة العربية في نطاق قدراته ومجالات عمله، ولما كان أميرًا للقنفذة تولى بنفسه جمع التبرعات للمناضلين الجزائريين، وكان يتابع أخبارهم ويشجع نضالهم. وكان أبو جهاد مدرساً في القنفذة في عهد إمارته.

وكذلك كان في مكة وفي سائر مراحل وظيفته يحرص على جمع التبرعات للقضايا الإنسانية والوطنية.

توفي إلى رحمة الله بعد أن شهد أولاد ابنه الشيخ خالد، وكان يحب أحفاده حبًا عظيمًا، وكان حنان الجد طاغيًا عليه.

وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه حين يراهم، فيلاطفهم ويداعبهم ويخفق قلبه لرؤيتهم".

مواقفه وآراؤه السياسية:

في السياسة العربية أُعجب الشيخ إبراهيم في بداية عهده بجمال عبد الناصر، كزعيم عربي وطني قاوم الاستعمار وعمل لأجل استقلال مصر ورفع شأنها. وكان يقول إننا فرحنا بالثورة، ودعونا لها وغنينا، لأنها كانت ثورة عربية ضد إسرائيل، فإذا بها تطعننا من الخلف عن طريق اليمن، وأصبحت الطائرات المصرية تقصف المواقع السعودية. وانقلب ترحيبه القديم بالثورة المصرية إلى كره عميق للثورات، وفقد إيمانه بها.

وكان يعتقد أن جمال عبد الناصر الذي يحاول أن يظهر بمظهر زعيم العرب، يغار من الملك عبد العزيز الذي كان أول ثوري في المملكة العربية السعودية، ويعدّه الإنسان الذي أرسله الله تعالى لبعث كيان هذا الوطن.

لاشك في أنه كان رجلاً قريبًا إلى الله تعالى، عادلاً، شهمًا، كريمًا، على خلق نبيل. وكان عظيم التقدير للأعمال التي قام بها والده، وكان منذ أن أصبح وكيل إمارة، إلى يوم وفاته، يجعل بابه مفتوحاً لكل مراجع، فلا يرفض مقابلة مراجع أو متظلم أو صاحب حاجة.

ذكريات الشيخ سعود - النجل الثالث للأمير إبراهيم:

في تصريح لجريدة "البلاد" تحدث الشيخ سعود بن إبراهيم البراهيم، النجل الثالث للأمير إبراهيم رحمه الله، عن ذكرياته عن والده فقال:

"لقد كان الوالد يرحمه الله شديد الاهتمام بصلة رحمه فلم يكن يترك أي فرصة تأتي إلا ويزور فيها أهله وأصدقاء والده. وكان الوالد رحمه الله إذا قام بزيارة مدينة أو قرية وبها أحد أصدقاء والده، فإنه كان يحرص على زيارته في منزله والسؤال عنه، مهما كانت مشاغله.

وأذكر أنه قام بزيارة لأحد أصدقاء والده في مدينة الخرج والذي كان يعمل "خويًا" عند الجد في المدينة المنورة، وكان رجلاً متقاعدًا وحرص على أن يزوره ويأنس معه، وكان الرجل كبيرًا في السن، وعندما علم بأن الوالد جاء لزيارته والسؤال عنه تأثر جدًا بهذا الموقف، فلم يكن يتوقع هذه الزيارة لأنه لم يتعودها حتى من أقربائه حسب قوله".

ويضيف الشيخ سعود البراهيم:

"إن الوالد رحمه الله كان لا يفرّق أبدًا بين أبنائه، فهم جميعًا يحصلون على حبه ومودته ولينه، ويأنسون له وينعمون بعطفه وتوجيهه وعطائه لهم، ولذلك لم يشعر أحد منا (أبناؤه وبناته) بأي نوع من التفرقة التي قد تحدث في بعض العائلات"[1].

الشيخ فهد بن إبراهيم - النجل الخامس للأمير إبراهيم يرثي والده:

على إثر فجيعته بوالده العزيز، كتب الشيخ فهد بن إبراهيم، النجل الخامس للأمير إبراهيم آل إبراهيم المقالة التالية في جريدة "الجزيرة" الصادرة بعد وفاته بثلاثة أيام، وهي مقالة مؤثرة، زاخرة بالعواطف الصادقة، الصادرة من قلب مليء بالحزن والأسى، مع الرضوخ لقضاء الله وقدره:

(١) جريدة "البلاد"، العدد ٩٣٤٨، ١٨ جمادى الأولى ١٤١٠هـ (١٦ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٩م).

رسالة إلى أبي

أبي الغالي

آنس الله وحشتك في قبرك وثبتك عند السؤال... وأمدك بأجر الصابرين والمؤمنين والشهداء والصالحين وحشرك مع عباده المؤمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أكاد أجمع شتات أفكاري وهي مني تضيع وعليَّ تتشابه الأمور وتتشابك، فلا أجد منها مخرجاً إلا الدعاء لك وهو ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به، وأرجو أن ينالك ما سمعته من دعاء من أفواه كثيرة، كبيرة وصغيرة، غنية وفقيرة، تعرفك ولا تعرفك، فهي لنا الصبر ولك منها الأجر والثواب.

سيدي الغائب الحاضر:

أنت في ذهني حاضر معنا، بأبوتك الحانية ورعايتك الشاملة للفقير قبل الغني، للصغير قبل الكبير، للمحتاج قبل الواجد، ومع إيماني الكامل بالله تعالى ويقيني بالأقدار والإيمان بقضاء الله والاحتكام لأمره والصبر عند الصدمة الأولى، إلا أن ما حدث من هول المفاجأة كان لي أكبر من أن أتحمله أنا وأخوتي وأهلي وأصدقائي ومحبوك الكثيرون، الذين نعرف والذين لا نعرف، ومع إيماني بأن الموت حق مشهور وطريق مأثور ولكن نحن في هذا الزمان أشد ما نكون حاجة فيه إلى مثل أبوتك وحنانك وعطفك وتوجيهك ورعايتك. أنا أعرف أنك تكره المديح والإطراء وأساليب الثناء كما كنت رحمك الله تكره كل ذلك في حياتك، فلقد كنت مدرسة كبيرة لا حدود لأرجائها ولا تحديد لسِعتها، فلقد كانت في مثل سعة الأرض ورحابة الصدر، وكنت أستاذاً في هذه المدرسة للأخلاق الفاضلة والمبادئ الحميدة، وداعيًا إلى سبل الحق والخير ومحاميًا عن حقوق الضعفاء والمحتاجين، ناصحًا أمينًا للكبير والصغير والغني والفقير، قمة في صلة الرحم وجمع الشمل.

كنتُ يا سيدي أود أن أنهل من هذه المعارف الحكيمة والمُثل العليا، إننا بحاجة إلى مثل هذه المُثل والحِكَم والدروس ولكنك يا سيدي رحلت قبل أن تكمل الدرس، فما أحوجنا في مثل

هذه اللحظات إلى أخذ العبرة بمثل هذه الدروس القيمة والأفعال الحميدة والتصرفات الرشيدة والمُثل العليا، وقد كنتَ لها نِعم المنفذ والمدرس والمعلم، دار كل ذلك في ذهني وأنا أستعيد مع وقْعِ المفاجأة وهول المصاب، كيف كان تعاملك معنا جميعًا، ولعلي لا أنسى درسًا واحدًا من دروسك الحانية ونصائحك الأبوية والزاد القوي الذي كان لنا جميعًا عونًا على هذه الحياة.

لقد كانت تلك اللحظات التي عزمتُ فيها وأخي منصور على السفر للولايات المتحدة للدراسة الجامعية، منعطفًا في مسار حياتنا الدراسية فلقد كان نصحك لنا ودرسك الذي رويته لنا في كليمات بسيطة أروع الدروس وأنصعها بياضًاً وأكثرها إيضاحًا، وتلك الكلمات أكبر وأروع من جميع المحاضرات التي تلقيناها بين جدران الجامعة. قلت لنا يا أبي ولن ننسى ذلك القول: "يا بني إن الناس صنفان، كالثوبين الأبيض والأسود، فالثوب الأبيض ناصع البياض تؤثر فيه أي بقعة تظهر عليه مهما كانت صغيرة في حجمها، وقد تصعب إزالتها، أما الثوب الأسود فقد لا يتضح فيه الاتساخ ولكنه يسير في عبابه ولا يظهر عليه ذلك، فكونوا دائمًا كالثوب الأبيض". كانت هذه الرسالة الشفهية المقتضبة درسًا عظيمًا لنا في حياتنا ونبراسًا كبيرًا لنا سرنا على هداه في تعاملنا مع مجتمعنا.

أبي الحبيب:

لقد كان الدرس الذي أشرت إليه آنفًا درسًا خاتمًا لنا ولكني أستميحك العذر لأن درسًا من دروسك الكثيرة صعب عليَّ فهمه في حينه لقد كنتُ أعجب وأعجب كثيراً لما تجهد به نفسك من زيارات متعددة حينما تتواجد في أي مكان من مدن المملكة، وإنني لأجد مفكرتك اليومية تضيق بالأسماء والمواعيد لعشرات المنازل التي تزورها مع تباعدها، وكنت تهتم بالصغير قبل الكبير والمحتاج قبل المقتدر، لقد كنا نعجب من عدد المساكن التي استطعت أن تزورها في يوم واحد، والخواطر الكثيرة التي جبرتها أثناء تواجدك في أي مكان. كنا ونحن أبناؤك وكثير من أقربائك وأصدقائك نختلق الأعذار حتى لا نكون معك، لأننا نشعر بأن ما تقوم به فوق طاقة البشر. فإن زيارة عشرين بيتًا في اليوم وتناول القهوة ودخول منازل هؤلاء الرجال، هو

نوع من الأعمال الشاقة التي كنت تجد سعادة كبيرة في أداء واجبها، وكنت حينما تتواجد في الرياض لمتابعة مشاريع المنطقة تأخذ من وقت راحتك الكثير جدًا، لتزور كبيرًا في السن عمل مع جدي أو عرفته وتستفسر عن أحواله وأبنائه وأقاربه. أذكر يا أبي ذلك الموقف العجيب جدًا عندما رافقتك قبل شهرين إلى الخرج وكنا نبحث عن رجل طاعن في السن فاقد البصر أقعده الزمان وضاق به المكان واهتدينا إلى مكانه بصعوبة، ودخلنا إلى داره المتواضعة وهو يجلس على حصير صغير شاركَته في الجلوس عليه وبدأته بالسلام وقلت له نحن ضيوف من الحجاز أتينا للسلام عليك، قال حيا الله الضيوف ولكن في قلبي شعور أنكم أقرب من الضيوف وأن لكم في هذا القلب الضعيف مكانة، فأفيدوني جزاكم الله خيرًا من أنتم إني لأجد لكم في قلبي سرورًا خاصًا مع عدم معرفتي بكم. ولم يكن يعرف ذلك الرجل زائريه فترة من الزمن حتى قدَّم لنا ابنه القهوة والشاي، فإذا بك تخبره باسمك ولهول مفاجأته أجهش بالبكاء من شدة الفرحة المصحوبة بالمفاجأة، ثم قال والله لو سبقني أحد إلى التضحية بابنه في مثل هذا اليوم لفعلت، وعرفتُ منك أنه كان أحد أخوياء جدي عبد العزيز رحمه الله في المدينة.

لقد كانت هذه خصالك الطيبة وفعالك الحميدة، وقد كنت أشعر أنك تكلف نفسك فوق طاقتها وأنا على يقين من ذلك، لقد كنت قريبًا إلى قلوب كثير من الناس العاجز والمقتدر الفقير والغني ابن البادية وساكن المدينة – وبلغني أنك يا سيدي انتقلت إلى جوار ربك وأنت تؤدي مثل هذا الواجب حيث قمت بزيارة ما يزيد على سبعة عشر بيتًا في مضارب البادية، في قرى حائل، مع طرق وعرة ومسالك مهلكة وسيول عارمة في ذلك اليوم المحتوم، الذي واجهَتْ روحك الطاهرة بارئها إن شاء الله طاهرة مطهرة من أدران الدنيا.

لقد كانت هذه الأفكار تدور بخاطري ولكن الإجابة كانت واضحة جلية في هؤلاء الأخوة من كبار القوم وصغارهم، الذين امتلأ بهم جامع الرياض الكبير ومقبرة العود ولا زالوا حتى هذا اليوم وقد مرَّ أكثر من أسبوع على وفاتك، يتوافدون إلى منازلنا للعزاء، لقد رأيت أعدادًا كبيرة مهولة من أبناء هذا البلد الطيب يجيئون إلى منزلنا زرافات ووحدانًا، من قرى عسير والباحة

والمنطقة الشرقية وسدير والوشم ووادي الدواسر وحائل وغيرها من قرى ومدن المملكة، وخارجها، من بعض أقطار الخليج، كانت الأعداد أكثر من أن تحصى، والأسماء أكثر من أن تُعَد، لقد كان موقفًا محزنًا جدًا يا أبي أن يشارك في أداء واجب العزاء المقعد والعاجز وكبير السن وكفيف البصر، وهي كلها نماذج تشهد بما كان لك من مكانة وما كنتَ عليه من خُلق، وما لك في قلوب الناس من محبة خالصة لوجه الله، فقد ارتفعت أكف كثيرة بالدعاء لك فلعل الله سبحانه وتعالى وقد اختارك إلى جواره، أن يكتب لك أجر هذا الدعاء وثوابه وجناته ويجزي أولئك المحبين خير الجزاء.

لقد كانت هذه الدروس التي تفهمناها دروسًا واضحة جلية، وهي أن الثروة الحقيقية يا سيدي، هي في محبّة الناس وسعتهم بالأخلاق الفاضلة والبشاشة والسرور، وصدق رسول الله ﷺ حينما قال: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم".

اقبل يا أبي الغالي وداعنا الأخير، ودعاءنا لك بالثبات والجنة وأن تكون مع الشهداء والصالحين، فإن في ذلك عزاءً كبيراً لنا وإن ذكرك لباق وإن سيرتك الحميدة وخصالك الفاضلة وأبوتك الحانية، ستظل النور الذي يضيء طريقنا إن شاء الله، ونعاهدك بالسير على خطاك ولنا في عزاء هذه الجحافل من الناس ودعائها ومحبتها لك، ما يجعل قلوبنا مطمئنة إلى أنك ستلاقي وجه ربك راضيًا مرضيًا، فالناس شهداء الله في أرضه، وإلى جنة الخلد يا روح أبي الطاهرة وليغفر الله لك وينزلك منازل الأبرار والأخيار، وليغفر الله لك ويثبت لك الأجر، ولنا حُسن العزاء وجزيل الصبر وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ابنك

فهد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم

الجزيرة العدد ٤٩٤٩

التاريخ ١٤٠٦/٨/٨هـ

(١٦ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)



الفصل الحادي عشر

قضاء الله وقدره

قضـاء الـله وقــدره

كان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، كما روى نجله الشيخ خالد، مغرمًا بالبر، يخرج أحياناً لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر، بحسب توافر الوقت والإجازة، وينصب مخيماً للعائلة.

وكذلك في أسفاره كان يفضل السفر بالسيارة على الطائرة أو الباخرة، ويجد في السفر بالسيارة متعة كبيرة، إذ يجد فيه مجالاً للتوقف حيثما شاء، ومشاهدة البلدان والمعالم التي يمرّ بها.

وفي رجب ١٤٠٦هـ (آذار / مارس ١٩٨٦م)، خرج الأمير إبراهيم بن عبد العزيز في جولة في منطقة حائل، مع زمرة قليلة من أصدقائه، متمتعًا بإجازة قصيرة يقضيها في مخيم أقيم له خصيصًا.

وفي ليلة ٢٨ رجب (٧ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)، تناول الأمير إبراهيم طعام العشاء في بيت أحد أصدقائه في منطقة حائل، ثم شرع في العودة إلى المخيم، وكان الوقت قريبًا من منتصف الليل، ومرت السيارة بأحد الأودية المؤدية إلى بلدة الروضة، وهو وادي العش، وكان جريان الماء في الوادي قويًا من كثرة السيول.

حدثنا عيضة الزهراني، الذي كان يتولى قيادة سيارة الأمير إبراهيم في هذه الرحلة قائلاً: "في تلك الليلة كان المطر يمطل بغزارة شديدة، وفي أثناء الطريق عبرنا كثيرًا من الأودية والشعاب حتى وصلنا إلى الوادي الذي صار به الحادث، وكانت سيارة الأمير رحمه الله قد تعطلت، فاستقل سيارة أخرى (رانج روفر). وبعد مشاورات مع مرافقيه، قرر العودة إلى قرية الروضة، وعندما عدنا وجدنا أن الأودية التي خلفناها وراءنا، والتي كنا قد تجاوزناها، قد أصبحت أعظم وأشد سيلاً. ولم يكن أمامنا أي خيار سوى المضي قُدُمًا. ومما زاد الأمر سوءًا كثرة المطر وتعاظم السيل بالأودية، وشبه انعدام الرؤية ساعة بعد ساعة.

وكان قضاء الله وقدره، حيث قرر الأمير – رحمه الله – السير إلى الأمام داخل الوادي، وقد

غمر السيل السيارة. عندئذٍ مد الأمير يده وأضاء نور السيارة من الداخل وأخذ يلهج بالدعاء والتسبيح، وفجأة تحطم زجاج السيارة الأمامي واندفع السيل داخل السيارة، ولم أعد أدري ماذا حصل بعد ذلك".

وروى أحد العاملين في مخيم الأمير إبراهيم للأستاذ أحمد حامد الغامدي، الذي كان مديراً للعلاقات العامة في إمارة الباحة، أنه قد عثر على جثمان الأمير في موقع آخر، وأنه كان ممن حملوه، ووصف إشراقة وجهه وطراوة جسمه وكأنه كان نائمًا وليس ميتًا.

وقد توفي مع الأمير في السيارة نفسها، محمد بن جاسر العساف، وقبلان الشمري، أما الناجون فهم: إبراهيم بن عبد الرحمن التويجري، أحد أقرباء الأمير، ورباح الشمري، أمير قرية سقف، والسائق عيضة الزهراني.

وكان من المرافقين في السيارة الثانية فهد بن إبراهيم التويجري، وعايض السبيعي (خوي)، وعبد الله عمر (السائق).

كان نبأ وفاة الأمير إبراهيم نبأً صاعقًا لعارفي فضله ومكانته وخُلُقه النبيل، ولم تكن وفاته أمرًا متوقعًا، فهو لم يكن مريضًا ولا عاجزًا، بل كان في أوج نشاطه، وفي استطاعته خدمة بلاده ومليكه سنوات طويلة أخرى. وبوفاته خسرت منطقة الباحة رجلاً يندر أن يجود الزمان بمثله سخاء، وكرمًا وأخلاقًا، وبُعد نظر.

وروى لنا الأستاذ أحمد حامد الغامدي كيف وصل النبأ إلى إمارة الباحة، فقال:

"في صبيحة اليوم الثامن والعشرين من رجب عام ١٤٠٦هـ (٨ نيسان / أبريل ١٩٨٦م) كان العمل يسير في إمارة منطقة الباحة كالمعتاد. وفي الساعة الثامنة والنصف صباحاً همس في أذني مدير الشؤون الأمنية في الإمارة بالخبر السيئ من غير تفصيل، فذهبت من توي إلى مكتب وكيل الإمارة الدكتور إبراهيم محمد الزيد، الذي كان يقوم بعمل الأمير خلال غيابه، فوجدته يتلقى خبر الوفاة بالهاتف من جهة رسمية بثبات واضح وألم بالغ، ثم ما لبث الخبر أن شاع في أرجاء المنطقة حيث قوبل بالأسف الشديد المصحوب بالذهول من وقع الصدمة....

وتوافد الناس على المطار وهم يتزاحمون لتقديم العزاء، حتى أن أحد مشايخ المنطقة أصر على السفر، على الرغم من أنه لم يكن يقوى على النهوض إلا بمساعدة الآخرين. وكنا – أنا والأستاذ علي بن صالح السلوك – ممن حملوا نعشه إلى مثواه الأخير، وكان الدكتور إبراهيم الزيد سباقًا إلى استقبال الجثمان ومصاحبته من المطار القديم إلى الجامع الكبير"[1].

وقد أدت جموع المواطنين الصلاة على روحه الطاهرة بعد المغرب يوم ٢٨ رجب، وتقدم المصلين سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وسمو الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية، وسمو الأمير سطام بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض، وعدد من الأمراء وكبار المسؤولين، فضلاً عن أولاد الفقيد وأفراد عائلته.

وقد أسهبت الصحف السعودية على اختلافها بذكر المغفور له الأمير إبراهيم بن عبد العزيز، فأشارت إلى أسرته "آل إبراهيم" ومراحل حياته وخدماته لبلاده. ومن الصحف التي أشادت بذكره "الشرق الأوسط"، التي أوردت عرضاً مفصلاً لنشأته ودراسته والمناصب الكبيرة التي تقلدها[2].

ومن تلك الصحف أيضًا جريدة "عكاظ"، و"الندوة"، و"المدينة"، و"اليوم" الصادرة جميعاً في اليوم التالي لوفاته، أي ٢٩ رجب ١٤٠٦هـ (٩ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

وذكرت "الرياض" أن الجموع الغفيرة من أبناء منطقة الباحة في كل من تهامة والسراة والبادية، قد توافدت على مبنى إمارة المنطقة لتقديم التعازي، فاستقبلها وكيل الإمارة وموظفوها. وعبّر الجميع عن المكانة التي يحتلها الفقيد في نفوسهم، وأثنوا على منجزاته، ومواقفه المشرّفة، وألسنتهم تلهج بالرحمة وتدعو بالمغفرة[3].

وذكرت مجلة "المجلة" أن منزل أبناء الفقيد في الرياض غصّ بالمعزّين من كافة الطبقات لتقديم العزاء بفقدان عميد الأسرة. وقد تقبل العزاء الشقيقان الشيخ عبد العزيز والشيخ

(١) مقابلة خاصة مع الأستاذ أحمد حامد الغامدي بتاريخ ١٠ نيسان / أبريل ١٩٩٧م.
(٢) "الشرق الأوسط"، العدد ٢٦٨٨، ٢٩ رجب ١٤٠٦هـ (٩ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).
(٣) "الرياض"، العدد ٦٤٩٩، ٣٠ رجب ١٤٠٦هـ (١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

خالد أكبر أبناء الفقيد، وكان في مقدمة المعزين الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة وجمع غفير من أصدقاء الأسرة ومحبيها[1].

وقد تحدث الدكتور إبراهيم الزيد إلى جريدة "عكاظ" عن الأمير إبراهيم، الذي كان وكيلاً له في إمارة الباحة، وعلى صلة يومية به بطبيعة الحال.

قال:

"لحق بالرفيق الأعلى بعد أن كان بيننا في حماس متدفق، باذلاً جهده في العمل البنَّاء والتوجيه السليم... لا يكل... ولا يمل... من فعل الخير... والحرص على أدائه... كأفضل ما يكون الأداء... ليس فيما يخص مسؤولياته الرسمية فحسب، وإنما يتعدى حرصه الكبير إلى الاضطلاع بأعمال البِر والإحسان وهو يوجه جاهه من أجل لمسات إنسانية حانية. ذلكم هو الراحل الكبير معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز رحمه الله رحمة الأبرار وأنزله منازل الصالحين، وهو من عرفته الأسرة السعودية جنديًا أمينًا ومسؤولاً حريصًا على تنفيذ توجيهات المقام السامي نحو كل ما يخدم المواطنين في القنفذة ومكة المكرمة وفي عسير وأخيرًا في منطقة الباحة، التي آلمها - كما يعلم الله - فراقه، لما له فيها من مآثر تدل بوضوح على طيب معشره وصدق مواطنته.

لقد كانت معرفتي بهذا الرجل العظيم تمتد إلى أعماق ماضي حياتنا، تقوم على الإكبار للدور الذي كان يضطلع به على جميع الأصعدة، فلم أعرف عنه إلا النبل والاستقامة التي تدل مجتمعة على معدنه الأصيل وإيمانه العميق بمبادئ الحق والعدل وحب الخير لمن يعرف ومن لا يعرف... وفيما يتعلق بعمله فقد كان الشيخ إبراهيم مثال الصبر والمثابرة وعدم اليأس، والحرص على إعطاء

(١) "المجلة"، العدد ٣٢٣، ٧ شعبان ١٤٠٦هـ (١٧ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

كل ذي حق حقه، حيث تمتع بذكاء لماح وخبرة لا تحد في أمور الحياة بصفة عامة وأمور الإمارات وقضاياها ودورها الأمني والتنموي. ولاشك أن رحيله عنًّا يُعتبر خسارة كبيرة، ولا نملك إزاء ذلك إلا أن ندعو الله له بالرحمة والمغفرة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رحم الله أبا عبد العزيز لقاء سعيه الدائب وحرصه الدؤوب على تحقيق أفضل معدلات الخدمة الصالحة للدين والدنيا، ونرجو الله مخلصين أن يكون ذلك مرجحًا لميزان حسناته يوم يلقى ربه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"[1].

كان لوفاة معالي الشيخ إبراهيم آل إبراهيم وقع أليم في المملكة العربية السعودية، وكان أول بيان رسمي هو البيان الذي صدر عن الديوان الملكي وأذاعته وكالة الأنباء السعودية يوم ٢٩ رجب ١٤٠٦هـ (٩ نيسان / أبريل ١٩٨٦م) ونشرته جميع الصحف السعودية، وهذا نصه:

"صدر عن الديوان الملكي السعودي بيان عن وفاة الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، أمير منطقة الباحة بجنوب غرب السعودية على إثر حادث انقلاب سيارته صباح يوم أمس (الاثنين) وذلك عن عمر يناهز الخامسة والستين.

ويعتبر الفقيد من الرجال المخلصين الذين أدّوا واجبهم بإخلاص وأمانة حيث أمضى سنوات طويلة أميرًا لعدد من المدن السعودية وآخرها إمارة الباحة وضواحيها.

وكان الفقيد طوال حياته مثالاً للصلاح والتقوى وأداء الواجب لخدمة دينه ومليكه وبلاده".

(١) جريدة "عكاظ"، العدد ٧٢٣٥، ١ شعبان ١٤٠٦هـ (١١ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

قراءة ماضية مع المغفور له الأمير إبراهيم:

نشرت جريدة "الجزيرة" ملفًا خاصًا عن معالي الأمير إبراهيم البراهيم في حلقتين[1] تضمنتا حوارًا مع معاليه أُجري في فرصة سابقة ولم يتح نشره في حينه.

يبدأ الملف بإدراج حوار طويل مع الأمير إبراهيم البراهيم. وقد سئل أولاً أن يصف نفسه، فقال إنه "إنسان بسيط، قمة سعادته عندما يكون في بيت شَعر، وأن يتلمس الطريق إلى أداء واجبه نحو دينه ومليكه ووطنه، ويسير إلى أداء هذا الواجب بدافع من الحرص على رضاء الله والحب لهذا الوطن". وسئل هل يخشى ركوب الطائرة، فقال إنه لا يخشى ركوبها ولا يستطيع أن ينام داخلها ولو حاول ذلك، لكنه يحاول أن يقرأ حتى ولو طالت الرحلة...

وسئل هل يخاف من الموت فقال: "أبدًا... إنني شخص مؤمن بالله. وعندما يحين أجل الإنسان سيأتيه الموت إذا كان ذلك في الطائرة أو على السرير أو الكرسي.... أو السيارة".

وسئل هل يعتقد أن تلك صفات الجيل الأول الذي عمل مع مؤسس هذا الكيان المغفور له الملك عبد العزيز؟

فأجاب "إنه يعتقد ذلك لأن الملك عبد العزيز ذاته كان بسيطًا مكافحًا. وكان في بساطته كَبَدويّ، وفي علمه كعالم، وفي طموحه ملكًا، لا تقف أمام آماله وأحلامه لبني شعبه وأرضه أي صعاب".

وقال جوابًا عن سؤال آخر: إنه وهو صغير، كان يحب المعرفة، وكان يقرأ كل ما يقع في يده. وعندما كان والده أميراً للمدينة من قِبَل الملك عبد العزيز، كانت أعباؤه كبيرة. فإلى جانب المسؤوليات الإدارية للوالد كان عليه بعض المسؤولية في مدّ جيش الملك عبد العزيز الذي كان يحارب في حائل وغيرها بالمؤن والسلاح. ولذلك كان الشاب إبراهيم يلخص له ما تجيء به الصحف والخطابات.

---

(١) جريدة "الجزيرة"، ٨ رمضان ١٤٠٦هـ (١٧ أيار / مايو ١٩٨٦م)؛ ١٥ رمضان ١٤٠٦هـ (٢٤ أيار / مايو ١٩٨٦م).

وسئل عن تعامله مع الحضارة فأجاب بأنه تعامل معها بحذر، "لأن لنا تقاليدنا وموروثاتنا". وقال إن الحضارة، كأدوات وسيارة وطائرة وكهرباء وطرق حديثة ومدارس وجامعات، مطلوبة ويجب السعي إليها لأنها تحقق كثيرًا من النِعم.

وسئل عن الشباب الطالع الذي سُميَّ شباب النفط وقيل إنه تخلّى عن كثير من مأثورات الماضي، فرفض هذا الاتهام وقال إن الشباب لا يزال بخير ويحتفظ غالبه بقيمه.

وتكلم عن مناصبه في إمارة منطقة القنفذة على الساحل الغربي، وبعد ذلك في وكالة إمارة مكة، ووزارة الداخلية، وإمارة عسير ومنطقة الباحة. وقال إنه تحمل المسؤولية حينما كان بمكة المكرمة مع الملك فيصل وتحمَّل بعد ذلك المسؤولية في المناطق التي عُين أميرًا لها.

ثم قال إنه بدأ دراسته في الرياض، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ عبد الله ابن سالم. ثم انتقل إلى الطائف حيث كان والده أميرًا فدرس فيها لمدة سنة، وأسس والده مدرسة في تلك البلدة. وانتقل والده أميرًا للمدينة المنورة سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، فأتم دراسته فيها. وقد تلقى دروسه على يد عالم المدينة الشيخ التمبكتي المدرّس في المسجد النبوي، ثم التحق بالمدارس الحكومية ونال شهاداتها.

وتكلم عن عائلته فقال إنها كانت تسكن في أبي الكباش بوادي العمارية المجاور للدرعية. وانتقل جدُّه إبراهيم إلى الأفلاج، إذ عُيّن أميرًا لها وجلس فيها عدة أعوام حتى انتهت دولة آل سعود الأولى. وجاء بعد ذلك حكم ابن رشيد فأمر الجد بالانتقال إلى حائل، وبقيت العائلة هناك حوالي ٢٥ سنة، من ١٣١٥هـ (١٨٩٧م)، وفي سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م)، استولى الملك عبد العزيز على حائل فعادت الأسرة إلى الرياض[1].

سئل الشيخ أسئلة عديدة تاريخية وعمرانية، ثم تكلم عن تحلية المياه لتوفير مياه الشرب. وقال إن أفضل بديل للنفط هو الزراعة، وهي في تطور مستمر وكبير جداً. وقد تم

---

(١) هذا ما جاء في تصريحات الأمير إبراهيم البراهيم لمراسل جريدة "الجزيرة" ويلاحظ أنها لا تتعارض مع ما جاء في كتاب **آل إبراهيم الفضليون** نقلاً عن الشيخ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم، من أن آل إبراهيم هم من أهل الرياض، وأن علاقتهم بأبي الكباش هي وجود مزرعة لهم فيها. (انظر الصفحة ٢٧ – ٢٨ من هذا الكتاب).

الاكتفاء من القمح، ولن تمر سنوات طويلة حتى تتوافر كميات منه للتصدير. وبخصوص العمالة الأجنبية وتدريب المواطن السعودي ليحلَّ محلها، قال إن وزارة العمل أسست معاهد للتدريب، والأفضل توسيعها وتعميمها في مختلف المناطق. واقترح إيجاد مناطق سياحية في تهامة، وشدَّد على وجوب توسيع معاهد التدريب المهنية فيها، وكذلك تخريج المسَّاحين للاستغناء بهم عن المسَّاحين المستوردين من الخارج.

وتكلم عن الهجرة من البادية إلى المدن فقال إنها ليست كثيرة لأن الدولة وفَّقت كل التوفيق لمنح إعانات أعلاف الماشية مما شدَّ المزارعين إلى مواشيهم.

وتكلم في الحلقة الثانية عن أبناء البادية وهجرتهم إلى المدن. وقال إنهم كانوا فيما مضى يواجهون الجدب فيتركون مناطقهم؛ أما الآن فقد أصبحت الإعاشة تصلهم إلى أماكنهم، كما أن السيارات تأتي إليهم بالمؤن والعلف. وقد حدَّ ذلك من هجرة البدو إلى المدن. وارتأى أن بعض المناطق الزراعية تحتاج إلى كثرة الآلات التي ترشُّ الماء وورش الإصلاح وقطع الغيار لأجل الصيانة. وقال إن النقص في الأيدي العاملة يستلزم زيادة الرشاشات والآلات لتنمية الزراعة.

وتكلم عن المواطنة فقال إن هذه الكلمة واسعة وعميقة ولها ألف معنى ومعنى. والمواطن مطلوب منه أن يعمل للبلد، وعليه مسؤولية كبيرة في البلد النامي المتطور. وعلى كل مواطن أن يبذل جهده بحسب استطاعته واختصاصه. والدولة تقوم بواجبها. ففي حقل الزراعة يمكن القول إن كل ما يصرفه المزارع تقوم به الدولة، فهي تمنحه ٥٠ في المئة إعانة وتعطيه ٥٠ في المائة على عشر سنوات، وهذا لا يوجد في أي بلد من بلدان العالم.

وقال إنه في المناصب التي تقلدها خَدَم المواطنين على قدر استطاعته، وأنه وجد أفراد الأسرة السعودية المالكة يتميزون بأنهم يستقبلون المواطنين بصورة عادية وبالترحيب، ويفتحون أبوابهم للجميع. وهذه الظاهرة أخذها الأمراء السعوديون من تعاليم دينهم الإسلامي ومن تقاليدهم العربية، وهم سائرون عليها ومتمسكون بها. وهذه الميزة هي الديمقراطية

الصحيحة. وقال إن جلالة الملك، وهو أكبر مسؤول في البلاد، وولي العهد، والأمراء، والوزراء، يسيرون على منواله. ومكتب الملك وديوانه وبيته كلها مفتوحة لمن يريد مقابلته.

وبعد المغرب يستطيع كل إنسان مقابلة الملك ورفع مشكلته إليه. قال: "إذا حضرتَ المجلس تشاهد أنماطًا من الناس: هذا من البادية، وهذا من القرى، وذاك من الحاضرة. يتكلم الكثير منهم مع الملك ويخاطبونه باسمه المجرد. وهذه ميزة وفضل من الله علينا وعليهم".

وسئل عن رجال الدين فقال: عندنا رجال دين أجلاء ولا يجب أن ننساهم. وذكر الإداريين الذين خدموا وطنهم، سواء البارزون منهم أو المغمورون.

وقال إن التفكير منصرف إلى إنشاء جمعية للثقافة والفنون الشعبية في الباحة، والأمير فيصل ابن فهد، الرئيس العام لرعاية الشباب، مهتم بالموضوع، وتجري الدراسة لإكمال المشروع.

وسئل عن أولاده فقال إنهم درسوا في القنفذة وأكملوا بعض المراحل في مكة، وكانت دراستهم في مدارس الحكومة. ثم سافروا في بعثة إلى أمريكا لإكمال دراساتهم العالية، وحصلوا على شهادات في العلوم السياسية والاقتصادية والإدارية. وقال إن البنات كلهن متعلمات أيضًا.

وقال إن برنامجه اليومي هو العمل ثم الراحة بعد الظهر. وبعد العصر يخرج خارج البلد ويعود بعد صلاة المغرب، فيعقد جلسة مفتوحة للمواطنين الذين يحضرون إلى البيت للحديث والتفاهم في بعض الأمور. والجلسة ميسرة للجميع. وهوايته المفضلة التجول في أوقات فراغه في المناطق الداخلة في دائرة مسؤوليته، لرؤية أهل تلك الجهات ومحادثتهم ومباحثتهم في شؤونهم.

وتكلم عن المشروعات التي تمت في الباحة في عهد ولايته، فذكر مشروع مياه السقيا، وهو من المشاريع المهمة، اعتمد له ٢٢٠ مليون ريال لسقيا الباحة من العقيق، وهي سقيا مؤقتة لأن العمل يجري في مشروع تحلية مياه البحر. وتحقق إنشاء مطار الباحة ضمن خطة الحكومة في نشر المواصلات الحديثة في كل المناطق.

تلك هي تصريحات الأمير إبراهيم في حديثه وأجوبته القيّمة، التي نشرتها جريدة "الجزيرة" بعد وفاته، وهي تدل على أنه لم يكن إداريًا عاملاً فحسب بل كان في الوقت نفسه رجلاً مفكرًا حكيمًا، داعيًا إلى النهضة والعمران، وإلى الإفادة من الحضارة العلمية الحديثة بالأخذ من لبابها دون القشور، مع التمسك بالتقاليد الصالحة القديمة، وضاربًا أروع المثل للشباب الطالع بتربيته لأبنائه تربية صالحة، لخدمة دينهم ووطنهم.

رحمه الله وأجزل ثوابه.



الفصل الثاني عشر

مؤسسة إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم الخيرية

مؤسسة إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم الخيرية

قال رسول الله ﷺ:

"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

ولما توفي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، الذي كان محباً للخير وسباقًا إلى أعمال البر والإحسان، رأى أبناؤه الصالحون إنشاء مؤسسة خيرية تحمل اسمه وتخلد ذكراه، وتقوم بأعمال الخير، وتهدف إلى خدمة الإنسان المسلم، ومد يد العون له أينما كان، وتحقق أهدافها من خلال عدة برامج، منها بناء المساجد والمراكز الإسلامية، والبرامج التعليمية كالمدارس والمنح الدراسية، ومدارس تحفيظ القرآن، وكذلك برامج الإغاثة بكافة أنواعها كالغذاء والكساء وحفر الآبار وإسعاف المنكوبين، إضافة إلى المناهج الطبية والخدمات الصحية، وخصوصاً في المناطق الإسلامية الفقيرة.

وكانت فكرة هذه المؤسسة استمرارًا على الطريق الذي رسمه الأمير إبراهيم لأولاده، ونشَّأهم عليه، حتى أصبحت لَبِنة في صرح أعمال البِر والخير، وواحدة من أكبر المؤسسات الخيرية سعوديًا وعربيًا وعالميًا.

قام أبناء الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم، عملاً بالقيم التي حض عليها الإسلام، وتأسيًا بوالدهم، وسيرًا على الطريق الذي نهجه لهم، بإنشاء مؤسسة خيرية تحمل اسمه، وتسَهم في مختلف أنحاء العالم بأنشطة إنسانية وثقافية وتعليمية، وذلك بغرض المساهمة في دعم العلاقات بين الشعوب وإقامة جسور بين الحضارات، والمشاركة في أعمال البِر التي يقوم بها أبناء المملكة العربية السعودية.

أنشئت المؤسسة بالأمر الملكي رقم أ/٣٠٧ بتاريخ ١٤٠٩/٩/٢٦هـ الموافق ١/٥/ ١٩٨٩م، وذلك تشجيعًا من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – للأعمال الخيرية، الفردية والجماعية، التي تهدف إلى بذل العون والمساعدة للمحتاجين ورفع

مستواهم الثقافي والفكري. وهي مؤسسة سعودية دولية لها شخصية اعتبارية ومستقلة، ومقرها الرئيس الرياض بالمملكة العربية السعودية، ويحق لها إنشاء فروع في مختلف أنحاء العالم.

أهداف المؤسسة:

تهدف المؤسسة إلى خدمة الإنسان المسلم ومدّ يد العون له، والمساهمة في رفع مستواه المعيشي والصحي والتعليمي. وتحقق المؤسسة أهدافها من خلال البرامج التالية:

١- بناء المساجد والمراكز الإسلامية.

٢- البرامج التعليمية والثقافية، كالمدارس والمنح الدراسية والدورات والمراكز الثقافية، وغيرها من الوسائل التعليمية.

٣- برامج الإغاثة بكافة أنواعها، كالغذاء والكساء وإقامة المخيمات للمنكوبين وحفر الآبار في مناطق الجفاف.

٤- البرامج الصحية التي تشمل العلاج والدواء والخدمات الصحية، وخصوصاً في المناطق الإسلامية الفقيرة.

مجلس الأمناء:

يدير المؤسسة مجلس أمناء، وهو السلطة العليا للمؤسسة ويضم أعضاء خمسة، ويرأس المجلس الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، ونائبه الشيخ خالد بن إبراهيم آل إبراهيم.، وعضوية عدد من أبناء الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم ـ رحمه الله ـ.

وللمؤسسة جمعية عمومية تتكون من عدد من الأعضاء يتم ترشيحهم بحسب نظامها الأساسي، إضافةً إلى جميع أعضاء مجلس الأمناء والأمين العام.

وللمؤسسة أعضاء شرف، وهم من الشخصيات الطبيعية أو الاعتبارية المسلمة، التي تقدم خدمات مادية أو معنوية للمؤسسة، ويتم اختيارهم بحسب النظام الداخلي.

الجهاز التنفيذي:

يقوم بتنفيذ القرارات الصادرة من مجلس الأمناء أو الجمعية العمومية، جهاز تنفيذي بإشراف رئيس مجلس الأمناء ونائبه والأمين العام. ويضم الجهاز:

١- القسم الخيري ويشمل: إدارة البرامج الخيرية - برامج التنمية - برامج الحرمين الشريفين.

٢- قسم الاستثمار.

٣- القسم الاستشاري (الإدارة القانونية والإدارة الهندسية).

٤- قسم الشؤون المالية والإدارية.

الإنجازات:

يبلغ معدل الإنفاق السنوي للمؤسسة ٥١ مليون ريال، والبرامج التي تنفذها المؤسسة تندرج تحت ثلاثة أقسام:

- البرامج الخيرية: وهي البرامج النقدية أو العينية التي تصرف مباشرة إلى المستفيدين أو بالتنسيق مع الجمعيات الخيرية، وهي تُنفذ سنوياً كالمساعدات العينية، والمساعدات الاجتماعية، ومساعدات الزواج.

- برامج التنمية: وهي البرامج التي تخدم شريحة أكبر، وذات نفع متعدي طويل الأمد، كالمساجد، والآبار، والبرامج الصحية وغيرها.

- برامج الحرمين الشريفين: وهي التي تنفذ في الحرمين والمشاعر المقدسة في موسمي الحج ورمضان من كل عام، مثل برامج رمضان، والحج، وبرنامج إفطار الصائمين في الأيام البيض وأيام الاثنين والخميس طوال العام.

أولاً البرامج الخيرية:

١- مساعدة الأسر الفقيرة بمواد عينية :

يهدف هذا البرنامج إلى تقديم المساعدات العينية الضرورية للأسر المحتاجة، وقد بدأت المؤسسة في تنفيذه منذ عام ١٤١٦هـ، وأهم الفئات المستفيدة هم الأيتام والأرامل والمطلقات والأسر المحتاجة.

استفاد من البرنامج منذ تأسيسه حوالي (٤٠,٠٠٠) أسرة.

٢- المساعدات الاجتماعية :

يهدف البرنامج إلى تقديم مساعدة نقدية للمحتاجين من الأرامل والأيتام والمرضى والفقراء والمدينين والمسجونين، وتقرر المساعدة من عدمها عادة بعد أن يقدم المحتاج طلبه إلى أمناء المؤسسة أو إلى المؤسسة مباشرة، ثم تتم دراسة طلبه في إدارة البرامج الخيرية وفق الضوابط والسياسات المنظمة لذلك.

٣- دعم المستودعات الخيرية :

تقدم المستودعات الخيرية خدمات جليلة للأسر الفقيرة، ويتركز أغلب عملها على توزيع المواد العينية، وقد بدأت المؤسسة في تنفيذ البرامج منذ عام ١٤٢٠هـ.

٤- دعم الجمعيات الخيرية :

تعبر الجمعيات الخيرية عن صورة من صور التكافل الاجتماعي، وإيماناً من المؤسسة بأهمية الرسالة الخيرية التي تؤديها هذه الجمعيات نحو الفقراء والمحتاجين فقد خصصت لها دعماً سنوياً، ويعد هذا البرنامج من أقدم البرامج التي نفذتها المؤسسة إذ بدأ عام ١٤١٠هـ، وتستفيد من الدعم سنوياً أكثر من (٢٣٠) جمعية، تدعم سنوياً بحوالي (٥) ملايين ريال.

٥- دعم جمعيات تحفيظ القرآن :

تقوم جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بتعليم كتاب الله والعناية به خاصة أوساط الناشئة،

وقد انتشرت بحمد الله في مختلف مناطق المملكة، وتشرف على هذه الجمعيات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وحرصا من المؤسسة في المشاركة في تعليم كتاب الله والعناية به فقد اعتمدت لها مساعدة سنوية منذ أكثر من عشرين سنة، ويستفيد من المبلغ المخصص حوالي (١٠٠) جمعية.

كما أنشأت المؤسسة على حسابها مبنى جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالطائف والذي يعد معلماً عمرانياً بارزاً من معالم الطائف.

٦- برنامج مساعدات الزواج :

تولي المؤسسة البرامج التي تساعد الشباب على الزواج عناية خاصة، وتقدم دعماً متميزاً سنوياً للجمعيات التي تساعد الشباب على الزواج، حيث تتبرع لها بمئات آلاف سنويا، وفي عام ١٤٢٨هـ نفذت مشروعاً ضخماً للزواج الجماعي، وذلك بالتنسيق مع الجمعيات المتخصصة في تزويج الشباب.

ويعد تبني برنامج دعم الزواج الجماعي نقلة نوعية في العمل الخيري وخطوة مباركة على طريق مشاريع الزواج ورعاية الأسرة وله الكثير من الفوائد على الشاب الراغب بإكمال نصف دينه حيث إن المستفيد يجد الدعم المادي والمعنوي والتثقيفي والتوجيه والنصح والإرشاد وذلك من خلال الدورات التوعوية والتثقيفية التي تنظمها الجهات الخيرية بدعم من المؤسسة.

وتطور هذا البرنامج حتى نفذ عام ١٤٢٨هـ، واستفاد منه (١,٠٥٠) شاب وشابة في كلٍ من جازان وحائل، وينبع، وتبوك، والأحساء ، وبلغت تكلفته حوالي (١١) مليون ريال.

ثانياً: برامج التنمية

١- برنامج بناء المساجد وصيانتها :

إدراكاً من المؤسسة بأهمية المسجد، فقد اهتمت ببناء المساجد والعناية بها من جميع الجوانب من تأثيث وفرش وإنارة وتكييف، وقد تجاوزت جملة المساجد التي اعتنت بها المؤسسة أكثر من (٩٠) مسجداً؛ منها ما بني بناءً كاملاً، ومنها ما أكمل بناؤها وتأثيثها.

نماذج من المساجد التي تم بناؤها:

يعد المسجد الذي بنته المؤسسة في طبرجل بشمال المملكة أكبر جامع في المنطقة، وقد بني بالكامل على نفقة المؤسسة على مساحة ٢٥٠ ، ٢م وترتفع مئذنته إلى ٣٢ متراً، ويقع المسجد في وسط المدينة وعلى أربعة شوارع وهو يتسع لأكثر من (٢٠٠٠) مصلي، وقد تم إنجازه في رمضان ١٤١٧هـ، وملحق به مغسلة للأموات ومكتبة وسكن للحارس ومستودعات ومواقف للسيارات.

٢- البرامج الصحية :

أسهمت المؤسسة إيماناً منها بالواجب الوطني، في دعم بعض المستشفيات والمراكز الصحية، فزودت مستشفى القنفذة ب(٦) أجهزة غسيل للكلى، ومستشفى المجاردة بجهازي غسيل كلى والعمل جار - إن شاء الله - على إنشاء مركز لغسيل الكلى تابع لمستشفى الملك فهد بالباحة.

هذا وضمن خططها المستقبلية هناك مشاريع لإنشاء مراكز ووحدات صحية، مثل مراكز صحية لغسيل الكلى وغيرها

٣- برامج تنمية المجتمع :

أ) برنامج التأهيل الاجتماعي ورعاية الأسر المنتجة:

يعد برنامج التأهيل من أهم البرامج التي نفذتها المؤسسة وهو عبارة عن دعم إقامة دورات تدريبية لأبناء الأسر المحتاجة " ذكوراً وإناثا " تؤهلهم للحصول على وظيفة يستطيعون من خلالها الاعتماد على أنفسهم في مصدر دخل الأسرة . حيث تتم هذه الدورات عبر مراكز تدريب متخصصة بالتنسيق مع الجهات ذات الاختصاص وذلك لمعرفة حاجة سوق العمل، ولضمان الوظيفة للمتدرب.

ب) توزيع الكتب الإرشادية عبر وزارة الشؤون الإسلامية:

قامت المؤسسة بتقديم الخدمات للحجاج، ومنذ عام ١٤١٦هـ أصبح الدعم عينيا عن طريق طباعة مجموعة كتب ورسائل مختارة بمختلف اللغات، وذلك التنسيق مع وزارة الشئون الإسلامية في اختيار الكتب المناسبة وطباعتها، وتوزيعها على الحجاج ومكاتب الجاليات في المملكة، ويوضع شعار المؤسسة والوزارة على غلاف الكتاب.

٤- برنامج حفر الآبار :

يعد الماء ضرورة من ضرورات الحياة وهناك مناطق في المملكة تعاني معاناة شديدة في الحصول على مياه الشرب، ومن هذا المنطلق حرصت المؤسسة على خدمة هؤلاء المحتاجين، وذلك بحفر الآبار وتمديد شبكات المياه وصيانتها، وقد أثبتت الدراسات الميدانية والطلبات التي تصل إلى المؤسسة الحاجة لمثل هذا البرنامج الذي سيخدم في الدرجة الأولى المناطق التي تعاني من قلة المياه في مناطق الساحل وتهامة في جنوب المملكة، وكذلك بقية مناطق المملكة المحتاجة، وذلك بحفر مجموعة من الآبار السطحية أو الارتوازية، أو إنشاء خزانات لآبار محفورة أصلاً.

وقد بدء تنفيذه: عام ١٤١٧هـ، ويتم التنسيق مع وزارة المياه، والجهات الحكومية الأخرى في جميع مراحل تنفيذ البرنامج، وقد تجاوز عدد الآبار المحفورة حوالي (١٠) آبار، عدا إنشاء وتمديد شبكات المياه للقرى والهجر.

٥- بناء المنازل والإسكان الخيري:

تعاني كثير من الأسر الفقيرة التي تعيش في مساكن شعبية إلى حاجتها الماسة إلى الترميم والصيانة لمنازلها، وتتميز هذا المساكن برخص تكلفة بنائها، وسهولة الإجراءات الخاصة به، حيث تبلغ تكلفة المسكن الشعبي حوالى (٥٠,٠٠٠) ريال، والبرنامج يخدم تلك الأسر في جنوب المملكة وشمالها.

وقد بدء تنفيذه: عام ١٤١٧هـ، ويتم التنسيق مع الجمعيات الخيرية، والجهات الحكومية الأخرى في جميع مراحل تنفيذ البرنامج.

كما يقوم أبناء الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم رحمه الله بدعم سخي لمشاريع الإسكان الخيري في مختلف مناطق المملكة، وخاصة في منطقتي الرياض وحائل .

ثالثاً: برنامج الحرمين

١- برنامج رمضان :

هذا البرنامج من أقدم البرامج التي بدأت المؤسسة في تنفيذها إذ بدأت تنفيذه عام ١٤٠٨ هـ، وما زال مستمراً حتى الآن، ويتم من خلاله توزيع كميات من التمور لإفطار الصائمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما يتم تقديم وجبات إفطار جافة ومطبوخة للصائمين في ساحات الحرم المكي، وتوزع سنوياً (٢٦٠,٠٠٠) وجبة جافة و(٩٠,٠٠٠) وجبة طازجة خلال شهر رمضان، كما تم توزيع مواد غذائية على الأسر الفقيرة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، ويستفيد من البرنامج (١٠,٠٠٠) أسرة سنوياً.

٢- برنامج الحج :

يعد شرف سقيا الحجيج وإطعامهم من المآثر الجليلة التي كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام ورغب فيها، ويعد هذا البرنامج من أضخم البرامج، فقد وزع في حج العام الماضي ١٤٢٨هـ (٧٠٠,٠٠٠) وجبة جافة كبيرة، و(٣٠٠,٠٠٠) وجبة جافة صغير، و(٢٠٠,٠٠٠) وجبة طازجة، وهو من أقدم البرامج التي نفذتها المؤسسة، حيث بدأ تنفيذه عام ١٤٠٨هـ.

٣) برنامج الحج الميسر :

كثير من الفقراء والمحتاجين لا يتمكنون من أداء فريضة الحج، إما لفقرهم، وإما لديون عليهم، وقد نفذت المؤسسة في حج عام ١٤٢٨هـ حملة متكاملة خاصة بها لتحجيج الفقراء والمحتاجين، استفاد منها (١٠٠٠) حاج، وكانت تجربة ناجحة بكل المقاييس، والمقترح أن ينفذ البرنامج هذا العام، ولحوالى (١,٥٠٠) حاج، بلغت تكلفة البرنامج حوالي (٥,٠٠٠,٠٠٠) ريال.

مشروعات المؤسسة خارج المملكة:

منذ تأسيس المؤسسة عام ١٤٠٩ هـ أدركت دورها المحلي والإقليمي والدولي وتحملت مسئوليتها النابعة من إيمانها العميق بمنهج الوسطية في نشر روح التعاون والتسامح والتقريب بين مختلف الشعوب والأعراق والديانات والثقافات وعملت على التقريب والتعايش بين الحضارات المختلفة في أماكن وجودها مستشعرة رسالتها النبيلة التي تنشرها.

وبعد سنوات عمل حافلة استشعرت فيها المؤسسة الخيرية أنها أدت واجب ورسالة نبيلة جاء قرار مجلس الأمناء بإغلاق مكاتب وأنشطة الخارج بعد دراسة مستفيضة سعت المؤسسة من هذا القرار إلى ترسيخ أهدافها وإعلان مبادئها المبنية على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ونأت المؤسسة بهذا الإغلاق بنفسها عن الفتن التي كانت تسود الأجواء فكان قرارها بإلغاء أنشطتها في الخارج والتي استغرقت وقتاً طويلاً حرصاً من المؤسسة على الحفاظ على المكتسبات وعدم تعريضها وتعريض أصولها ومساجدها والعاملين فيها لأي مشاكل سواء قانونية أو اجتماعية أو غيرها فبدأت الإغلاق للمكاتب تباعاً ابتداءً بمكتب كينيا وروسيا وفنزويلا وجبل طارق وقد نقلت المؤسسة ملكية كل من مسجد كراكاس وجبل طارق إلى رابطة العالم الإسلامي.

وفيما يلي ملخص لأهم البرامج والمشاريع التي نُفذتها المؤسسة في الخارج:

برامج إغاثية:

-١ برنامج إغاثة للمتضررين من فيضانات فنزويلا عام ١٩٩٩ م حيث أنشأت مراكز الإيواء في كراكاس عاصمة فنزويلا وتكفلت بإعاشة المشردين من الفيضانات وتلقت المؤسسة ثناء وشكر المسئولين في فنزويلا.

-٢ إنشاء المستوصف الطبي الخيري في نيروبي لعلاج جميع المرضى مجاناً ولسنوات عديدة والجدير بالذكر أن المؤسسة عندما قررت إغلاق مكتبها في كينيا تلقت الخطابات من الجهات المختلفة تطالبها بعدم الإغلاق.

-٣ علاج جميع مرضى العيون من خلال برنامج مكافحة العمى وكذلك كان الحال في أعمال المؤسسة الإغاثية في كل من السودان والصومال والبوسنة والهرسك وروسيا والجمهوريات.

جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقًا:

نظرًا إلى العزلة التي عاشها المسلمون في الماضي في تلك المناطق، سعت المؤسسة إلى تنفيذ مشروعات واسعة، منها بناء مساجد وتقديم منح دراسية وإيفاد معلمين لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وسعت المؤسسة لإقامة مركزين للدراسات الإسلامية والعربية، أحدهما في موسكو، والآخر في طشقند، وإنشاء معهد في كازاخستان لتخريج الأئمة والدعاة وتوزيع التمور في شهر رمضان على فقراء المسلمين... الخ.

برامج الإغاثة:

ساهمت المؤسسة في تخفيف النكبات عن المسلمين في أفغانستان والسودان وبورما والنيجر. وأنشأت مركزين طبيين للاجئين البورميين في بنغلادش، وأقامت مخيماً ومدرستين ومسجدين للاجئين. وقدمت نحو ٧٠٠٠ طن من المواد الغذائية و٣٠ بندًا طبيًا لمساعدة المنكوبين في البوسنة والهرسك. وساعدت المنكوبين في حرب الصومال الأهلية، وأغاثت المنكوبين في فيضانات جيبوتي، ودعمت المدارس والمعاهد التعليمية.

البرامج التعليمية:

بادرت المؤسسة إلى دعم البرامج التعليمية بدعمها المدارس وتبنّيها المنح الدراسية، حتى بلغ عدد الطلاب الذين يدرسون على حسابها (من المستوى دون الجامعي) ما يقرب من ٤٥٠ طالبًا. وتنفذ المؤسسة برنامجاً لمِنَح الدكتوراه في الدراسات الإسلامية والطب والهندسة والاقتصاد والعلوم السياسية والقانون والإعلام.

كما قامت المؤسسة بإنشاء مركز تعليمي مساحته ٣ آلاف متر مربع في دير بان في جنوب أفريقيا، بالتعاون مع الشيخ أحمد ديدات.

وأقامت المؤسسة عددًا من الدورات التعليمية والثقافية في شتى دول العالم، بالتعاون مع جهات محلية ودولية، كما افتتحت مركزًا تعليميًا واجتماعيًا في منطقة قبائل الماساي في كينيا.

البرامج الثقافية:

افتتحت المؤسسة مركزًا ثقافيًا في نيروبي - كينيا - أقيمت فيه خمس وحدات، كما يقوم القسم الإعلامي بالعديد من الأنشطة المختلفة كالمحاضرات والأفلام المسجلة والترجمة والطباعة. وأصبح هذا المركز منارة إشعاع حضاري جديدة لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية واللغة العربية في أفريقيا.

البرامج الصحية:

أولت المؤسسة اهتماماً خاصاً لتقديم الخدمات الطبية، وكان أبرزها:

١- مكافحة العمى في المناطق الإسلامية الفقيرة، حيث أن ٩٠ في المائة من فاقدي البصر في العالم هم في الدول النامية. وقد نُفذ من برامجها خلال السنوات الخمس المنتهية في نيسان / أبريل ١٩٩٦م فتح ٦٤ مخيمًا في أفريقيا وآسيا، فُحص فيها ٨٦٠,٠٠٠ مريض، وإجراء ٧١,٠٠٠ عملية بنسبة نجاح ٩٨ في المائة مع عمليات زراعة عدسات لاصقة وصرف نظارات طبية. وكذلك أنشئ في مدينة كراتشي (باكستان) مستشفى بسعة ٣٦ سريرًا، وهو مستشفى طبي ثابت لعلاج أمراض العيون. وتقوم المؤسسة بتنفيذ عدد من قوافل الإغاثة والمعالجة في كينيا، استفاد منها حوالي ٢٢ ألف شخص.

٢- مركز الشيخ إبراهيم البراهيم الصحي في كينيا. فقد أنشأت المؤسسة مركزًا صحيًا ثابتًا في نيروبي لفقراء المسلمين، وعالجت حوالي ٥٥ ألف مريض خلال سنتي ١٤١٥ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٤ - ١٩٩٥م.

ويضاف إلى ذلك مشروع القوافل الطبية المتنقلة التي تقوم المؤسسة بتنفيذها وتجهيزها بكافة الأدوية والمعدات للوصول إلى المرضى في مختلف المناطق الفقيرة النائية. وقد أرسلت المؤسسة خلال سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ٢٢ قافلة أفاد منها أكثر من ٢٠ ألف مريض.

المساجد:

يحظى المسجد باهتمام خاص من المؤسسة نظرًا إلى أهميته كمكان للعبادة ونشر تعاليم الإسلام السمحة في الأقطار النائية، فضلاً عن كونه مكانًا لاجتماع المسلمين وتعارفهم. لذلك اهتمت المؤسسة ببناء المساجد إضافة إلى إكمال وتجهيز بعض المساجد والمراكز الإسلامية القائمة، ومن أهم المساجد التي أنشأتها المؤسسة، "مسجد الشيخ إبراهيم آل إبراهيم" في العاصمة الفنزويلية كاراكاس.



منظر عام لمسجد الشيخ آل إبراهيم بكاراكاس – فنزويلا

حيث تعتبر فنزويلا بوابة أمريكا الجنوبية، ويقيم فيها حوالي ربع مليون مسلم، ٤٠٠ ألف منهم يقيمون في العاصمة كاراكاس. ولم يكن في هذه المدينة مسجد يقيم فيه المسلمون الصلاة. فحفّز ذلك مؤسسة إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم الخيرية على المسارعة إلى إنشاء مسجد فيها، خدمة لمسلميها. وقد برزت فكرة هذا المسجد منذ سنة ١٩٧٩م، عندما زار الرئيس الفنزويلي كارلوس بيريز المملكة العربية السعودية خلال فترة رئاسته الأولى، إذ فاتحه الملك فهد (وكان وقتها ولياً للعهد) في موضوع بناء مسجد في العاصمة الفنزويلية، فأعرب الرئيس الفنزويلي عن موافقته الفورية على الفكرة، كما أعلن عن تبرع الحكومة الفنزويلية بقطعة أرض في وسط كاراكاس لبناء المسجد عليها.

وقد حرصت المؤسسة على أن يكون لهذا المسجد طابع خاص ليصبح أبرز وأكبر مسجد في أمريكا الجنوبية. وقد اكتمل بناء المسجد بعد ثلاث سنوات من العمل، وكانت مساحة الأرض التي شيد عليها خمسة آلاف متر مربع. وأصبح فعلاً تحفة معمارية، ومن معالم كاراكاس البارزة. وهو يستوعب ٣٥٠٠ مصلٍ، ويتميز بمنارته التي ترتفع ١١٣ متراً، ويعلوه هلال قطره متران.

وقد افتُتح مسجد كاراكاس في ٢٢ نيسان / أبريل ١٩٩٣م، وحضر الافتتاح الرئيس الفنزويلي ببريز والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم البراهيم، وكبار المسؤولين والدبلوماسيين في فنزويلا، وبثت أحداثه مباشرة أجهزة الإعلام الفنزويلية والعالمية[1].

أما مسجد جبل طارق، فله دلالة كبيرة ومغزى عظيم أيضاً، وذلك بسبب ما يحتله جبل طارق في نفوس المسلمين وفي ذاكرتهم من مكانة خاصة، إذ يعد الخطوة الأولى لدخول المسلمين إلى أوروبا في القرن الأول الهجري، إذ دخلوا إلى الأندلس على يد طارق بن زياد، الذي لا تزال المنطقة تحمل اسمه، إضافة إلى الموقع الجغرافي الخاص الذي يحتله جبل طارق ويجعله أقرب نقطة في أوروبا إلى أفريقيا. ويعيش في جبل طارق أكثر من ثلاثة آلاف مسلم.

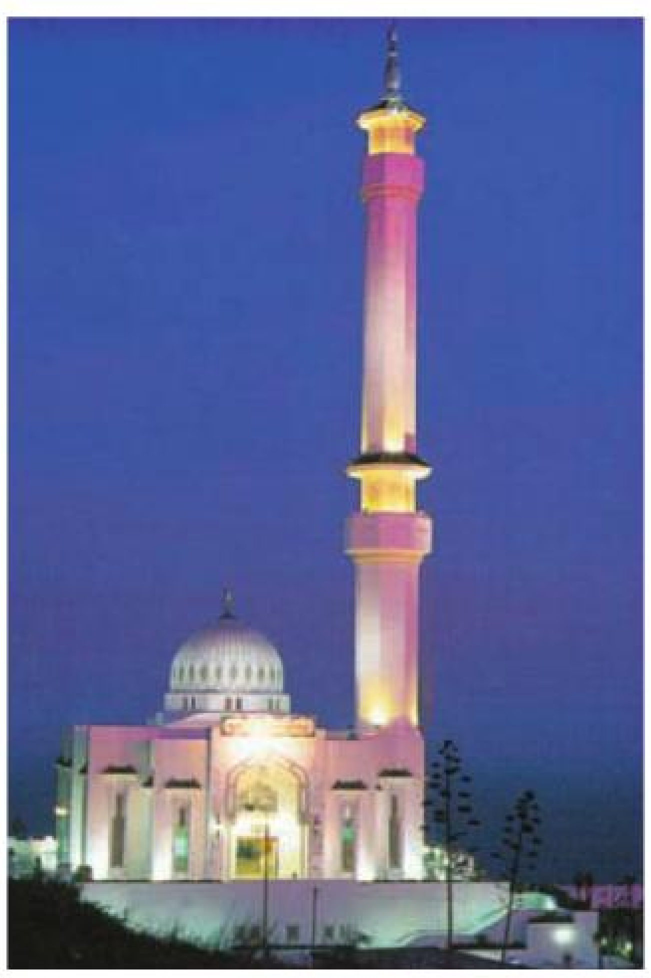
ولهذه الاعتبارات جميعًا، تبرز أهمية وجود مسجد يخدم مسلمي المنطقة بصفة خاصة، ومسلمي جنوب غرب أوروبا بصفة عامة، ليكون أيضاً حلقة من حلقات تواصل الحضارة الإسلامية مع أوروبا.

وتقديرًا لأهمية هذا المشروع، أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ببناء كامل المشروع على نفقته الخاصة، وبلغت كلفته العامة حوالي ٥,١٠٩,٤٢٩ جنيهًا إسترلينيًا.

وقد حظي المشروع باهتمام سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز ورعايته، وبدعم وجهد موفق من سمو الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز، الذي رأس بدوره اللجنة العليا المشرفة على المشروع.

(١) مجلة "اليمامة"، العدد ١٢٤٨، ٢٤ رمضان ١٤١٣هـ (١٨ آذار / مارس ١٩٩٣م).

وبدأت الجهود لتحقيق هذا المشروع النبيل في بداية سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، حيث قامت "مؤسسة إبراهيم بن عبد العزيز الخيرية" بمتابعة مستمرة من رئيس مجلس أمنائها (الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم البراهيم) ونائبه (الشيخ خالد بن عبد العزيز البراهيم)، بمفاتحة حكومة جبل طارق، لاستحصال موافقتها على بناء المسجد وتخصيص قطعة الأرض اللازمة لذلك.

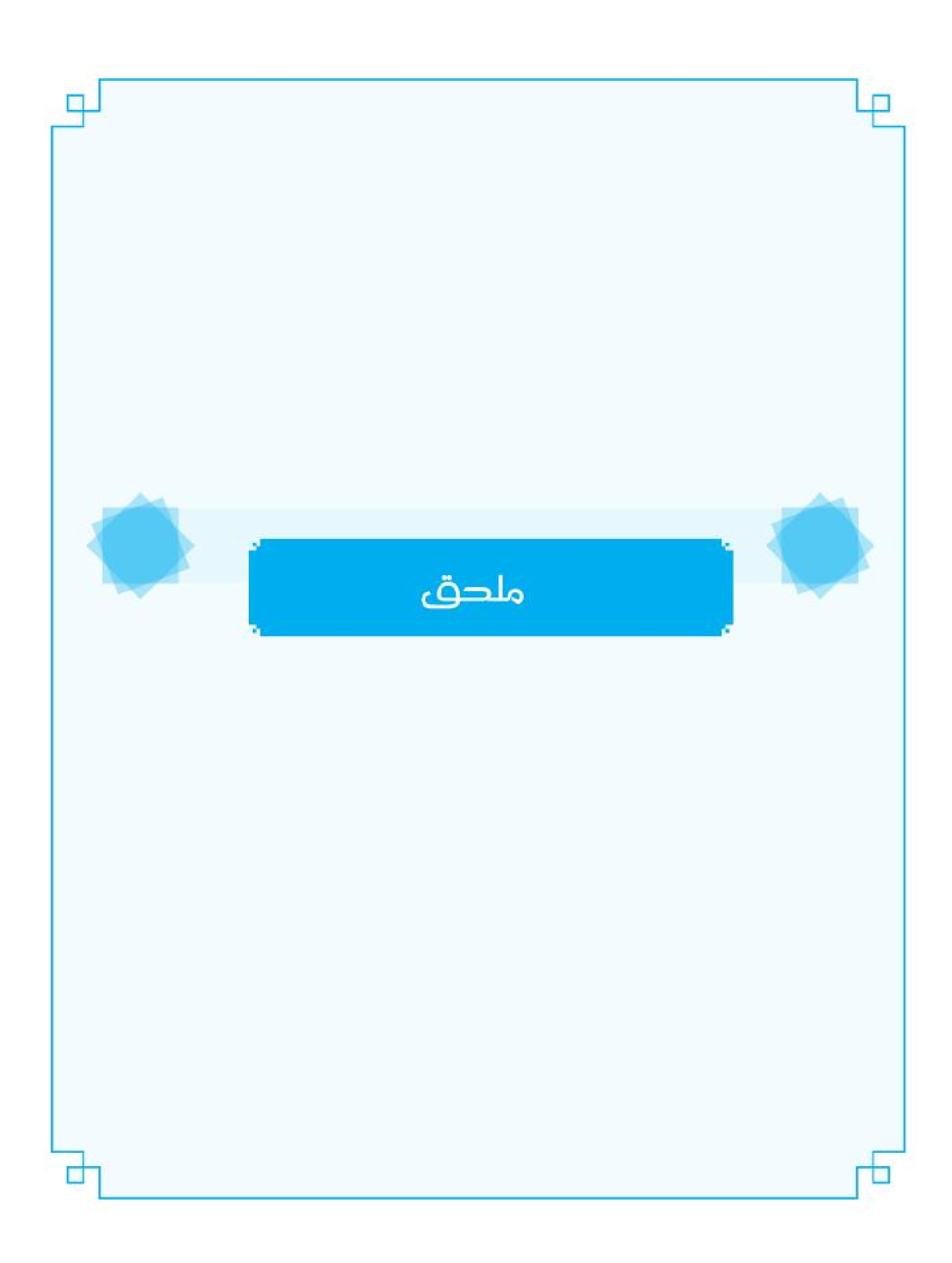


مسجد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله

وأثمرت هذه الجهود عن توقيع اتفاقية مع حكومة جبل طارق، وتخصيص أرض مساحتها ٣٢٠٠ متر مربع لبناء المسجد، إضافة إلى ألفي متر مربع أخرى لمواقف السيارات، في موقع على ساحل البحر مقابل جبل موسى، ليصبح المسجد أقرب نقطة في أوروبا إلى أفريقيا.

وكان التصميم المعماري لمسجد جبل طارق يجمع بين طراز العمارة الإسلامية والبيئة المعمارية لمنطقة الأندلس، بمنارة ترتفع ٦٤ متراً، وقبة ترتفع ١٧ متراً من الخارج. ويستوعب المسجد ٢٠٠٠ من المصلين، وفيه قاعة محاضرات وستة فصول دراسية لتدريس القرآن الكريم واللغة العربية.

وقد وضع الحجر الأساسي للمشروع الشيخ خالد بن إبراهيم البراهيم، نائب رئيس المؤسسة في ١٨ صفر ١٤١٦هـ (٢٦ تموز / يوليو ١٩٩٥م)، بحضور وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وحاكم جبل طارق ورئيس وزرائه وجمع كبير من المسؤولين في جبل طارق. وقد انتهى بناء مسجد جبل طارق وتم افتتاحه في احتفال كبير.



ملحق

مختارات من المراثي التي كُتبت إثر وفاة الأمير إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم رحمه الله

١ –	بالله كيف الحادثات تدور	عبد الرحمن بن فيصل المعمر
٢ –	إلى روح "أبي عبد العزيز" الطاهر	عبد الله إبراهيم الحديثي
٣ –	يرحمك الله	افتتاحية "الجزيرة"
٤ –	ومات الكريم إبراهيم آل إبراهيم	محمد حسين زيدان
٥ –	فقيد البلاد الغالي	أحمد عبد الغفور عطار
٦ –	وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر	عبد الله بن محمد آل الشيخ
٧ –	الحزن عميق بفقدك أبا عبد العزيز	عبد العزيز سالم الغامدي
٨ –	منطقة الباحة: مصابك جلل	عبد الله أحمد الأفندي
٩ –	ذكريات لا تُنسى مع رجل لا ينسى	هشام ومحمد علي حافظ
١٠ –	أبكيك للوفاء	موسى محمد السليم
١١ –	رحمك الله يا شيخ إبراهيم	عبد الله الخليفي
١٢ –	الغالي الذي فقدناه	جريدة "عكاظ"
١٣ –	الشيخ إبراهيم في ذمة الله	محمد السليمان
١٤ –	إلى رحمة الله الصديق الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم	علي حافظ
١٥ –	إبراهيم آل إبراهيم كما عرفته	محمد موسم المفرجي
١٦ –	الفقيد الغالي معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز إبراهيم أمير منطقة الباحة	الدكتور فهد العرابي الحارثي
١٧ –	دمعة حزن (قصيدة)	عبد الله العبد الرحمن البراهيم
١٨ –	أنتم شهداء الله في خلقه	سعد عبد الله المليص
١٩ –	الرجل الذي فقدناه	عباس مصطفى سحلي
٢٠ –	فقيد جليل	مصطفى حسين عطار
٢١ –	ألا رحمك الله يا أبا عبد العزيز	الشريف خالد حسين آل زيد
٢٢ –	ابن إبراهيم كما عرفته	علي عيسى
٢٣ –	مواقف الرجال لا تموت	علي خالد الغامدي
٢٤ –	ويبقى حديثك في ذاكرتي	محمد الوعيل
٢٥ –	في ذمة الله يا إبراهيم (قصيدة)	فيصل سعيد صقر الغامدي

بالله كيف الحادثات تدور؟!

بقلم: عبد الرحمن بن فيصل المعمر

فُجعت الأمة ورُوِّعَ المجتمع بغياب رجل في زمن نحن أحوج ما نكون فيه إلى الرجال.

مات الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم، مات المتواضع من غير تزلف! والاجتماعي من غير تكلف، والحازم من غير صلف، مات الرجل المعتدل المزاج فلا يخرجه الغضب عن العقل ولا يوصله الحِلم إلى العجز.

نعم غاب الرجل المعتدل في القول والسلوك.

مات أبو عبد العزيز، وطوي في الأكفان وأُدخل القبر وأُهيل عليه التراب، فانطوت بموته سيرة عطرة وغاب بغيابه أنموذج متميز من مكارم الأخلاق وحُسن السمت وجميل المعشر وصلة الرحم.

مات بالأمس رجل صادق السريرة مستقيم السيرة.

مات بالأمس من جمع بين الحزم واللين والتلطف في القول والتعفف عن مرذول الكلام.

مات من يقهر نفسه ولا تقهره ويغلبها ولا تغلبه.

مات والله بالأمس "رجل"! وكفى بكلمة "رجل" في زماننا هذا فهي تعني الكثير!

عرفت الفقيد العظيم بمدينة الطائف، حيث لقيته لأول مرة منذ ربع قرن، وتوثقت صلتي به ورأيته مرات ومرات في الحضر والسفر في المنصب وخارج المنصب، في الرخاء والشدة، في ساعات الجد وأمسيات التجلي.

كان كثير الصمت من غير عيّ، عميق النظرة من غير خبث، ودائم العبرة طويل التأمل، حليماً من غير ضعف، حازمًا من غير صلف، كريماً من غير سرف، عالي الهمة مخفوض الجناح.

كان يحب مكارم الأخلاق، ويكره أن يعيب وأن يعاب، يتضايق إذا استهزأ بالناس أحد في مجلسه أو تظرف عنده رجل بهذر أو فحش قول، كان يكره الغمز واللمز ويضيق ذرعًا بقائله وفاعله، يظهر ذلك على وجهه فكأنه المعني بقول الشاعر:

لقد برئت من غمز ولمز كما برئت من قول ركيك

لقد وجم الناس لسماع نعيه وأصيب أقوام بالذهول ورددوا: وعند صفو الليالي يحصل الكدر، إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد حزن أصدقاؤه وجزع عارفوه وبكاه كل من اتصل به وعرفه عن قرب ورآه.

بعد إذاعة النبأ عبر وسائل الإعلام توافدت حشود على الجامع الكبير بالرياض للصلاة عليه، وتشييعه إلى مثواه الأخير وأُنزل النعش، وحُمل على الأعناق، وسط أمواج من الحزن الصامت والأنين الدفين!

ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال يسير

ساروا به والكل باك حوله صعقات موسى يوم دك الطور

وبعد الصلاة والدفن زحفت وفود ووفود إلى مقر أبنائه، وتبادل الناس العزاء فيه ورددوا ذكره الحسن مرات ومرات بين الدعاء والثناء.

لا أحب أن أعدد مناقب الفقيد وأشرح ذلك وأطنب وأسهب، لكن أتناول جانباً واحداً من جوانب شخصيته، ذلكم هو تقديره الكبير لأهل الفكر ورجال الأدب، فقد تذاكرتُ معه مرة وذكر لي أنه عندما زار مصر في أواخر الأربعينات الميلادية قابل الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار هناك، واتصل عبره بأساطين الأدب وعمالقة الفكر أمثال محمد حسين هيكل باشا وعباس محمود العقاد وطه حسين وسيد قطب، وغيرهم، وحضر ندواتهم.

ولما قرأت كتاب في منزل الوحي، وهو تدوين شيق للرحلة التي قام بها الدكتور محمد حسين هيكل باشا إلى الديار الحجازية قبل أكثر من أربعين سنة تقريبًا لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة ثم السياحة بعد ذلك والتجوال في القرى والأودية والجبال بين مكة والطائف ورصد تاريخها وتدوين مشاهداته وخواطره في كتاب مسطور سيظل إلى آخر العصور من أهم المراجع للمتتبع والباحث. وقد أثنى الدكتور هيكل على الشيخ إبراهيم ونوّه بسيرة

والده وحزمه وشدة بأسه على قطّاع الطرق والمفسدين في الأرض.

أقول: كان يُقدّر أهل الفكر ويحرص على تكريمهم والسؤال عنهم والاحتفاء بهم. وقد حضرت بداره بالطائف عدة مناسبات كرّم فيها عدداً من الأدباء، أمثال الشيخ عبد القدوس الأنصاري والسيد محمد المؤيد الحسني والأستاذ عبد العزيز الرفاعي... وغيرهم، ورأيت منه عطفًا وتقديرًا لراوية الدهر وأعجوبة العصر في الحفظ والارتجال شاعر اليمن الكبير الشيخ أحمد بن محمد الحضراني، أمد الله في عمره.

وكان صديقنا الأديب الموهوب حمد الزيد يجل الفقيد ويحترمه ويحتفي به في كل مناسبة ويدعو عددًا من المثقفين للقاء به والمشاركة في تكريمه، فكان الفقيد يتباسط مع الحضور ويتحدث عن ذكرياته القديمة أثناء زيارته لمصر ورحلاته إلى معظم دول العالم المتمدن والمتخلف، وما رأى عبر سياحته في الدول المتقدمة من شوامخ النهضة وعظمة الحضارة ورهبة الصناعة، ويشيد بالتزام الناس هناك بالنظام والقانون، وكيف أن مرد كل ذلك لا إلى التعليم فقط، بل إلى التربية الواعية ثم التعليم.

وكانت للفقيد آراء تدل على نفاذ البصيرة وطول التجربة والتمرس بالحياة. كان الفقيد يعمل ويطبّق القول المأثور "أنزلوا الناس منازلهم"، لا يدع ذلك للصدفة، بل يجتهد في تطبيقه بدقة، فيشير بيده في مجلسه وعلى المائدة ويدعو أقواماً ليكونوا بقربه.

وهذه الخصلة تدل على فهم عجيب بتركيبة المجتمع والتزام بتعاليم الإسلام وشيم العرب!

وبعد... فيا أيها القراء: هذا مقال كتبته بسرعة عاطفة المفجوع، فجاء مضطرباً كاضطرابي يوم سمعت النبأ الفاجع، مرتبكاً حالتي وأنا أسأل من لقيت من التفاصيل غير مرتب ولا منمق، لأني لم أكتب لأدوّن وأسجل وأُلمّ بكل شيء عن حياة الفقيد الراحل، فلا يلمني لائم ولا يعقب عليَّ عاتب، فمحل إبراز مناقب الأجواد وتعداد مآثر الأخيار أمثال فقيدنا المبرور كُتب السِيَر والتراجم لا مقالات الرثاء والتأبين... فلو نفرت طائفة من أحباء الفقيد وتصدوا لتسجيل

مراحل حياته وتدوين سيرته وأعماله لسدوا ثغرة في سجل تراجم رجالنا ومن ولي ولاية من كبرائنا.

لله كيف الحادثات تدور يا إبراهيم، كيف بالله يجري المرء ولا يدري ما خبأ له القدر المقدور!

رحمك الله أيها الفقيد الفاضل خُلُقاً، الفضلي نسباً، وأظلت قبرك سماء الرحمة وأمطرتك سحائب الغفران، شهيداً بفضل الله.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر	فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً	شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

الجزيرة، العدد ٤٩٤١

التاريخ ١٤٠٦/٧/٣٠هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

إلى روح "أبي عبد العزيز" الطاهر

بقلم: عبد الله إبراهيم الحديثي

... والصديق الأديب عبد الله الحديثي
تربطه بالضيف علاقة عائلية... داعب قلمه ذات
مساء... وكانت هذه السطور الصادقة... عن
الحدث والحديث...

"الجزيرة"

معذرة أن يعجز قلمي عن العزاء والرثاء، فما وطئت نفسي ألماً أشد من ألم فراقك ولا خالج مشاعري أقسى من هذه الفرقة التي تطول ولكنها الأقدار؛ فلقد كنتَ واسع الصدر كبير العزة والقدر في نفوس الكثير والكثير جداً من محبيك وعارفيك.

سيدي

لقد عجز قلمي عن التعبير وذهني عن التفكير، ولا زال ألم الفراق شديدًا جدًا وأنت بين يديّ الرحمن وإلى جنة الخلد إن شاء الله. فلقد كانت شمائلك عديدة وفضائلك متعددة وصلتك وثيقة وحبك للخير وفيرًا كثيرًا.

والمعذرة الأخرى ألا أفي بوعدك بتوصية جريدة "الجزيرة "بعدم نشر هذه الذكريات والتي تم إجراؤها معك قبل حوالي عامين أو أكثر حتى تعود إلى ما لديك من وثائق كانت آنذاك مبعثرة بين الباحة ومكة والطائف، وكنت تود أن تراجع هذا الحديث وأن يتسع الوقت لديك لتدقيق التواريخ والأحداث ومراجعة الصياغة ومواكبة الأحداث وإضافة ما قد نسيت أو تغيير ما تراه.

معذرة أن يأتي نشر هذا الحديث بعد أن رحلت عنا إلى دار البقاء تسبقك دعوات الألوف المؤلفة بالرحمة والغفران وأن تلقى وجه ربك راضيًا مرضيًا.

والمعذرة الأخيرة أن تنشر "الجزيرة" هذا الحديث الذي يعبّر عما عمرت به روحك الطاهرة من إخلاص في القول، وجِد في العمل، وتفان في الواجب، انعكس على السطور فجاءت صافية

كصفاء روحك، نقية كنقاء سريرتك، طيبة كذكراك العطرة في النفوس والقلوب. لقد حرص الإخوة في "الجزيرة" أن يكون الحديث كما هو بلا تعديل ولا تبديل، فلقد سعدت بأن أكون رفيقك في تلك الرحلة التي طفت خلالها العالم سنة ١٣٩٢هـ، وأن أرى عن قرب روحًا نقية وسريرة صافية وإيمانًا كالجبال وصدقًا كالطبيعة. وشاء الله أن أسمع كثيرًا من أحاديثك الطيبة وقدراتك الخارقة، وأمَّلت أن تجمع هذه الأحاديث وما استوعبته ذاكرتك من فصول الأحداث في المملكة الفتية والتي كنت مواكبًا لها ومشاركاً في البعض منها كما شارك والدك العزيز في الكثير، وكنت آمل أن تسجل بعض هذه الذكريات حتى تكون دروسًا علمية وعملية يستفيد منها الدارسون والباحثون، وكنت تشكو، رحمك الله من كثرة الواجبات وتحمّل نفسك ما تعجز عن حمله أكبر النفوس في أداء الواجب وزيارة كبار السن وصلة الأقارب والأرحام وجميع الأصدقاء والمعارف، فلقد كان فيك من الشمائل أفضلها ومن الفضائل أكثرها فرحمك الله وأسكنك فسيح جناته وأردد قول المتنبي:

يموت ألوف لا يؤثر فقدها ... كأنهم عند الحياة سراب

ويذهب فرد واحد في عديدهم ... فينتحب الدهر حتى يصاب

وقول الأعرابية:

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلق كثير

الجزيرة، العدد ٤٩٧٨

التاريخ ١٤٠٦/٩/٨هـ

(١٧ آيار / مايو ١٩٨٦م)

يرحمك الله

افتتاحية "الجزيرة"

أمس... فقدت البلاد رجلاً كريم الصفات... نبيل المعشر، رفيع الخلق هو معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم أمير الباحة الذي انتقل إلى جوار ربه على أثر حادث انقلاب سيارته صباح أمس الاثنين وذلك عن عمر يناهز الخامسة والستين.

ولقد كان لوفاته رنة أسى وحزن عميق في نفوس أبنائه وعارفيه وأصدقائه الكثر. لما كان يتمتع به رحمه الله من سجايا وخصال نبيلة حيث عُرف عنه الصلاح والتقوى والكرم والشهامة... ولقد أفنى حياته وهو يؤدي واجبه في خدمة دينه ومليكه ووطنه حيث أمضى سنوات طويلة أميراً لعدد من المدن كان آخرها إمارة الباحة وضواحيها.

وكان يرحمه الله حريصًا على السؤال الدائم عن كل الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم. عطوفًا بارًا يبذل الكثير في مجال الخير والإحسان... وكان مجلسه دائمًا يمتلئ بالناس... يلقاهم بكل البِشر... ويستقبلهم برحابة الرجل الكريم في شمائله وصفاته... وطوال الفترة التي عمل فيها أميرًا لعدد من المدن في المملكة كان مثالاً للأمانة والنزاهة والتفاني وهو أحد الرجال المخلصين الذي أدوا واجبهم على خير وجه.

ولقد ترك من خلفه سيرة عطرة... يذكرها كل من عرف فضله وعايش بساطته ولقي عونه وحرصه على قضاء حاجات مراجعيه وتسهيل أمورهم... وبذل كل ما في وسعه لإرضاء كل من يدخل إلى مكتبه أو بيته.

وهكذا يمضي هذا الرجل الطيب إلى مثواه الأخير... محمود السيرة طيب الذكْر... وقد ترك أبناءً بررة ربَّاهم على الفضيلة وأنشأهم على الصلاح... وخلق فيهم صفات النبل والخُلق القويم.

ولقد نعاه الديوان الملكي أمس... لأنه أحد الرجال الذين أعطوا كل ما يملكون من حماس وتفاعل صادق وحرص مخلص في أداء المسؤولية... وحين يغيب مثل هؤلاء الرجال فإن فقدهم

خسارة كبيرة... ولكنها مشيئة الله ولا راد لقضائه.

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ○ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ○ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ○ وَادْخُلِي جَنَّتِي) صدق الله العظيم.

رحم الله الفقيد الغالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم وأسكنه جنات النعيم. وصادق العزاء إلى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى وإلى سمو ولي عهده الأمين وإلى أنجال الفقيد وأهله وأسرة آل إبراهيم، ونسأل الله أن يلهم الجميع الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الجزيرة، العدد ٤٩٤٠

التاريخ ١٤٠٦/٧/٢٩هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

ومات الكريم إبراهيم آل إبراهيم

بقلم: محمد حسين زيدان

وتلفن إليَّ الصديق السيد ياسين طه يخبرني عن وفاة الكريم ابن الكريم إبراهيم آل إبراهيم أمير الباحة. ولم يكن الخبر منه إلا تعزية لي. وليس ذلك عن صلة النسب، أو تواصل الحسب، وإنما هي الصلة العميقة بالسبب، ترحمت عليه، فمن حق الوفاء أن أرثي هذا الوفي. فللمدينة المنورة أمومة التنشئة له، شب فيها طفلاً في كنف أبيه وكيل الإمارة الشيخ "عبد العزيز بن إبراهيم"، وكان الوفاء من هذا الكريم شيمة، وقيمة، فقد كان حفيًا بي وفيًا لي، ولم يكن ذلك منه إليَّ كائنًا ناشرًا، أو مذيعًا منتشرًا، وإنما كان ذلك لأني معلم الصبيان، كان تلميذًا وكنت أستاذًا، ولعلي كنت كثير الحفاوة به، لم يقتصر وفاؤه عليه وحده بل كان أبوه يرعاني بهذا الوفاء، حتى إذ تعرضت لزلة كلمة نقلها إليه ناقل، والشيخ السبب في أن كان، فلم أعلم بهذه الكلاءة إلا من الأستاذ "ضياء الدين رجب". بعد ثمانية عشر عامًا كان تلميذًا ترسخت صلتي به، وطابت صلته لي حين عزمنا كأسلوب في النشاط المدرسي أن ننشئ مسرحًا في مبنى الكلية الإسلامية في العنبرية "مقر ثانوية طيبة الآن" نمثل عليه حواراً "لوفود العرب" أوفدهم النعمان بن المنذر، إلى كسرى، وكنت أنا النعمان بن المنذر، وكان الأستاذ عبد الحق النقشبندي "كسرى أنو شروان"، وكان هذا التلميذ إبراهيم آل إبراهيم جذعًا يحسن القول ويجيد الأداء، فإذا هو قابوس بن النعمان بن المنذر، أما خطباء العرب أكثم بن صيفي ومن إليهم، فكانوا الطليعة من تلامذة المدرسة، بعضهم قد بلغ من السن ما بلغته. وغضب النعمان من هوان العرب على كسرى، يهزأ بعامر بن الطفيل فإذا قابوس يلقي الكلمة "هون عليك يا أبتاه فالعرب لا ينامون عن ثأر"، وسمع أبوه قوله، فقال يرحمه الله ما سمعه إبراهيم شاكر قال: "يخسأ ما هو أبوك".

وكان هذا الحفل قد شُرف بالكبار الذين حضروه، الشيخ عبد الله بن حسن، وعبد الله السليمان وعبد العزيز بن إبراهيم، وإبراهيم شاكر تغمدهم الله برحمته، إن هذا الأمير، أمير الباحة لم ينس

أستاذه، ولم ينس زمالة الأداء، ما رأيته إلا أكرمني، وما زاره أحد من معارفي إلا سأل عني، كان تربية المدينة الغزلة لها بصمة الحب منه وله. وبسمة الوفاء منه لأهل الوفاء.

مات يرحمه الله، وما سمعنا في حياتي وهو الأمير في أكثر من إمارة أية شكوى منه، لأنه تربية أبيه، ولأن الملوك من أبناء عبد العزيز كانوا وما زالوا الحريصين على أن يكون الأمير في أي إمارة لا يمثل إلا ما يصون الوحدة، وما تصان به عقيدة التوحيد.

فالأمن هو ثروة هذه الدولة، وأيما أمير يجب عليه أن يكون الصَّوان للأمن فالأمن به، والأمن منه، والأمن له التزام يُلتزم، وإلزام لكل فرد من هذا الشعب العربي السعودي في كل شبر من أرض هذا الكيان الكبير.

لقد توفى الله إبراهيم بن إبراهيم في حادث كأنه ما هو الفزع تدمع عليه عيون ليست هي القريبة وحدها، وإنما هي القربى لمن صان المسؤولية فازدانت سيرته بهذا الموت، والعزاء أكتبه على هذا القرطاس إلى ذوي القربى نسباً، وحسباً، وسبباً، تغمده الله برحمته.

المدينة، العدد ٦٩٣٩

التاريخ ١٤٠٦/٧/٣٠هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

فقيد البلاد الغالي

بقلم: أحمد عبد الغفور عطّار

عندما ألّفت كتابي صقر الجزيرة في ثلاثة أجزاء، وذلك سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م، كنت قد قابلت بمكة المكرمة - حرسها الله - في موسم الحج الملك عبد العزيز، وأخبرته أنني ألّفت فيه كتاباً ضخماً سميته "صقر الجزيرة"، فرغب جلالته رحمه الله رحمة واسعة أن يطّلع عليه، فأحضرته له، وبعد أيام ردّه إليّ، ثم أصدر جلالته أمره بإنشاء لجنة مكونة من الشيخ عبد العزيز ابن إبراهيم رئيساً، ومن كل من السادة:

١- السيد محمد طاهر الدباغ

٢- والسيد محمد شطا

٣- والسيد أحمد العربي

٤- والشيخ الطيب الساسي

٥- والأستاذ خالد أبو الفرج

أعضاء، وكان مكان الاجتماع بمنزل الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بحي النقا بمكة المكرمة، وقرر أن يكون الاجتماع بعد صلاة المغرب، وأحضرت في الاجتماع الأول الكتاب كله بأجزائه الثلاثة ليطّلع عليه الرئيس والأعضاء، فأكبروا العمل أيما إكبار، وكنت أنا الذي أقرأ، وقرأت حوالي مائة صفحة وافقوا عليها بالإجماع، ودوّنوا في محضر الجلسة الأولى ما تم فيها، ثم صلينا العشاء، وما كدنا ننتهي حتى مُدت مائدة العشاء بها خروف وخبز و"سلطات" وفاكهة وتمر ولبن.

وفي الجلسة الثانية كان ما بالجلسة الأولى، وأمسينا أيام الأسبوع الأول دراكًا، وطلبنا من الأمير الشيخ عبد العزيز رحمه الله ورحم الأعضاء ومد في عمر أستاذي السيد أحمد العربي أن يعفينا من العشاء لأننا نود أن نتعشى مع أُسرنا فقبل رجاءنا، حتى انتهينا من الكتاب كله، وقد جاء فيه ذكر الأمير ابن إبراهيم ذكرًا جميلاً، فهو من رجال الملك عبد العزيز.

ورفع الأمير ابن إبراهيم تقرير اللجنة إلى الملك رحمه الله، وأفضل الرئيس بإعطائي صورة منه، كما بعث إليّ رسالة كريمة يحييني فيها تحية تليق بمعاليه مع كسوة فاخرة ومكافأة طيبة حملها إليّ ابنه الشيخ إبراهيم.

في تلك الأيام، عرفت أنه الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم، وتوثقت الصلة فيما بيننا. وزادها متانة اشتراكنا في الصبوة إلى الأدب والقراءة، وكنا نجتمع كثيرًا في المسجد الحرام ونتدارس ونطوف بحلقات العلماء بأروقته، وكنا نتزاور في البيوت.

وكما كنت من عشاق الكتاب أقرأ كل ما تصل إليه يدي كان الصديق الشيخ إبراهيم يقرأ كثيرًا، لديه مكتبة حافلة بكتب التفسير والحديث والتاريخ، كما كان يُعنى بقراءة المؤلفات الحديثة، فلديه مؤلفات للعقاد والمازني وهيكل وطه حسين والرافعي والبشري، ولديه دواوين العقاد والمازني وشوقي وحافظ من المحدثين، ودواوين شعراء الجاهلية والإسلام.

ولم يكن لديه كتاب للزينة، فهو لا يشتري كتابًا إلا للقراءة، ويحفظ كثيرًا من الشعر والأمثال.

وفي إحدى سنوات الأربعين بعد التسعمائة والألف من الميلاد تقابلنا أنا والشيخ إبراهيم بدار القنصلية السعودية بالقاهرة، وذكر لي أنه جاء إليها بصحبة والده لعلاجه، و"استأجرت" القنصلية، بأمر الملك عبد العزيز، دارة جميلة فخمة ذات أثاث فاخر يليقان بمكانة الأمير الكبير.

وزرته فوجدت بالدارة معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، أحد وزراء المعارف السابقين، وكان يطلب، حينئذٍ العلم بالأزهر الشريف، وكنا أنا والشيخ عبد العزيز وأخوه الكبير الشيخ محمد زملاء بالمعهد العلمي السعودي، وكنت أتردد على والدهما الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة بالحجاز بسكنه بالداوودية.

ولقد توثقت الصداقة بيننا حتى سبقنا الشيخ إبراهيم إلى الله شهيداً مبكياً عليه رحمه الله وجعل قبره روضة من رياض الجنة.

وفاجأني النعي الذي كان نازلة زلزلت كياني كله، فقد كنت أتهيأ لتلبية دعوته إياي لزيارة الباحة وإذا المنية تحول بيننا.

وبينا أقرأ كتاب التأبين والرثاء في فقيد الوطن قرأت كلمة رائعة للكاتب المبدع الأستاذ عبد الرحمن فيصل المعمر في تأبين الراحل الغالي جاء فيها ما نصه:

"لا أحب أن أعدد مناقب الفقيد وأشرح ذلك وأطنب وأسهب، لكن أتناول جانبًا واحدًا من جوانب شخصيته. ذلكم هو تقديره الكبير لأهل الفكر ورجال الأدب، فقد تذاكرت معه مرة وذكر لي أنه عندما زار مصر في أواخر الأربعينات الميلادية قابل الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار هناك، واتصل عبره بأساطين الأدب وعمالقة الفكر أمثال محمد حسين هيكل باشا وعباس محمود العقاد وطه حسين وسيد قطب وغيرهم، وحضر ندواتهم"... الخ.

وهذا حق، فعندما زرنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا، مؤلف كتاب **في منزل الوحي**، زرناه أنا والشيخ إبراهيم وقدمته وقلت: الشيخ إبراهيم ابن أمير المدينة المنورة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم، تذكر الوالد وابنه، ورحب به أجمل ترحيب، وأهدى إليه مؤلفَيه **حياة محمد**، و**في منزل الوحي** بعبارات كريمة، وأخذ عنوان سكن الأمير وزاره.

وكذلك أهدى إليه العقاد وطه حسين والزيات وغيرهم بعض مؤلفاتهم، أما سيد قطب فقد احتفل بالشيخ إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ودعاهما وإياي إلى الغداء بمنزله بحلوان، وأهدى إلى كل منهما مجموعة مؤلفاته.

ولقد غلبت شهرة الحكم على علم الشيخ إبراهيم وأدبه فلم يُعرَفْ بهما إلا عند قلة من أصدقائه ومعارفه، وأحاديثه تفصح عن أسلوبه الرائع في منطقه كما تفصح رسائله عن أدب جميل وثقافة وإطلاع واسع.

ولديَّ منه بعض رسائل، إحداها مطولة في أكثر من عشر صفحات حوت آراءه العديدة ومذهبه في الحياة.

ولم تُقطع الصلة بيننا منذ تعارفنا إلا بوفاته، فعندما عُين وكيلاً لإمارة مكة المكرمة سنة ١٣٨١هـ عندما كانت جريدة "عكاظ" ملكي، وقضيت فترة بعيداً عنها، زارني الشيخ إبراهيم بمنزلي غير مرة، وزرته بمنزله بالإمارة.

وكان الفقيد دائم الذكر لي في مجالسه، حتى أنه كان يحدّث أولاده الكرام عني، حتى أن ابنه الأكبر الأمير عبد العزيز بن إبراهيم تقبّل تعزيتي له ولآل الفقيد بالهاتف وذكر لي ما كان يتحدث لهم عني، وطلب إليّ أن أبحث له عن رسائل أبيّه إليّ وأبعثها إليه فوعدته، وأرجو أن أجدها، لأن أكثر الرسائل التي كنت أحتفظ بها، ومنها "بضع رسائل من ديوان الملك عبد العزيز ومن ديوان الملك سعود ومن ديوان الملك فيصل رحمهم الله ورسالتان من مليكنا المفدى فهد بن عبد العزيز"، ورسائل أخرى من عمالقة الأدب الحديث في مصر وسوريا وتونس والمغرب، قد ضاع كثير منها بعد إصابتي بالجلطة الحادة في المخ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ولعلي أو على الأصح لعل أهلي يبحثون بين أوراقي عن رسائل الشيخ إبراهيم، فإذا وجدتها سأبعثها إلى ابنه إن شاء الله.

وإن هول الفجيعة في الصديق العظيم الوفي الشيخ إبراهيم سلب قلمي القدرة على القول لأؤدي بعض حق الفقيد عليّ، ولكن مجال القول في الفقيد الغالي غير متسع لي الآن، فأنا لذلك موجز بعض ما لديّ مشاركة مني لمن كتبوا وعبَّروا عن مشاعرهم نحوه.

من خير صفات الفقيد إنسانيته، فما حل بعمل إلا كان من يعملون تحت إمرته ينعمون في بِره ولطفه وحسن معاملته، فعندما كان وكيلاً لإمارة مكة المكرمة كانت يده السخية ممدودة للضعفاء وصغار الموظفين، يذكرهم في العيدين وفي رأس السنة الهجرية عندما يحل موعد دفع إيجار المساكن فيساعدهم، وإنهم ليذكرون له أياديه البيض عليهم بالخير الذي هو أهله، بل أهل مكة حرسها الله وحرسهم ليذكرونه بكل خير، وطبيعي أن يكون حزنهم عظيمًا على فقد إنسان لا يتكرر أمثاله إلا نادراً وبخاصة في عصرنا الحاضر.

واليوم، وأنا أكتب هذه الكلمة أشعر بالأسى البالغ كما يشعر من عرفوه وعاشروه، لأن

فقدان إنسان عظيم خسارة على مكارم الأخلاق التي كان الفقيد نموذجًا رافعًا لها.

فَقَدتّ المروءة والأخلاق الفاضلة الكريمة رجلاً يكاد يجمع في شخصيته أنبل المزايا العربية الأصيلة، وأكبر الصفات الإسلامية، وأحسن الخلائق الإنسانية الفاضلة.

فقدنا من لا يُعزّى بفقده آله وحسب، بل يُعزّى فيه كل أصدقائه ومعارفه، ومن عاشروه وعملوا معه مرؤوسين وزملاء ورؤساء، لأن فقده ترك فراغاً لا يمكن أن يشغله سواه، ولهذا سيبقى مكانه شاغرًا.

ويعلم الله أن هول الفجيعة في الشيخ إبراهيم بن بعد العزيز البراهيم غير مطاق، لأن الفجيعة فيمن يتعذر وجود بديله تكون فجيعة لا تطاق، وما يخففها إلا الإيمان بأن من فقدناه قد مضى إلى من هو خير له من كل أهله ومحبيه ألا وهو الله الذي استأثر به ليجزيه ما يجزي عباده الصالحين، والإيمان بأن الفقيد قد ترك آله وأحباءه إلى من هو خير لهم منه، إلى الله الذي نرجوه أن يجعل قبر الفقيد روضة من رياض جناته.

وإني لأشعر بالحزن وأنا أرفع عزائي الصادق لمليكنا المحبوب المفدى فهد بن عبد العزيز، وإلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز وإلى آل الفقيد أن يلهمهم الصبر، وينزل الراحل الكريم فسيح جناته، ويسكب عليه صيب رضوانه، إنه سميع مجيب.

وأختم كلمتي بكلمة جاءت في تأبين الأستاذ الجليل عبد الرحمن المعمر التي تُعبّر عما يرجوه محبو الفقيد وأرجوه، وهي:

" وبعد... فيا أيها القراء: هذا مقال كتبته بسرعة عاطفة المفجوع، فجاء مضطربًا كاضطرابي يوم سمعت النبأ الفاجع مرتبكًا كحالتي وأنا أسأل من لقيت من التفاصيل غير مرتب ولا منمق، لأني لم أكتب لأدوّن وأسجل وأُلمّ بكل شيء عن حياة الفقيد الراحل، فلا يلمني لائم ولا يعقب عليَّ عاتب، فمحل إبراز مناقب الأجواد وتعداد مآثر الأخيار أمثال فقيدنا المبرور، كُتب السِيَر والتراجم لا مقالات الرثاء والتأبين... فلو نفرت طائفة من أحباء الفقيد وتصدوا

لتسجيل مراحل حياته وتدوين سيرته وأعماله، لسدوا ثغرة في سجل تراجم رجالنا ومن ولي ولاية من كبرائنا".

ورحم الله الشاعر أبا محمد التيمي، الذي أستعير منه أبياتاً له، فهي جديرة أن تقال في فقيدنا العزيز ويقال فيه خير منها يضاف إليما، وهي:

أما القبور فإنهن أوانس — بفناء قبرك والديار قبور

عمّت فواضله فعمّ مصابه — فالناس فيه خيرهم مأجور

ردَّت صنـــائـــعُه — فكأنه من نشرها منشور

طَيّب الله ثرى الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم كما طيّب ذكراه حياً وميتاً، ورحمه الرحمة الواسعة.

عكاظ، العدد ٧٢٤٠

التاريخ ٦/٨/١٤٠٦هـ

(١٦ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

بقلم: عبد الله بن محمد آل الشيخ

كم هو الخبر أليم... دمعت منه العين... وتفجر القلب حزناً... عند سماعه... كيف لا نحزن... ولا نبكي لفقدك يا أبا عبد العزيز...

إنه القضاء... والقدر... وهذه سُنَّة الحياة... ولم نكن نتوقع أننا سنفقدك وللأبد... ولكن إرادة الله... والتي ومهما حاول أيٌّ منا أن يهرب منها... فإنه لا يدري متى وبأي أرض يموت... وأنه مهما تفجر هذا الحزن... وتلك الفاجعة... فإن هذا لن يعيد إلينا الفقيد الغالي معالي الوالد الشيخ إبراهيم بن إبراهيم...

هذا الفارس... الذي منذ أن كسبت... بل وتشرفت بمعرفته قبل حوالي خمسة وعشرين عاماً... وهو الرجل المتواضع الذي يوزع عاطفته... ومحبته... وأخلاقه... وكل هذه لا حدود لها... على كل معارفه... وأصدقائه... ناهيك عن أقاربه الذين تشملهم رعايته... وعنايته... كان أخاً للكبير... والداً للصغير... لم يبخل عليهم بأي شيء. كان لا يلجأون إليه من أجل شيء إلا وقام بتلبيته... بنفس راضية... وبدون منّة...

الوطن... كان شعاره منذ بداية حياته رحمه الله... خدمه... بإخلاص... وتفان... حتى أثناء رحلاته التي كنا نرتاح عندما يخرج لها... فعل فيها ما يلهيه قليلاً عن مهامه الجسام... بالرغم من هذا فإنه يرحمه الله يواصل من خلالها... العطاء... والبذل... والزيارات المتواصلة منذ طلوع الشمس وحتى منتصف الليل... حتى أنه رحمه الله في نفس الليلة المشئومة التي أودت بحياته قام بحوالي ثلاثين زيارة... لمواطنين عاديين يعيشون في الخيام... يتناول القهوة... لدى كل واحد منهم... قلبه المتواضع لا يجرؤ على كلمة "لا"... وكان هذا عنوان الوفاء... في عهد فقدنا فيه بعض سمات الوفاء... الذي هو وبحق أحد صنّاعه...

نعم فقدناك يا أبا عبد العزيز... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر... وليس باليد حيلة... وإن التعزية... الحارة... هي لهذا الوطن... الذي بين يوم... وليلة... فقد رجلاً صنع تاريخًا... مجيدًا...

لأسرة عزيزة... وغالية علينا... جميعًا... وهو من نسل أسرة عريقة أفنى رجالها حياتهم... من أجل رفعة وخدمة بلادهم...

ولنا في أبنائه... وإخوانه... من نرى فيهم إن شاء الله أنهم سيكونون خير من يحملون الرسالة... التي تركها الفقيد، وهي من أنبل رسالات... الوفاء... والعمل... والإخلاص...

ولاشك أن الفقيد رحمه الله... ترك في قلوبنا... أبناءً... وإخوانًا... وأصدقاء... الحزن... الذي لا نستطيع حياله إلا أن نقول رحمه الله هو ورفاقه الذين كانوا معه شهداء بإذن الله.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الجزيرة، العدد ٤٩٤٢

التاريخ ١/٨/١٤٠٦هـ

الحزن عميق... بفقدك أبا عبد العزيز

بقلم: عبد العزيز سالم الغامدي

لا غرابة في أن يعم الوجوم والحزن كل فرد من أهلنا في منطقة الباحة، وأن يشاطرهم أحزانهم تلك، كل أشقائهم في أنحاء كثيرة من أرجاء هذا الوطن، الذي فقد يوم أمس فجأة واحدًا من خيرة أبنائه، وأكثرهم إخلاصًا وتفانيًا في خدمة دينه ومليكه ووطنه، معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم أمير منطقة الباحة، والذي وافاه الأجل، بعد عمر حافل بجلائل الأعمال، كان يؤدي خلاله الواجب على أكمل وجه، حيث نال ثقة الرواد من قادة هذه البلاد، وظلت تلك الثقة تتجدد يومًا بعد آخر، حيث عمل أميرًا لمنطقة القنفذة، فوكيلاً لإمارة منطقة مكة المكرمة، ومن ثم وكيلاً لإمارة منطقة عسير، وأخيرًا أُسندت إليه إمارة منطقة الباحة، حيث نالت على يديه الشيء الكثير، والذي رفع من مكانتها، وجعلها تضاهي أمهات المدن، بعد أن عم أرجاءها كل ألوان التقدم والنماء، فقد عرفت تلك المنطقة في عهده الكثير من أمنيات مواطنيها، التي لم تكن تتجاوز الحلم، فقد عمّتها الكهرباء، ووصلها التليفون، وأقيم فوق أرضها أول مطار مدني، كما أنشئت الطرقات والشوارع ذات الأنفاق والجسور التي وصلت بين أطرافها، وربطت بين السراة وتهامة لأول مرة بطرق معبّدة ميسورة، سهلت الحركة، وأتاحت الفرصة للاتصال بين أبنائها، خاصة بعد أن أقيم بها واحد من أفضل المستشفيات الحديثة في بلادنا... وهذا عدا السدود، وحواجز المياه، والتي انتشرت بشكل واسع، وأخيرًا ذلك المشروع الحيوي الكبير، المتمثل في سد وادي العقيق، الذي أوشك على الانتهاء، والذي سيمد مدن الباحة، وبلجرشي بحاجتها من مياه الشرب، فضلاً عن القرى والمدن الأخرى الواقعة على جوانب الخط الواصل بينهما، كل هذه الأعمال، وغيرها، مع ما شهدته المنطقة من نهضة تعليمية رائدة، إلى جانب تبنّيه لجمعية البِر بالمنطقة، وإقامة المدينة الرياضية، واستكمال مختلف الأنشطة الثقافية والبدنية، التي وضعت منطقة الباحة على مشارف نهضة متطورة، وغير عادية، كل ذلك وغيره، هو مما جعل أبناء تلك المنطقة يحسون بالكثير من الحزن والألم

لفقدهم أخًا، وصديقًا، لم يقم بينه وبين أي فرد منهم أية حواجز أو فوارق، بل كان لهم نِعم الرجل القدوة في تواضعه وفي صدق رعايته وتفقده المستمر لأحوالهم والحدب عليهم متأسيًا في كل أعماله أسلوب قادته وتوجيهاتهم التي طالما جاءت معبرة عن تطلعات أفراد هذه الأسرة الكبيرة في كل أنحاء بلادنا السعودية الحبيبة.

رحم الله الفقيد وألهمنا بفقده الصبر والسلوان ولأسرته الكريمة عزاؤنا و"إنا لله وإنا إليه راجعون".

الجزيرة، العدد ٤٩٤١

التاريخ ١٤٠٦/٧/٣٠هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

منطقة الباحة... مصابك جلل

بقلم: عبد الله أحمد الأفندي

قبل أن أدخل في كلمات الحب المفجوعة... وصيغ التقدير الموتورة تعاشرني آيات المدبر العظيم فأجد ذاتي في مسافة بين الجزع والصلاة. قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ) صدق الله العظيم.

وعندما فُجعت الباحة بخبر وفاة أميرها معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم رحمه الله رحمة واسعة، فُجع الكبار والصغار، الرجال والنساء، كان رحمه الله يحمل قلبًا كبيرًا رحيمًا عطوفًا على الجميع ومن أجل الجميع أخًا بارًا بالكبير، أباً للصغير، قضى سنين عديدة من عمره في خدمة وطنه وفي مناطق عدة آخرها منطقة الباحة شغله الشاغل. يطوف أرجاءها، يتفقد ويسأل عن الجميع. تحس وتلمس وأنت بصحبته خبرة السنين وتجربة الأيام التي زادها التواضع الحقيقي والحرص الشديد على إسعاد من حوله جاذبية وإشراقًا، وأثراها العمل من أجل الجميع بالتحقق والنماء.

منطقة الباحة، يعزيني في مصابك الجلل ويواسيني في فقدان أميرك المحبوب أنك رسمت الأمل الذي سعى رحمه الله إلى العمل من أجله. ووصلتِ إلى مصاف المناطق المتقدمة في بلادنا الغالية، فكما كنت معه في قلبه وتفكيره في قربه وبعده، أنت الآن تحملين ذكراه ورغبته الجميلة في التطور والتقدم والقرب مما يود، لقد كان بسؤاله عما تم ومناقشته "وبذاته" لما سيتم بتجربته وحنكته وصبره يضرب نموذجًا فريدًا من نماذج القيادة الناجحة، من هنا أصبحت منطقة سياحية جميلة تغني أبناء الوطن عن السفر خارج الوطن، الشيء الذي لا يمكن أن ينساه أي من أبناء المنطقة حرصه الشديد ورغبته الأكيدة في أن يتولى أبناء المنطقة بعد تزودهم بالعلم والمعرفة مسؤولية الارتقاء بها وإدارة مرافقها - وهل يمكن أن ننسى ذلك

الحزن والألم الذي يرتسم على محياه عندما يتحدث عن مشكلة بعدنا عنك وارتحالنا إلى مواطن الرزق. وإذا كنا نحمل هذه الصورة المؤثرة ذكرى لا تنسى ولا تغيب عن البال، فإن رجال المال والأعمال في المنطقة لا يمكن كذلك أن ينسوا دعوته لهم إلى دائرة النقاش البنّاء ومطالبته إياهم بالإسهام بمالهم وجهدهم من أجل النهوض بمستوى المنطقة، لذلك تحقق بفضل الله ثم بجهده وعمله ومتابعته كثير من الإنجازات في منطقة الباحة وفي جميع المجالات التي لا تتسع كلمتي هذه لتسجيلها، إنما يبقى لنا إضافة إلى الذكرى العطرة والسيرة الحسنة أنموذج نحتذيه في النفس والمعاملة والعمل. رحمه الله رحمة واسعة... و"إنا لله وإنا إليه راجعون".

الجزيرة، العدد ٤٩٤١

التاريخ ١٤٠٦/٧/٣٠هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

ذكريات لا تُنسى مع رجل لا ينسى

بقلم: هشام ومحمد علي حافظ

في الصيف الماضي كنا في بوسطن مع إخواننا وأبناء عمنا نتحلق حول والدنا وعمنا أثناء مرضهما الذي أكرمنا الله جميعاً وشفاهما منه.

وكان المرحوم الأمير إبراهيم بن إبراهيم يجري عملية جراحية في لندن، وبعد أن وصل والدنا من غرفة العناية المركزة كانت أول مكالمة تليفونية تلقيناها من الأمير إبراهيم، وكان لا يزال في لندن في المستشفى، وانتظمت مكالماته كل يوم يسأل عن صحة الوالد والعم.

وكان أول عمل قام به الوالد بعد أن استرد وعيه هو مكالمة الأمير إبراهيم بن إبراهيم رحمه الله للسؤال عنه والاطمئنان عليه، والواقع أن كل واحد منهما كان يريد الاطمئنان على الآخر.

وعند عودتنا إلى الوطن بقينا في لندن عدة أيام وكان الأمير إبراهيم هو وأبناؤه الأعزاء أول من زار الوالد واطمأن عليه.

وفي ربيع عام ١٩٨٥م قام الوالد ومجموعة من أصدقائه من بينهم السيد هاشم زواوي، والأستاذ محمود عارف بزيارة الباحة بدعوة خاصة من الأمير إبراهيم بن إبراهيم، وقبل أن يسافر الوالد إلى هناك تحدث الأمير إبراهيم يسأل عن خالنا المرحوم الشيخ مصطفى زاهد، وطلب من الوالد أن يدعوه باسمه ليكون معهم أثناء هذه الزيارة، فهو لا ينسى أن الخال مصطفى كان من زملاء فصله في المدرسة الابتدائية بالمدينة المنورة، وذهب الخال معهم، وعاد من الباحة، وظل حتى توفاه الله في نهاية العام الماضي وهو يتحدث عن الأمير إبراهيم وعن زيارته للباحة، فالخال مصطفى رحمه الله رجل عادي جداً ولكنه من أصحاب المبادئ والأصول التي تشرّبها من والده جدنا الشيخ محمد زاهد رحمه الله إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، ولذلك فقد مسَّ تكريم الأمير له واحتفاؤه به وتراً حساساً عنده جعله ينفعل لما لاقاه من الأمير وما شاهده في الباحة.

وكنا كلما التقينا بالمرحوم الأمير إبراهيم بن إبراهيم سواء عندما كان وكيلاً لإمارة منطقة

مكة المكرمة في المناسبات المختلفة، أو عندما نلقاه في مجالس العاهل المفدى الملك فهد، يقف معنا ويتحدث إلينا، ويسأل عن أحوالنا، وأحوال الوالد والعم، وهذا هو حاله دائماً مع أبناء المدينة المنورة فهو لا ينسى أيام صباه في طيبة الطيبة، عندما كان والده أميراً لها، وهو لا ينسى أهلها، ويبرُّهم دائماً ويذكرهم بالخير لأنه كان من أهل الخير.

هذه ذكريات قليلة ولكنها لا تنسى عن رجل من رجال الإدارة والحكم في بلادنا لا يمكن أن ينسى لأنه يمثل جيلاً من الرجال، وأسلوباً في العمل والتعامل قلَّ أن يتكرر فهو يجسد معنى الإخلاص لكل شيء، مخلص لدينه، مخلص لمليكه، مخلص لذكرياته وأصدقائه، مخلص لمبادئه.

والذكريات التي أوردناها في مقدمة هذه الكلمة ليست شيئًا خاصًا بنا لأننا سمعنا الكثير غيرها عن المرحوم الأمير إبراهيم، فالذكريات التي لا تُنسى ليست هي ذكرياتنا فقط، وإنما هي ذكريات الكثيرين... صحيح أن هناك علاقة خاصة جدًا كانت تربط بين الأمير إبراهيم ووالدنا وعمنا، لكن فجيعة الوطن في وفاة هذا الابن البار والمخلص من أبنائه، جعلتنا نتعرف ونسمع عن قصة حياة هذا الأمير الجليل الذي يعتبر نموذجاً من النماذج الفريدة والنادرة التي لن تتكرر.

وهكذا الموت "نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد"... ولقد كان الأمير ابن إبراهيم جوهرة من جواهر الإخلاص والوفاء والرجولة... لذلك فنحن لا نعزي أسرته في وفاته، ولا نعزي أنفسنا، وإنما نعزي الوطن كله في واحد من أنبل وأخلص رجاله.

رحمك الله يا إبراهيم، وألهم آلك وذويك وألهمنا جميعاً الصبر والسلوان، وأسكنك الله فسيح جناته جزاء لما صنعت من عمل طيب، وجزاء لسيرتك العطرة، وحياتك الحافلة بالعمل في مجال الخدمة العامة.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الشرق الأوسط، العدد ٢٦٩٢

التاريخ ١٤٠٦/٨/٣هـ

(١٣ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

أبكيك للوفاء

بقلم: موسى محمد السليم

والدنا الكريم... إبراهيم آل إبراهيم

أبا عبد العزيز... أيها الغالي العزيز.

أبكيك للوفاء... وأنت من الرجال القدوة في الوفاء بصلة الرحم والصداقة.

أبكيك للوفاء... وأنت مدرسة من مدارس الوفاء في العمل والنزاهة.

أبكيك للوفاء... وأنت رمز من رموز الإخلاص والوفاء قولاً وعملاً يعرفه كل من قابلك وتعامل معك، أقارب وأصدقاء وموظفين يجدون فيك محبة الأخوة... وحنان الأبوة وعدالة المسؤول... ويقرأون عمق الإحساس... وحسن الإدراك... وصدق المشاعر.

رحمك الله يا أبا عبد العزيز.

كنت حقًا مثالاً للإخلاص والالتزام الواعي طيلة حياتك الوظيفية منذ تحملت مسؤولية العمل في عهود قادة هذا البلد الأشاوس منذ عهد جلالة قائد هذه الأمة وباني كيانها الكبير الملك عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته... حتى عهد رائد النهضة الحديثة جلالة الملك فهد ابن عبد العزيز أمد الله في حياته... فكنت يا أبا عبد العزيز منبعًا من منابع الحكمة والاتزان في التعامل الإداري وحل المشاكل ونشر الطمأنينة والعدالة والمساواة، خدمة ومحبة وإخلاصاً لدينك ومليكك ووطنك، رحمك الله يا أبا عبد العزيز.

كنت حقاً مثالاً للحرص والاهتمام بصلة الرحم وصلة الأصدقاء فكان وجودك في مكة أو الطائف أو الرياض أو الباحة... أو حائل أو أي بلد تحل فيه من أقوى روابط الألفة والاجتماع والزيارة بين أقاربك ومحبيك وأصدقائك، يجتمعون بمعيتك وفي منتداك بمشاعر البهجة والسعادة يأسرهم تلطفك الأخوي الأبوي بزيارة كل منهم في منزله قدر ما يسمح به وقتك... وسؤالك عن الصغير قبل الكبير وعن الفقير قبل الغني فأصبحت حبيباً وقريباً إلى قلوبهم بما منحك الله من دماثة الخُلق وحلاوة المعشر.

رحمك الله أبا عبد العزيز.

كنت قدوة كريمة لأبناء عشيرتك "بني لام" بفروعها الثلاثة، "مغير وفضل وكثير"، وقريبًا إلى قلوب صغارهم وكبارهم وأنت تسير في المحبة والوفاء على نهج والدك الكريم عبد العزيز ابن إبراهيم آل إبراهيم، الذي عرفه تاريخ هذا الوطن رجلاً من أقدم وأعظم وأبرز رجال الملك عبد العزيز رحمه الله، تحملاً للمسؤولية وإخلاصاً للقيادة وإقدامًا وشجاعة نادرة ومعطاءة... فكنت سليل وصاحب فخر وعزة ووفاء... وستبقى صفاتك الكريمة إن شاء الله في أنجالك البررة من بعدك منبع محبة، ودافع عمل لكل خير ونقاء.

وستكون دائمًا في نفوس ذويك ومحبيك قدوة للإخلاص والصفاء.

ولك من كل الذين عرفوا فضلك... ودماثة خلقك وطيب معشرك صادق الدعاء بأن يسكنك الله فسيح جناته ويمطرك بشآبيب رحمته ورضوانه يا أبا عبد العزيز...

الجزيرة، العدد ٤٩٤٢

التاريخ ١/٨/١٤٠٦هـ

(١١ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

رحمك الله يا شيخ إبراهيم

بقلم: عبد الله الخليفي

إمام وخطيب المسجد الحرام

لقد فُجع العالم الإسلامي بوفاة رجل كان من أخلص رجال الدولة وكان من أشد المناضلين لنصرة العقيدة الإسلامية، وكان من أحسن الناس سيرة وأدبًا، ذا عفة ونزاهة وحزم في كل أعماله، وكثيرًا ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل وكان رحمه الله ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ماداً يد المساعدة لهم بحسب استطاعته وكان متواضعًا للصغير والكبير والغني والفقير ومنذ أن عرفته كان يحب البحوث العلمية والاجتماعية. إن معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم منذ أن عرفته كان نائبًا لأمير منطقة مكة قد عرفت فيه الحماس والإخلاص لخدمة هذا الوطن، ونحن هنا لا نجزع من الموت فالموت حق على كل مسلم وكل إنسان في هذه الحياة الدنيا كما قال تعالى في محكم كتابه (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)، وهنا لا يمكنني أن أقول أكثر من قول رحمك الله أيها الراحل الذي عملت فأخلصت للمليك والوطن فإننا هنا لا نملك سوى الدعاء لك بالرحمة والغفران، جزاء ما قدمت من خدمات جليلة وتضحيات موفقة تُشكر عليها، وفي الختام لا يسعني إلا أن أقدم العزاء لنفسي ولأسرة الفقيد ولقائد هذه الأمة جلالة الملك وولي عهده، بوفاة الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم رحمه الله رحمة واسعة.

عكاظ، العدد ٧٢٣٥

التاريخ ١/٨/١٤٠٦هـ

(١١ نيسان / أبريل ١٩٨٦م).

الغالي الذي فقدناه!!

فُجعت بلادنا في وفاة معالي أمير الباحة الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم وما أن أفاق الجميع من هول الصدمة حتى أعربوا عن مشاعرهم وأعطوا صورة قريبة عن هذا الرجل الذي رحل عنهم فجأة... وقد التقت بهم "عكاظ" لتسجيل انطباعاتهم...

رجل عظيم

يقول الأستاذ صالح عبد الله العواد، مدير عام الشؤون المالية والإدارية بإمارة عسير، والذي عمل مع معاليه عندما كان وكيلاً لإمارة عسير: رحمه الله كان يتصف بالحزم المقرون بالعدل وبغير قسوة...

يساعد المحتاج دون معرفة أو واسطة وفي صمت وهدوء... كان لطيفاً في جلساته الخاصة، الجميع عنده سواسية يشعر الجميع بأنه فرد منهم... وكلما حضر جلسة خرج بانطباع أنه كسب صديقًا...

وكان رحمه الله يتميز بقوة الذاكرة لا ينسى شيئًا... وكان دائم الاهتمام بالآخرين وبأحوالهم.

أما في العمل فكان ودودًا يستمع للصغير والكبير ويحرص على وصول الحق لأصحابه... رحمه الله وأسكنه فسيح جناته...

لمسات إنسانية

كما تحدث الدكتور إبراهيم الزيد، وكيل إمارة الباحة، فقال: لحق بالرفيق الأعلى رجل فذ ومسؤول مخلص، له في سبيل أبناء وطنه خدمات وأي خدمات.

لحق بالرفيق الأعلى بعد أن كان بيننا في حماس متدفق باذلاً جهده في العمل البنَّاء والتوجيه السليم... لا يكل ولا يمل... من فعل الخير... والحرص على أدائه... كأفضل ما يكون الأداء... ليس فيما يخص مسؤولياته الرسمية فحسب، وإنما يتعدى حرصه الكبير إلى الاضطلاع بأعمال البِر والإحسان وهو يوجه جاهه من أجل لمسات إنسانية حانية... ذلكم هو الراحل الكبير معالي

الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم رحمه الله رحمة الأبرار وأنزله منازل الصالحين، وهو عرفته الأسرة السعودية جندياً أميناً ومسؤولاً حريصًا على تنفيذ توجيهات المقام السامي نحو كل ما يخدم المواطنين في القنفذة وفي مكة المكرمة وفي عسير وأخيرًا في منطقة الباحة، التي آلمها – كما يعلم الله – فراقه لما له فيها من مآثر تدل بوضوح على طيب معثره وصدق مواطنته.

لقد كانت معرفتي بهذا الرجل العظيم التي تمتد إلى أعماق ماضي حياتنا تقوم على الإكبار للدور الذي كان يضطلع به على جميع الأصعدة، فلم أعرف عنه إلا الصدق مع ربه ومع الآخرين... ولم أعرف عنه إلا الوفاء والنبل والاستقامة التي تدل مجتمعة على معدنه الأصيل وإيمانه العميق بمبادئ الحق والعدل وحب الخير لمن يعرف ومن لا يعرف... وفيما يتعلق بعمله فقد كان الشيخ إبراهيم مثال الصبر والمثابرة وعدم اليأس والحرص على إعطاء كل ذي حق حقه، حيث تمتع بذكاء لماح وخبرة لا تحد في أمور الحياة بصفة عامة وأمور الإمارات وقضاياها ودورها الأمني والتنموي، ولاشك أن رحيله عنا يُعتبر خسارة كبيرة ولا نملك إزاء ذلك إلا أن ندعو الله له بالرحمة والمغفرة وإنا لله وإنا إليه راجعون...

رحم الله أبا عبد العزيز، لقاء سعيه الدائب وحرصه الدؤوب على تحقيق أفضل معدلات الخدمة الصالحة للدين والدنيا، ونرجو الله مخلصين أن يكون ذلك مرجحًا لميزان حسناته يوم يلقى ربه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عكاظ، العدد ٧٢٣٥

التاريخ ١/٨/١٤٠٦هـ

(١١ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

الشيخ إبراهيم في ذمة الله

بقلم: محمد السليمان

قبل أيام فقد مجتمعنا أحد رجالاته الأبرار... فقدنا الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم... فقدنا رجلاً لم ينتظر من خلال مركزه المرموق وتاريخه الحافل بالأعمال الجليلة أن يمتدحه أحد...

ولم يدع فرصة لأحد أن ينتهج أسلوبًا من إيجابيات أو سلبيات العلاقات الاجتماعية، للوصول إليه، لكونه، رحمه الله وأودعه فسيح جناته، قريبًا من الجميع من الصغير قبل الكبير.

توفي بعد خمسة وستين عامًا حافلة بالعطاء ليصل إلى تلك المرحلة من العمر تجعله زميلاً لكبار السن، الرعيل الأول وأبًا لمن هم في عمر الشباب... ولعلي عندما أتحدث عنه أنطلق من وجهة نظر الفئة الأخيرة وهي الشباب...

كان رحمه الله يعيش بطموح وأفكار الشباب من خلال عمله أو تعامله... تحاول أن تحدثه على أنه أب لك فتجده يجذبك لتتبع أسلوب الصديق ببشاشة وتواضع جم...

وعندما يتحدث من منبر عمله كأمير للباحة فإنه يتبع أسلوب الطموح والذي يتحدث من قلبه بحماس الشباب وحنكة الشيوخ... يتكلم رحمه الله عن بناء المجتمع وعن التطور والسياحة والمشاريع السياحية، يطمح لأن يصل جزء من بلاده إلى مراحل متقدمة من التطور يواكب مسيرة التقدم والرخاء العام... يحدثني والده عن أسرة آل إبراهيم وعن تاريخ مجيد مليء بالكفاح والعطاء... ووجدت في شخص إبراهيم رحمه الله ترجمة لهذا العطاء وشهادة حق لهذا الرجل... قليلون هم الرجال المتميزون وقليل هو مزيج الشخصيات في شخص واحد... لقد اعتبرت ذلك الرجل الشهم المتواضع عيّنةً ممثلةً لحقيقة مجتمعنا الكريم الذي يتمثل في أخلاقه المستمدة من العقيدة الإسلامية الغراء ومن طبيعة صحرائه، الشجاعة والإقدام، ومن

نقاء سريرته بالمحبة والكرم والتعاطف والتواد والتراحم... عرفته رحمه الله بشوشًا متسامحًا متواضعًا لله فرفعه في قلوب الآخرين وسكن في منزلة رفيعة بينهم... يُذكر بالخير دومًا ويأنس له جليسه ومحدثه...

مهما قيل ويقال عن فقيدنا جميعاً لا يكفيه ولا يوفيه حقه... وعزاؤنا فيه أنه سيواجه ربه بقلب مليء بالإيمان مؤدياً واجبه تجاه ربه وأمته بكل استطاعته، راجيًا في ذلك عفو الله ورحمته الواسعة... ودعاؤنا وتضرعنا إلى العلي القدير أن يجمعه بالكرام البررة ويغفر له ويرحمه، اللهم وتجاوز عن خطيئاته واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس... اللهم وجازه بالحسنات إحساناً وبالسيئات عفوًا وغفرانًا...

تلك هي دعوانا وشهادتنا لذلك القلب الطاهر رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون...

الرياض، العدد ٦٥٠١

التاريخ ٢/٨/١٤٠٦هـ

(١٢ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

إلى رحمة الله
الصديق الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم

بقلم: علي حافظ

عندما قرأت يوم الثلاثاء الماضي نبأ وفاة الصديق الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أمير منطقة الباحة وكنت في جريدة "الشرق الأوسط" بمكتبي بدار الصحافة العربية في لندن... فوجئت وصدمت لأنني قبل سفري إلى لندن جرى اتصال تليفوني بيننا ووعدته بزيارته في الباحة خلال أشهر الصيف... فوجئت بالخبر وصُدمت فاتصلت بالأستاذ علي صالح السلوك مدير شؤون الموظفين في إمارة الباحة وقدمت له العزاء ولكل موظفي الباحة الذين سعدت بالتعرف عليهم في رحلتي للباحة، وعلمت منه بتفاصيل حادث الوفاة تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة. ومن الأستاذ السلوك أخذت عنوان أكبر أنجاله الشيخ عبد العزيز الإبراهيم في الرياض وأبرقت معزياً له ولجميع إخوانه وآل إبراهيم جميعاً.

عشر سنوات من عمر الفقيد... عصر الفتوة والدراسة أمضاها في المدينة المنورة في كنف والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وكيل أمير المدينة المنورة. وكانت دراسة الفقيد في المدرسة الناصرية أكبر وأشهر مدرسة في المدينة آنذاك، وكان زملاؤه في الدراسة وإخوانه في المدينة كثيرين، منهم الشيخ مصطفى محمد زاهد رحمه الله خال الأبناء هشام علي حافظ ومحمد علي حافظ وإخوانهم، فقد كان يجلس معه في صف واحد في المدرسة الناصرية.

وكنا أنا وأخي السيد عثمان حافظ ممن يزورون الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في أكثر الأيام وكانت الزيارة في أكثر الأوقات بعد صلاة المغرب، وكان الأمير الفقيد فتى يلبس ثوب الفتوة والرجولة وكان في أكثر الزيارات يستقبلنا قبل الدخول لمجلس والده، وأحيانًا نمضي معه مدة في أحاديث الساعة، وتوطدت بيننا وبينه الصحبة والصداقة منذ ذلك الحين، وكان بذكائه وعبقريته وفتوته وطموحه وآماله الواسعة يتابع الأعمال الإدارية وأعمال الإمارة ويدرسها.

وكان دمث الأخلاق، وفيًا راضيًا متواضعًا كريمًا جوادًا لا يتصل به أحد، ولا يعرفه أحد،

ولا يعمل معه أحد، ولا يراجعه أحد، إلا أحبه حبًا جمًا، وأنا وأخي السيد عثمان حافظ وأولادنا من محبيه رحمه الله.

ولما انتقل والده رحمه الله من المدينة، انتقل الفقيد الأمير إبراهيم معه وأسندت الدولة له مناصب قيادية هامة، أولها إمارة القنفذة، ثم وكالة إمارة منطقة مكة المكرمة، ثم مستشارًا لوزير الداخلية، ثم وكيلاً لإمارة منطقة عسير، ثم أميراً لمنطقة الباحة. ولما أُسندت له إمارة منطقة الباحة كنا كلما التقينا به نعيد ذكرى لقاءاتنا بالمدينة المنورة، ويدعونا رحمه الله لزيارة الباحة، وفي لقائنا به في الدار البيضاء بالمغرب بدار سمو الأمير عبد الله الفيصل كرر الدعوة ثم في دار الشيخ محمد رضا زينل عندما كنا في العزاء بوفاته، قال لنا رحمه الله وكنا والمرحوم الشيخ عبد القدوس الأنصاري والسيد هاشم زواوي والأستاذ محمود عارف وأخي السيد عثمان حافظ وعلي حافظ: "إن الدعوة قائمة لكم حتى تزوروا الباحة"، فوعدناه. وعندما حان وقت إجابة الدعوة كان أخي السيد عثمان حافظ مشغولاً بمرض حرمه، وسافر الأستاذ عارف للقاهرة فتوجهنا إلى الباحة الإخوان هاشم زواوي، مصطفى زاهد، عبد الرحمن إبراهيم التركي، علي حافظ، وكان في استقبالنا في المطار وكيل إمارة منطقة الباحة وعدد من الإخوان من موظفي إمارة الباحة. ونزلنا ضيوفًا على الفقيد رحمه الله أربعة أيام محاطين بعنايته وكرمه، وطفنا بكل أنحاء الباحة شمالاً إلى المندق وجبل دوس بزهران وجنوباً إلى بلجرشي وما جاورها في غامد بسيارتين أعدهما لنا لهذه الجولة ورافقنا في الجولات الأستاذ علي السلوك، ويسر الله، وكان كتابي "أربعة أيام في منطقة الباحة".

وكان الفقيد طموحاً متفتحاً قام برحلات عديدة للبلاد العربية، وأوروبا، وأميركا، وفي أواخر السنة الماضية ١٤٠٥هـ التقينا في (كان) بفرنسا وزرته في الفندق وكان في رحلة علاجية لإجراء عملية جراحية في لندن وأعطاني رقم تليفونه، ثم سافر إليها وسافرت أنا لجدة ثم لجنيف ثم إلى بوسطن لعلاج أخي السيد عثمان حافظ، وألمّ بي مرض وأنا في طريق لبوسطن، واشتد في بوسطن وأدى المرض لإجراء عملية لي أزيلت معها المرارة حيث كانت ملتهبة. ولما

عبرنا مرحلة المرض أنا وأخي عثمان، سافرنا إلى لندن وهناك اتصلت بالأمير إبراهيم رحمه الله وكان قد أجرى العملية وشفي وأردت أخذ موعد منه لزيارته أنا والابن السيد محمد علي حافظ وإخوانه، وكنت متعبًا لا أقوى على المشي إلا قليلاً وأصر على زيارتي وكنت في فندق "هيلتون لندن" وزارني مع عدد من مرافقيه رحمه الله وجزاه كل خير.

وقد أحب الباحة وكرس كل جهوده وخبرته ونشاطه للنهوض بها. وفي بضع سنوات جعل منها مدينة حضارية سياحية تلفت الأنظار وتجذب السياح. عُبّدت طرقها بالأسفلت وشُجرت وأضيئت بالكهرباء، وأنشئت بها المستشفيات والمستوصفات ونُسقت حدائقها وغاباتها، وبُني بها استاد رياضي رائع هام، وبُني بها موتيل ليس له نظير وفندق من الدرجة الأولى. وما أشك في أن رحلته هذه التي صار بها حادث الوفاة كانت في خدمة منطقة الباحة التي أحبها وأحب العمل المثمر بها. وكان في كل مناصبه القيادية التي شغلها ناجحًا موفقًا خادمًا للدولة والمواطنين والمليك المفدى بإخلاص وأمانة ونشاط وتضحيات.

وقد كانت وفاته خسارة كبيرة لا تعوض، وألم بنا كثير من الأسى والحزن ولن ننسى أبدًا الأمير الصديق إبراهيم بن عبد العزيز رحمه الله رحمة واسعة، وألهم أولاده وآله وألهمنا معهم الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الشرق الأوسط، العدد ٢٦٩٢

التاريخ ٣/٨/١٤٠٦هـ

(١٣ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

إبراهيم آل إبراهيم كما عرفته!!

بقلم: محمد موسم المفرجي

عرفت الأمير إبراهيم آل إبراهيم يوم كان وكيلاً لإمارة منطقة مكة المكرمة، بحكم علاقة الود والإخاء التي تربطني بشقيقه الصديق الحميم والأخ الوفي "حمود العبد العزيز آل إبراهيم"، وكنا نلتقي في مجالسه... ومناسباته الخالية من مظاهر الزهو والكبرياء والزيف. عرفته فعرفت فيه السماحة... والتواضع... والنبل... والوفاء... كان يشع الخير من محياه... رقيقًا عطوفًا ألوفًا!

كنت في بادئ الأمر "أتحرج" من الذهاب أو البحث عن صديقي "حمود" عندما يكون في منزل شقيقه "الأمير إبراهيم" في الطائف "بحي قروي" في الصيف وأتحاشى السؤال عنه إن لم أجد من أبعثه في أثره ليدعوه! لكن ذلك التحرّج زال... حينما استطاع رحمه الله أن يكسر ذلك "العازل" بروح مرحة ونفس كريمة... وهو يحملني مسؤولية السؤال عن الجميع وزيارتهم... والتواصل معهم بحكم رابطة الأخوة والصداقة. وكنت أجد هذا الشعور النبيل والخُلق الفاضل من أنجاله الكرام "عبد العزيز وخالد وسعود ومنصور ووليد وفهد" الذين غرس فيهم حب الناس وحُسن الاستقبال وسمو الأخلاق. ففي منزله يلتقي بأبنائه وأصدقائه وأقاربه ومعارفه فتذوب جميع الفوارق... وكل شيء يوحي بالألفة والصفاء... ونقاء النفوس بعيدًا عن التكلف... ينضو عن نفسه هيبة الوظيفة ويزيح ستار المسئولية! فهو في عمله ذكي لّماح... بفطرته، يدرك أبعاد القضايا وخلفياتها... يتحدث عنه موظفو إمارة مكة المكرمة يوم أن كان وكيلاً لها، فحينما تُعرض عليه "معاملة" أو "قضية" لمرة واحدة يستوعبها ويحفظ ما اتُخذ عليها من إجراءات. حتى أنهم في ذلك كانوا يطلقون عليه "الكومبيوتر" فكانوا يتحاشون عرض أي قضية ليست مستوفية، حتى الأشخاص أصحاب "القضايا" وإن غابوا عنه زمناً فإنه يحفظ أسماءهم، ويتذكر "معاملاتهم"!

حدث ذات مرة، كان يرقد شقيقه "حمود" في مستشفى الملك فيصل بالطائف لإجراء عملية جراحية... فلم يصرفه عمله أو تلهيه مسؤولياته عن صلة الرحم، ورعاية شقيقه والوقوف معه في "مرضه"! وفي وقت الزيارة... كان الناس يدلفون... فمن بين الزائرين أشخاص من قبيلة تربطهم علاقة جوار مع شقيقه فبعدما ذهبوا تذكر وراح يسأل عنهم ويستفسر وإذا هو يفاجئنا بقوله:

"كانوا منذ زمن يتابعون قضية... تخص قبيلتهم، كثر الجدل والمرافعات حولها، فأحدهم يطالب "بمشيخة القبيلة" والثاني هو الذي يتبنى "قضايا القبيلة" ويسعى لحلها وعلاجها بما يمتلك من الجاه والمعرفة. وهو مقصد جماعته... لكنه يرفض "المشيخة" وهو الذي يمتلك مقوماتها! فالمؤهل لها يعزف عنها... والآخر يركض خلفها"!!

لقد أدرك الجميع من خلال حديثه مدى ما يتمتع به من بُعد نظر كمسؤول يدرك أبعاد الأمور ولا يكتفي بما بين يديه من الأوراق الروتينية والإجراءات الرسمية!!

والمواقف الإنسانية في حياته كثيرة، فلقد كان مقر إمارة مكة المكرمة في قصر السقاف بالمعابدة، وكانت له بوابتان: الأولى من جهة الجميزة، والثانية من جهة حي الملاوي "الفيصلية" وقد أزيلتا منذ سنواتَ!

وكان لكل بوابة "حارس"، وحدث أن أصيب أحد أفراد عائلة أحد الحراس "الخوي" بمرض مفاجئ وهو في مقر عمله، جاءه ابنه يسعى ليخبره بخطورة الحالة ليتدبر الأمر... فلم يجد بدًا من إسعاف "مريضه" وعندما لم يجد من يقوم بالعمل خلفه... أوقف ابنه البالغ من العمر عشر سنوات على البوابة... وحذَّره من السماح بدخول أي شخص ريثما يعود! وذهب في شأنه والغلام يقوم بالمهمة المكلف بها، فوجئ بسيارة فخمة تقف عند الباب وتشير بالأنوار وتطلق "البواري" وكان الوقت بين صلاتي المغرب والعشاء... والسائق يشير إليه ويستعجله في فتح البوابة!

فرفض الغلام، وهو يقول: ممنوع الدخول، ويلح السائق بعصبية... افتح... افتح الباب. لكن الراكب بجواره... يدعو الغلام ويرخي زجاج السيارة للتفاهم معه!! ليزداد الغلام في إصراره وتمسكه بتعليمات والده... بعدم السماح لأحد بالدخول... ويحاوره فيصر على رأيه وموقفه وهو يقول ببراءة: ممنوع... حتى ولو كنت "ابن إبراهيم".

ويضحك "رحمه الله" وهو يقول برقة وأدب "أنا ابن إبراهيم" هل تسمح لي بالدخول أم لا؟! ويستدرك الغلام بذكاء "ابن البادية وفطرته" فلقد كانت سمعة "ابن إبراهيم" قد بلغت حتى الأطفال...!

فيتراجع قائلاً، وهو لا يعرف من هو ابن إبراهيم وكيل إمارة مكة المكرمة...

"إذا كنت ابن إبراهيم صحيح... تفضل"!! وسارع إلى فتح الباب!

فلم يدع رحمه الله الفرصة تفوت... فتوقف ونادى الغلام... وسأله من أنت؟ وماذا جاء بك؟... فأخبره بالأمر كله!! فربّت على كتفه وهو يقول: "بارك الله فيك" ولم ينس بعد أن أنهى المعاملات والقضايا التي جاء من أجل إنجازها، وهو يغادر مقر الإمارة أن يتوقف عند "الحارس الخوي" بعد عودته من إسعاف مريضه... ليسأله... سلامات "عسى خير"!! وليشعره باهتماماته، ويواسيه ويعرض عليه أي خدمة يحتاج إليها!

بمثل هذه الروح كان تعامله... يغلب عليه الجانب الإنساني الذي لا يطغى على العطاء أو يؤثر في العمل. وكان بالإمكان أن يتحول "موقف الغلام إلى قضية، وإهمال وتسيب واتخاذ إجراءات رسمية ضد – الحارس الخوي – ومعاقبته! إنه التواضع من غير تزلف، والحزم من غير صلف"!!

وفي الفترة الانتقالية ما بين عمله في إمارة عسير كان يختار الموظفين ذوي الكفاءة والسمعة الحسنة، فهو صاحب نظرة ثاقبة، وإحساس دقيق وذلك في بداية تأسيس "إمارة عسير"! وهو يوجه حديثه لشقيقه "حمود" إذا كان الأخ محمود... يرغب العمل معنا... فنحن نرحب به... وعندما اعتذرت إليه شاكرًا ومبديًا بعض "الظروف"! قال: "هذا جهاز جديد

ومستحدث والفرص الوظيفية فيه مهيأة... إذا أثبت الموظف كفاءته وجدارته"!

فباعدت بيننا الأيام، فلم نعد نلتقي إلا لمامًا... وانتقل "أميرًا للباحة".

فالتقيت به في مدينة أبها في تغطية صحفية "لمدينة باحص السياحية" والتي افتتحها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل قبل بضع سنوات. ولم ينس أن يداعبني إذ جاء مدعواً في هذه المناسبة، وهو يقول "أردناك في يوم من الأيام في عسير موظفاً... وإذا بك تأتيها صحفيًا!! لا تنس أن الصحافة ذات دور هام ورسالة وطنية وقومية"!

لقد كان رحمه الله صاحب سيرة عطرة واستقامة، حريصًا على حقوق الآخرين ومصالحهم، كان نزيهاً عفيف اللسان، وكان يملأ كل منصب يكلّف به، وكل مسؤولية تناط به. إنه مثال للوفاء، والإخلاص ومحل للثقة، أدى واجبه نحو أمته ووطنه بكل أمانة.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وصادِق العزاء لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وسمو ولي عهده وإلى أبنائه، وأسرته وإلى صديقي وأخي "حمود" وإنا لله وإنا إليه راجعون!

الندوة، العدد ٨٢٤٤

التاريخ ١٤٠٦/٨/٥هـ

(١٥ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

الفقيد الغالي
معالي الشيخ إبراهيم عبد العزيز بن إبراهيم
أمير منطقة الباحة

بقلم: الدكتور فهد العرابي الحارثي

بقلوب يعصرها الحزن والألم يتبادل المواطنون في منطقة الباحة التعازي الحارة في فقيدهم الغالي، معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم، أمير منطقة الباحة – رحمه الله – الذي أعطوه عميق الحب وخالص الوفاء... بعد أن منح المنطقة وأبناءها حبه الكبير، مترجمًا بالعمل الصادق الدؤوب والعطاء المتواصل المثمر، طيلة سنوات حياته الحافلة التي أمضاها أميرًا على المنطقة، حتى تحقق لها الكثير والكثير مما جعلها تأخذ مكانها المناسب بين مدن ومناطق المملكة، بعد أن كانت في بداية توليه لإمارتها (١٣٩٨هـ) عبارة عن مجموعة قرى لم تأخذ بأسباب التقدم الحضاري، فلا تخطيط، ولا تنظيم، ولا شوارع ولا مشاريع.

ومن الإنصاف أن نذكر ما قام به معاليه – رحمه الله – مع بداية عمله كأمير لمنطقة الباحة من جولات تفقدية شملت أجزاء الباحة من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها... حيث لم تثنه – حينذاك –رداءة الطرق وصعوبة التجوال وتعب المشوار لهدف واحد هو الاستماع إلى متطلبات المواطنين والتعرف على الاحتياجات الأساسية عن كثب، وانطلق – رحمه الله – بجهد المخلصين وعزم الصادقين في تغيير الأمور وتحسين الأوضاع، إذ كان يتابع بنفسه كل صغيرة وكبيرة في شؤون المنطقة من خلال اتصالاته المستمرة بالمسؤولين ودعوته لهم لزيارتها لمعرفة احتياجاتها، ومصاحبته لهم إلى أقرب المواقع وأبعدها ليلاً ونهارًا لإبداء الملاحظات السديدة. ولن أستطرد في تفصيل ذلك، فما نُفذ على ثرى الباحة لخير شاهد ودليل على ذلك، بما يؤكد الحرص الشديد والاهتمام الكبير بتطوير المنطقة، فبعد أن كانت حُلمًا تحققت إلى واقع ملموس.

لقد كان معالي أمير منطقة الباحة - رحمه الله - مثالاً للخُلُق الرفيع والتواضع الجم والتقوى والصلاح وحب الناس.

لقد كان إنسانًا واعيًا بما تحمله هذه الكلمة من معان... فرغم تعدد مسؤولياته إلا أنه العارف الخبير بكل مجريات الأمور في المنطقة ملماً بكافة جوانبها فمن يتحدث مع معاليه حول مشاريع المنطقة يزوّده بالأرقام والأعداد والمسميات دون الرجوع إلى الأوراق والملفات، مما لا يدع مجالاً للشك في اهتمامه العظيم بالمنطقة وما يدور على ثراها. وهو فوق ذلك الإداري الناجح البارع، ويكفيه أن سمو الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير قال بأنه استفاد فن الإدارة في أعمال الإمارة من الشيخ ابن إبراهيم وهذه شهادة صريحة من رجل قدير.

وفي هذا السياق أذكر أن أحد الصحفيين المصريين وهو موفد من مجلة "العربي" الكويتية أخبره بأن الناس هنا يتحدثون عن أسلوب معاليه الجيد في فن الإدارة إلى جانب تفانيه في خدمة المنطقة وغير ذلك... وأجاب معاليه - يرحمه الله - بقوله ربما سمعتم ذلك ممن ينظرون إلينا بعين الرضا... فكانت إجابة الصحفي بأن الجميع إذن ينظرون إلى معاليكم بعين الرضا.

اليمامة، العدد ٩٠١

التاريخ ٧ شعبان ١٤٠٦هـ

(١٦ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

دمعة حزن

بقلم: عبد الله العبد الرحمن البراهيم

الرياض - وزارة الداخلية

"دمعة رثاء على الفقيد الغالي المرحوم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الإبراهيم".

ضواحك "وادي العش" أمست بواكيا وأسفر من حزني الذي كان خافيا

طواك بوادي العش سيل من الردى ونادت قلوب، هل تجيب المناديا؟

وكدت لهول الخطب أهزأ بالذي يُنبئُني، بل كدت أردي النواعيا

ألا أنها الأقدار تعصف بالحجا وتمضي لتغتال النفوس الغواليا

حنانيك كم فاضت دموع زكية عليك فأذكت في النفوس المآسيا

وكم أدمع حرّى أمضت بلذعها حنايا صدور ثم سالت جواريا

هي البلسم الشافي، فما بالها أبت شفاءً: أليس الدمع للهم شافيا؟

لقد أضحت الأجفان قرحى من البكا ونعجز حتى أن نرد التعازيا

وبِتُّ أرد الدمع والدمع غالبي كأني بجسمي اليوم صار مآقيا

أَعمّاهُ لو يجدي فداء من الردى وهبت وحيدي ثم نفسي وماليا

ولكنه أمر الإله وحكمه وأَنعِم برحمان العوالم قاضيا

فتى كلما همت هموم قبيلة أفادك رأياً في الدياجير هاديا

جواد كأن الجود في أصل خلقه يهيب به حتى ينيل الأمانيا

(وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا)

تفجر إخلاصاً لأجل بلاده ... يرود لها شم الذرا والمعاليا

شديد مراس لا تلين قناته ... يرد الظبا عنه ويصمي الأعاديا

همام يجوب السهل في كل مطلب ... عزيز ويرقي للمعالي المراقيا

يسوس القضايا في نفاذ بصيرة ... كأن القضايا تستحي أن تعاديا

إذا رام أمراً جرد العزم قاطعًا ... وأسرج للجلى العتاق المذاكيا

تخلى عن الدنيا وعاف حظوظها ... وها هو ذا أمسى من الهم خاليا

سيذكرك الأحباب ما ذرَّ شارق ... وتلبث نيران القلوب كما هيا

أزاحوا عن الوجه الصبيح غطاءه ... فأشرق بالتقوى ينير الدواجيا

يضرجه زاكٍ من المسك طيب ... يضوع كزهر الروض ريان صافيا

قضيت غريقًا تجرع الكأس صابرًا ... فطبت شهيدًا عند ربك راضيا

ألا في سبيل الله أكرم والد ... نزلت رياضًا في الجنان حواليا

ويا قبره بالعود مني تحية ... سقيت دموعًا برة وغواديا

الجزيرة، العدد ٤٩٤٩

التاريخ ٨/٨/١٤٠٦هـ

(١٨ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

"أنتم شهداء الله في خلقه"

بقلم: سعد عبد الله المليص

الأمين العام لجمعية البر الخيرية - الباحة

"إلى فقيد الإنسانية والوطنية معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أمير منطقة الباحة ورئيس جمعية البر الخيرية بالمنطقة".

رحمه الله بقدر ما كان محبًا للخير، وبقدر ما كان متواضعًا عطوفًا حليمًا كريمًا، وبقدر ما كان مواطنًا صالحًا ومسؤولاً أمينًا... عرفنا الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم كما عرفه كل مواطن على هذه الأرض المنجاب من خلال تعامله الناجح مع مسؤولياته الوطنية وتفانيه فيها، فلقد ارتبطت حياته كلها بخدمة دينه ووطنه ومليكه متنقلاً بين مواقع المسؤوليات الوطنية الكبيرة فكان نِعم المسؤول ونِعم المؤتمن.

هذا الرجل وعى الماضي بمعطياته وساهم في صناعة الحاضر وإنجازاته، يعطي المستقبل همه وفكره ويرسم ملامح الجيل المتجدد في ذاته بممارسة التوثق من التغير المفيد والإسهام في قيادته، فهو رجل عاش الماضي وشهد الحاضر وأسهم في تهيئة الروابط واللحمة بين الجيل وواقعه في روح ملتزمة بأصالة الأمة ومعاصرة التقدم والحداثة، فهو بقدر ما كان يعيش التحضر فكراً وأسلوب حياة كان في ذات الوقت شديد الارتباط بالماضي وتراثه ومعطياته فنفسه ترتاح لزيارة بدوي في بيت شعر، وذاته وعقله يطربان لعلوم العرب التقليدية، فبقدر ما يعمل عقله في الحاضرة ليبني بها من موقعه ومجتمعه، فإن قلبه وأحاسيسه تستكين للماضي وأصالته.

والإنسانية فيه رحمه الله نبع يفيض به وجدانه، وتمتلئ به أحاسيسه، فكانت فيه استرسالاً دائمًا في البر وحسن الخُلق، فضائل تكاملت في شخصه وتوفرت فيه أسباب القدرة على أعمال فضائلها فكانت ذكرى معطرة يتناقلها شهود الله في أرضه.

والرجولة كما هي موقف والتزام لا تموت وإن مات من اتصف بها لأنها الفضيلة الدائمة،

والفضيلة لا تموت، والموقف صناعة القدرة على فعل المنجزات وتناول الأهداف الكبيرة والالتزام هو صناعة النفس وترويضها على امتلاك المقدرة في الذات وعليها تكييف الطباع والنزعات مع طبيعة الدور ومحتوى المسؤولية وأخلاق الجماعة وفضائل المجتمع. وامتلاك موقع السنام من الرجولة ليس الأمر الهين لأنه أكبر من أن يكون مجرد قدرة على الإنجازات حتى ولو كان كبيرة، ولكن ذروة الرجولة أن يرى الإنسان نفسه في أعين الناس ويراه الناس في مشاعرهم كبيرًا بحجم الأمل، محبوبًا بقدر الناس وفيًا بقدر الوفاء نفسه. والشيخ إبراهيم رحمه الله وقف من الرجولة على هامتها وكسب ذروتها، وفي مواقفه شهادة الوطن وفي التزامه شهادة المواطن وكلا الشهادتين حجة قاطعة أمام عدالة التاريخ.

والرجل كان أهلاً للمسؤولية والقدرة على الإنجاز، كما تبرز ذات الحقيقة في توافق شخصيته مع مركز العمل وانسجام أخلاقياته مع مستلزمات المسؤولية كطبع متأصل في ذاته، فالطبع الأصيل فيه شهادة الناس.

كانت أعمال البِر تحتل مساحة واسعة في عقله ووجدانه عن إدراك بأنها صلة الترابط والتكاتف في مجتمع الإسلام فأخلص لها عن احتساب وعمل من أجلها عن قناعة بأنها الواجب.

والرجل رحمه الله وفيٌّ بقدر ما نحن أوفياء له أو لنقل أوفياء لفضائل جمعها ورعاها في ذاته، ووفاؤه عنوان مبادئ يتمسك ويؤمن بها ويتجلى منه الوفاء في أكثر من موقف يصعب حصرها، غير أن أحدث الشواهد زياراته لمن جمعتهم بأبيه رفقة عمر وزمالة مسؤولية متفقدًا لأحوالهم وما ذاك إلا انعكاس لحقيقة الرجل وطيب معدنه.

عرفته في كل أموره جادًا مقدرًا لأهمية الوقت وصرفه فيما ينفع وطنه ودينه متعاليًا عن الهزل يعظم الحكمة ويمجد تاريخ الأمة وينفعل للبطولة والأبطال كشيمة عربية. يكبر الرأي ويحترم الفكر ويدني صاحبها، يمج الإطراء ويحسبه تملقًا وزيفًا وتصنعًا.

والرجل جليل بقدر ما يحترم الإنسان في إنسانيته ويعامل الناس كلاً بما هو أهل له. وفي

ما عدا لحظات محاسبة النفس فإن مجلسه عامر بالناس وقلبه مفتوح لهم وعقله موجه نحوهم يتفاعل مع أفراحهم وهمومهم وآمالهم.

ولا غرابة فالرجل اختط مبادئه من تاريخ أمته العظيمة، ووجد في رجالها القدوة والمثل، فلم يعوزه كثير طلب عند طلب القوة رحمه الله.

والرجل لاقى وجه ربه وفارق الحياة ومحبيه، غير أنه لم يذهب معه بذكراه العطرة فهي ثمرة من يعلم أن الرجال لا يرحلون وإن فارقوا الحياة مات الرجل ومشاعر الرجال الذين يعترفون بجميل الخصال، وفعال الرجال كلمى متألمة، صدى الذكرى الوفية لأفعاله وأعماله وأخلاقه وتعامله.

مات الرجل ومن يعرف معادن الرجال فريسة حزن مستبد لحدث وفاته المفاجئ يتبادلون العزاء وكلهم بموته مصاب.

وصادق العزاء أرفعه لمقام حضرة مولاي صاحب الجلالة الملك المفدى وولي عهده في رجل صدق الولاء وأحسن التعامل وأدى الأمانة مقرونة بأعمق المواساة لأبناء وذوي الشيخ إبراهيم ابن عبد العزيز بن إبراهيم. غفر الله له. وجعلهم خير خلف لخير سلف.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الجزيرة، العدد ٤٩٥١

١٠ شعبان ١٤٠٦هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

(تكرر نشرها في "الرياض" و"الشرق الأوسط")

الرجل الذي فقدناه

بقلم: عباس مصطفى سحلي

عرفت الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم "رحمه الله تعالى" منذ زمن بعيد، وتوطدت تلك المعرفة عند انتقالي قبل ما يزيد عن خمسة عشر عاماً للعمل بمنطقة الجنوب في الفترة التي كان يضطلع فيها رحمه الله بوكالة إمارة منطقة عسير.

عرفت الرجل – كما عرفه الجميع – بالحكمة وبُعد النظر وحُسن القيادة، متوَّجة بالتواضع ودماثة الخلُق... كان متواضعاً في حزم، وحازماً في تواضع، كنا إذا لقيناه في منزله بدا كأي منا تواضعًا وبشاشة ومرحًا، وإذا ما التقينا معه في أروقة العمل أو المحافل الرسمية فتتراءى للجميع قوة الشخصية والالتزام التام في الأسلوب والتعامل المبني على الاحترام والهدوء والحنكة القيادية.

كنا نقضي مع معاليه معظم الأوقات وأجملها... فمنزله العامر كان ملتقانا الاجتماعي الدائم... يجتمع فيه الزملاء والأصدقاء للتباسط وتجاذب الحديث برهة... ولنقاش بعض أمور مشاكل العمل برهة أخرى... وللحق فقد كان لمجلس معاليه الأثر الكبير في خلق روح التعاون بين مديري القطاعات المختلفة وفي تعميق قنوات الاتصال غير الرسمية وتوطيد العلاقات الأخوية بين الجميع... مما أثر بشكل إيجابي في الإنتاج والعطاء.

وبعد أن كُلف معاليه بإمارة منطقة الباحة... أسعدني الحظ أن أعمل معه لفترة وإن كانت قصيرة في مدتها ولكنها لا تزال وستظل ذكراها الطيبة عالقة في نفسي. ففور تولي معاليه منصبه الجديد... عزم كعادته على إعطاء دفعة قوية لكافة الخدمات بالمنطقة... فكان أن قرر المسؤولون بوزارة البرق والبريد والهاتف تكليفي بتأسيس منطقة الباحة للبرق والهاتف السعودي لتساير بخدماتها بقية الخدمات الأخرى التي بدأت في الانتعاش بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل جهود أميرها المخلص، الذي كان يبذل قصارى الجهد لتنفيذ توجيهات حكومة جلالة الملك المعظم الهادفة إلى إسعاد المواطن ورفاهيته في كل مدينة وقرية في هذا

البلد الطيب.

قضيت ما يربو على تسعة أشهر في منطقة الباحة في ضيافة أميرها، تمكنت خلالها من تأسيس المنطقة على أحسن وجه "ولله الحمد" وما كنت لأستطيع ذلك في تلك الفترة الوجيزة لولا توفيق المولى عز وجل ثم مساعدة معاليه ودعمه المتواصل الذي ذلل لي الكثير من المصاعب التي واجهتني، ولاحتجت إلى سنوات لإنجاز ما تم... كان غفر الله له يناقش كل مسؤول من مسؤولي المرافق عن عمله بكل دقة ودراية وكأنه هو المسؤول نفسه يعلم الكثير من مشاكل كل مرفق... يتابع ويوجه... ويوجد الحلول لما يستعصي من المشاكل، فجعل بذلك كل مسؤول يتعامل معه بوضوح تام لعلمه بسعة إطلاع وإدراك معاليه وثقته في مؤازرته ودعمه.

كان رحمه الله كريمًا يحرص أن نشاركه مائدته في أغلب الليالي ويتفقد الجميع ويلوم من يتأخر بدون عذر... كان يشارك الجميع أفراحهم ويواسيهم في أحزانهم.

إنني لو أردت أن أذكر ما عرفته عن الشيخ إبراهيم البراهيم فلن تكفي هذه السطور ولا الصفحات... ولو أردت أن أعدد مناقب الرجل لاحتجت لأكثر من ذلك.

ولكن يكفيني أن أقول إنه كان رجلاً عظيمًا في حياته وبعد مماته، وحسبه أنه عمل لدينه ومليكه ووطنه ومواطنيه بكل جد وإخلاص، وأنه أنجب لهذا الوطن رجالاً سيحيون بإذن الله ذكره من بعده لأنه قد حرص على أن يكونوا مزودين بالعلم والأخلاق الفاضلة فقد عرفتهم جميعًا وعرفت فيهم طباع وأخلاق والدهم رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء.

عكاظ، العدد ٧٢٤٨

١٤ شعبان ١٤٠٦هـ

(٢٤ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

فقيد جليل

بقلم: مصطفى حسين عطار

فُجعت كما فُجع غيري كثيرون من النبأ الفاجع الذي أذيع ظهر يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رجب بوفاة معالي الشيخ الجليل إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أمير منطقة الباحة في حادث سيارة رحمه الله... لقد كان الشيخ إبراهيم ملء السمع والصبر وحاضرًا في الذهن والعين والقلب... لما حباه الله من دماثة في الخُلق... وتواضع في الطبع... ورغبة عارمة في عمل الخير... والأريحية الندية... والوفاء الذي يليق به وبأسرته العريقة لذلك فقد كان فقده فجيعة لمحبيه... ولكل محب لمكارم الأخلاق... ولمن يتصف بها... ويجعل حياته تطبيقا عملياً لها بعيداً عن أي تكلف أو تصنع... وقد كان فجيعة لأنه رحمه الله من بقية الناس الذين لم تغيرهم الأيام... بل زادته تعلقًا وتمسكًا بالتواضع... والكرم والأريحية... وبذل الجاه وصناعة المعروف... زادته تألقًا وإصرارًا على القيام بعمله الرسمي بأسلوب إيجابي. أثر عن هؤلاء الصفوة من الولاة الأمراء، يجمعون ولا يفرقون... يصونون وحدة هذا الكيان بعقيدة التوحيد... وشريعة الإسلام... وتطبيقات الملك الإمام عبد العزيز رحمه الله وخلفائه الملوك... وممثليهم من الولاة المخلصين.

فالشيخ إبراهيم الإمارة عنده تكليف لا تشريف... ورسالة وأمانة أعطاها من ذات نفسه وكل وقته فلم يتقيد بدوام في قيامه بمهام عمله... بل كان متواجدًا على الدوام... ورهينًا لواجبات الوظيفة سواء أكان في مكتبه أم في منزله... أم في منتزهه؟!

لقد عرفته رحمه الله منذ أكثر من ثلاثين عامًا حينما كان يرتاد منزل سماحة الشيخ عبد الله ابن حسن آل الشيخ رئيس قضاة المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة بالدوادية... فقد كان سماحة الشيخ ابن حسن حفيًا به لأن والده الأمير الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم أحد أصدقائه المعدودين الذين يجلهم ولأنه زميل لابنه فضيلة الشيخ محمد بن حسن رحمه الله وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن حسن وزير المعارف الأسبق وإمام المسجد الحرام، ولأنه كان

يحضر درسه ما بين العشاءين مع ابنه الشيخ عبد العزيز والشيخ حسن وزير التعليم العالي. لقد عرفته رحمه الله منذ ذلك الوقت فعرفت فيه حبه للعلم والمعرفة شغوفًا بالقراءة واقتناء الكتب... وصديقاً للكثيرين من رواده في بلادنا... فقد تعرف على أكثرهم من خلال مجلس والده الأمير الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم وكيل أمير المدينة المنورة، وأحد أخلص وأنزه وأحزم رجال الملك عبد العزيز رحمهم الله أجمعين. ومن خلال علاقاته الشخصية... ومناصبه الرفيعة التي شغلها... وما كتب عن معاليه من رواد الأدب والصحافة هو غيض من فيض... يؤكد ما كان يتمتع به الفقيد الجليل... من مكانة رفيعة وعلم وثقافة وفضل. وأذكر أنه حينما صدر كتاب **العدالة الاجتماعية في الإسلام** للكاتب الإسلامي الشهيد سيد قطب في طبعته الأولى قبل أكثر من ثلاثين عاماً... فحدثته رحمه الله عن الكتاب معجبًا به وبمؤلفه... أقرّني على ثنائي، غير أنه أخذ على الأستاذ سيد أنه وصف السيدة الصحابية الجليلة هند بنت عتبة رضي الله عنها بأوصاف لا تليق وهي تلوك كبد حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ حينما استشهد رضي الله عنه في أُحد...

وكان كتاب **العدالة الاجتماعية في الإسلام** من بدايات كتب الأستاذ الشهيد سيد قطب الإسلامية مع كتابه **التصوير الفني في القرآن** وقد أزيلت تلك العبارات من الطبعات التالية... وبلغ سيد قطب رحمه الله ذلك الشأو العظيم واضعاً لتفسير جليل للقرآن الحكيم... شهيدًا في سبيل الحق... ودعوة الإسلام.

وتوثقت الصلة بمعاليه رحمه الله حينما كان يعمل نائبًا لأمير منطقة مكة المكرمة وكنت أعمل مديرًا للتعليم بمكة المكرمة... فقد وجدنا منه العون والدعم لحبه للعلم وطلابه ورجاله... وكانت تجد قضايانا من اهتمامه الكثير والكثير جدًا... ولا أذكر أننا دعوناه لحفل مع سمو أمير المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير المعظم مشعل بن عبد العزيز وتخلف عنه تشجيعاً لأبنائه الطلاب... وتقديرًا لمعلميهم. ولّما دعاه نداء الواجب لينتقل لموقع آخر كنائب لأمير أبها لبّى النداء وشارك أميرها الهمام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل في تحمل مسؤوليات

تطوير منطقة عسير وحسبنا شهادة الأمير خالد الفيصل له المنشورة في "عكاظ" حيث قال سموه: **لقد تعلمت فن الإدارة من الشيخ إبراهيم**، إنما عبارات مضيئة تشرق بالوفاء... وتعلو بالصفاء وتعلن الثناء شأن الرجال الكبار لا يبخسون الناس أقدارهم... يضمخون حياتهم بمكارم الأخلاق... ويثرونها بما يؤكد الولاء... ويدعم الصلات.

ومرة ثالثة... رأت قيادة هذا البلد الطيب أن تختاره... لموقع هام وقطعة عزيزة من هذه البلاد الفاضلة ليتولى إدارة دفة سفينتها... في مرحلة تطويرية هامة تمر بها المملكة حيث بدأت خطط التنمية الطموحة تبعث بعطائها لتعم كل أنحاء المملكة من شمال وجنوب وشرق وغرب... وتحمل الرجال مسؤوليات ومهام ثقيلة... فاختارت الشيخ إبراهيم البراهيم ليتولى مسؤوليات إمارة الباحة فكان عند حُسن ظن قيادته وولاة الأمر ونهض بمسؤوليات الإمارة كأفضل ما يكون واستغل دعم الدولة رحمه الله أحسن استغلال، فبرزت المشروعات العملاقة تفرض وجودها بحيث تغيرت صورة المنطقة فشُقّت الطرق وأُزيلت العقبات... فربطت مناطق الجنوب والجنوب الشرقي بطرق برية ضخمة وظهر المطار الضخم ليكمل حلقة العبور إلى العالم الخارجي جوًا... ونهضت السدود العملاقة لتحجز مياه الوديان التي تصب من الشعاب والجبال الشاهقة... لتتسع الرقعة الزراعية... وتتضاعف مساحاتها... ولتفرز مياه الآبار الجوفية، وحسبنا أن بلغت السدود في منطقة الباحة اثنين وعشرين سداً ضخماً موزعة على الوديان ومساقط المياه أتت بمردود عظيم لمسه الجميع. وهذا كان من آرائه النيرة أنه بجانب الاهتمام الكبير الذي تلقاه مشاريع التحلية من الجهات المختصة في الدولة... يحسن أن نحتفل ونهتم ذات الاهتمام بإقامة السدود لفوائدها الجمة... ومردودها الضخم على المدى الطويل ولاستغلال ثروة كبيرة لا تُقدر بثمن يُنعِم بها رب العزة والجلال...

ولقد حدثني الأستاذ سعيد أمين مدير عام مشروع المطارات... أن الوفد الصحفي والإعلامي الأمريكي الذي زار منطقة الباحة قبل عامين قد ذُهل من ضخامة المشروعات في المنطقة... كما أُعجب بالمستشفى الكبير الذي أنشئ هناك وتجهيزاته الحديثة. وقد تحدثت الصحف

وهي تغطي أنباء وانطباعات الوفد الإعلامي الأمريكي في حينه وزودتـه بالصور الواقعية الفوتوغرافية.

وإننا مهما ذهبنا نتحدث عن الفقيد العزيز وإنجازاته الكبيرة... وخُلقه وحُسن شمائله... ومواقفه الإنسانية النبيلة وعطائه الخير... فلن نفيه حقه... ولا نملك له ولأمثاله الرجال الذين نذروا أنفسهم لخدمة بلادهم... وكانوا عنوانًا بارزًا... وصورة مشرقة... لخلق هذا البلد الطيب وأسلوب تعامله الرفيع البعيد عن التعالي والتنفج...

ولا نملك إلا الدعاء لهم بأن يتولى الله تعالى مثوبتهم... وأن ينزلهم منازل الصادقين الأبرار من جنات الفردوس حيث النعيم المقيم... والعوض الجزيل.

عكاظ، العدد ٧٢٥١

التاريخ ١٧/٨/١٤٠٦هـ

(٢٨ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

ألا رحمك الله يا أبا عبد العزيز

بقلم: الشريف خالد حسين آل زيد

فُجعت والكثيرون غيري من محبي معالي الشيخ إبراهيم عبد العزيز البراهيم بحادثة وفاته... عظم الرزء وفداحة الخطب في سماع النبأ وقناعة الإيمان وبرد الصبر في تجلدنا بعد سماع النبأ.

عرفته عندما كان وكيلاً لإمارة أبها منذ خمسة عشر عامًا خلت كنت وقتها منتدَباً من قبل وزارة المالية ضمن لجنة كُلفت بمهمة بمدينة أبها. كان بيته هو المدينة والمدينة بيته. جُل أوقاتنا في بيته العامر ننعم بكرم ضيافة وقلب كبير... يخجلك بتواضع العالِم... ويسعدك بحديث المثقف... أجمل أوقاتنا عندما نكون في معيته في شتاء أبها القارس نلتحف بجميل شمائله وحديثه العذب الهامس... أو في خارج أبها بين الحقول والأودية الجميلة يحفنا شذا أريحيته وكرمه الفياض... كان حلو المعشر... لا تمل لحديثه سماعاً يأسر سامعيه في هيبة ووقار وعمق مشاعر.

كان رحمه الله يحافظ على مشاعر جالسيه يعطي كل ذي حق حقه من التقدير والاحترام... للصغير قبل الكبير في تواضع ومحبة جعلت مجلسه محجة القوم ومزارهم.

حقًا إن الفقيد عظيم والخسارة كبيرة لكل من عرفه عن قرب.

رحمك الله يا أبا عبد العزيز فقد كان رحيلك لوعة وحسرة في قلوب محبيك وعارفيك... وتلك سُنَّة الله في خَلقه ولا مرد لقضائه... وليس لنا إلا أن نرفع الأيدي في ضراعة أن يجعل مثواك جنات النعيم مع الصدّيقين والشهداء وحَسُنَ أولئك رفيقًا... وألهمنا وأسرتك المكلومة الصبر والسلوان... ولا حول ولا قوة إلا بالله... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الجزيرة، العدد ٤٩٦٦

التاريخ ١٤٠٦/٨/٢٥هـ

(٥ آيار / مايو ١٩٨٦م)

ابن إبراهيم كما عرفته!

بقلم: علي عيسى

الداعية المسلم والمشرف على دار

الرابطة الإسلامية بتايلاند

الأخ الكريم عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

الأخ الكريم خالد بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

حفظهما الله وألهمهما الصبر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

ففي غمرة الأحزان التي لا تزال تغشى قلوب الآلاف من الأقارب والمحبين وعارفي أقدار الرجال للمصاب الجلل والخطب الفادح والفجيعة الكبرى التي أصابتهم جميعًا، بوفاة رجل المروءة والإنسانية والمكرمات والدكم معالي الأمير الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم - طيَّب الله ثراه - أبعث إليكم وإلى جميع إخوتكم وسائر أفراد آل إبراهيم بهذه الرسالة المتواضعة من هذه البقعة النائية في جنوب شرق آسيا معزياً ومواسيًا:

فلله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأَجَل مسمى.

وأعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم وأسكن الفقيد الغالي فسيح جناته، إن الموت نهاية كل حي والقدر المحتوم الذي كتبه الله على كل مخلوق وهكذا حال الدنيا وكلنا إلى هذا المصير وسبحانه الدائم الباقي.

لقد عدت إلى العاصمة بانكوك بعد فترة غياب عنها قرابة ثلاثة أشهر قضيتها في جولة للتوعية الإسلامية بالولايات الشمالية والشرقية والجنوبية من تايلاند، وسافرت خلالها إلى ماليزيا وسنغافورة وعند مطالعتي الصحف والمجلات العربية التي حُرمت من قراءتها في تلك الفترة أُصبت بذهول عندما علمت بنبأ انتقال والدكم إلى الدار الآخرة في كلمة الرثاء التي كتبها محبكم سعادة الأخ النابه الدكتور فهد العرابي الحارثي المشرف العام على مجلة

"اليمامة" الغراء.

إن الموقف الإنساني الذي كتب عنه رئيس تحرير "اليمامة" قد يكون واحدًا من مئات المواقف التي قام بها والدكم العظيم في حياته، الحافلة بجلائل الأعمال بدافع من قوة الإيمان ونقاء الفطرة وعلوِّ الهمة وصفاء السريرة...

وهذا جعلني أُصاب بذهول جارف وأشعر بحزن عميق لم أعهده في نفسي عند فقد عظيم أو رحيل حبيب أو قريب.

لقد عرفت والدكم - طيّب الله ثراه - فعرفت فيه نموذجًا فريدًا من الرجال جمع من المكارم والسجايا والمواهب الفذة ما يجعله من عظماء الرجال، وإن مصيبة الوطن في فقده لا تقل عن مصيبة محبيه وعارفي فضله...

والمــوت نَـقّـاد على كَـفِّـهِ ... جَـوَاهِـر يَـخـتَـار منها الجياد

حسبي وقد لا أكون آخر المعزين أن أذكر لكم موقفين من مواقف المروءة والإنسانية التي كانت صفة بارزة في سجايا الراحل العظيم.

الموقف الأول: كلفني - طيّب الله ثراه - بأن أتصل بأحد مكاتب تصدير الأيدي العاملة ببانكوك لحاجة إمارة الباحة إلى عمال نظافة وبحثت له بنفسي عن عمال مسلمين، وكان من بينهم شاب مسلم متفتح الذهن اسمه التايلاندي المثبت بجواز سفره "برأيون مادلا" واسمه الإسلامي "يحيى عبد الكريم" ولم يكن يدور في خلد العامل البسيط يحيى عبد الكريم أن عمله مع الكرام سيصل به إلى هذه المرتبة.

فقد لمس الراحل العظيم تفتح ذهنية الشاب، ولمس في نفسه رغبته للدراسة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبادر بالكتابة بشأنه إلى نائب رئيس الجامعة الإسلامية وكان حينذاك فضيلة الدكتور عبد الله الزايد وسرعان ما تحول "يحيى عبد الكريم" من عامل بإمارة الباحة إلى طالب علم بالجامعة الإسلامية.

الموقف الثاني: منذ بضع سنوات كان - طيّب الله ثراه - في رحلة إلى أميركا بدأها عن طريق لندن وفي طريق عودته مر معاليه بالشرق الأقصى، وشرفني بأن أكون في استقباله عند زيارته لتايلاند وقضى ببانكوك وضواحيها عدة أيام متنقلاً وزائرًا للمساجد والمؤسسات الإسلامية بها، وأثناء مأدبة الغداء التي أقمتها لمعاليه ببيتي المتواضع ببانكوك كان مثار دهشة الحضور ومعظمهم من العاملين في الحقل الإسلامي بتايلاند، ومن أبناء المنطقة، كيف تبتعد شخصية مرموقة وفي هذه المنزلة عن الأضواء بينما رجال سفارة جلالته رهن إشارته وكيف يجلس في هذا المنزل المتواضع وفي هذا الجمع كأنه فرد منهم يناقش معنا أمور الدعوة عارفًا وعالمًا وموجهًا ومرشدًا وكان بين الجمع رجل اعتنق الإسلام حديثًا وبعد أن قدمته لمعاليه نفحه قبل مغادرة معاليه لمنزلي مبلغًا من المال بالدولارات الأمريكية.

حسبكم آل إبراهيم ما تركه لكم الراحل العظيم من مفاخر وأمجاد، ستظل على مر الأيام وكرّ الدهور شاهدة على علوّ مكانة المرحوم في ميادين الفضائل والأمجاد وفي بناء الوطن والإخلاص لقادته.

وإني إذ أقدم التعزية عبر هذه الرسالة المتواضعة والتي تأتي متأخرة لأرجو المعذرة، سائلاً المولى العلي القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهم آله وذويه ومعارفه ومحبيه الصبر الجميل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اليمامة، العدد ٩١٠

التاريخ ١٩/١٠/١٤٠٦هـ

(٢٨ حزيران / يونيو ١٩٨٦م)

مواقف الرجال لا تموت

بقلم: علي خالد الغامدي

قبل خمس سنوات من الآن قررنا فجأة مغادرة جدة إلى الباحة في زيارة عمل لم نحدد أهدافها وغاياتها ولم نرتب لها.

قال الزميل عمر أبو زيد مدير المكتب أن بإمكاننا أن نذهب بعد جولتنا لمعالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم.

وقال المصور أحمد محمود إن المنطقة مغرية بالزيارة فنحن في أشد فصول العام لهباً، وجو الباحة وبلجرشي... وزهران سيكون ربيعياً... وسنجد ما نقوم بتصويره إذا ذهبنا، لوفرة المناظر الجميلة في المنطقة.

وانطلقنا ثلاثتنا إلى الباحة مساءً ليلة الأربعاء لنصل إليها بعد منتصف الليل "٢٨ شعبان ١٤٠١هـ".

بحثنا عن أقرب مقهى لننام فيه لكن نسمات الهواء الباردة والمنعشة أحيت فينا الروح، وأزالت التعب فلم ننم حتى جاء الصباح.

في الصباح تركنا موقعنا، ذهبنا في جولة على مدينة الباحة والغبار يملأ عيوننا قلنا ربما كانت عاصفة وتمر لكن موجة الغبار استمرت كلما اقتربنا منها أكثر.

وكان الغبار بداية طريقنا الصحفي للإمارة... وهذا الغبار المنتشر كان نتيجة لحركة العمل في المنطقة، مشروع عقبة الباحة، وشق الصخور، وفتح الطرق، وبناء المشروعات.

دخلنا مكتب إمارة الباحة ولم ننتظر طويلاً فقد حضر أميرها الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم، لم يسألنا لماذا لم تطلبوا موعداً، ولم يسألنا إذا كنا جئنا في مهمة صحفية فلماذا لم نعد الأسئلة.

بدأنا الحديث عن الغبار الذي شهدناه في المنطقة فقال إن المنطقة الآن تشهد ورشة عمل لا تتوقف عن الحركة والدوران. مشاريع طرق، ومشاريع زراعة، ومشاريع بناء، ومشاريع إنارة،

ومشاريع هاتف.

وتحدث لنا بالأرقام التي يحفظها، والمشروعات التي يحدد بدايتها، وتنفيذها، ومستقبلها.

لم يكن أي شيء معدًا من قبلنا... ولم يكن أي شيء معدًا من قبله...

لكن مسار الحديث معه كشف أن الرجل يمسك بيديه وعقله وقلبه حاضر المنطقة ومستقبلها.

ووصل الحديث معه إلى قضية هامة وخطيرة في المنطقة، قضية الصحة والعلاج والطرق الوعرة، والجبال المرتفعة، والوديان المنخفضة. فقد كان ابن تلك المنطقة وما جاورها من قرى إذا مرض أحد أفراد أسرته وهو لا يجد مستشفى بمعنى الكلمة يستقبله، أو يخفف من آلامه. وكان الأمير سلطان بن عبد العزيز هو الذي يأمر بنقل من تستدعي حالاتهم بطائرات وزارة الدفاع فوراً إلى الطائف ومكة وجدة والرياض... واندفعنا نتحدث مع الشيخ إبراهيم البراهيم في هذا الموضوع بعد أن رأينا أثناء دخولنا الباحة.. "معْلمًا صحيًا" جديداً يرتفع فوق ربوة عالية.

قال لنا وهو يبتسم: إن هذا المعْلم الصحي الكبير له قصة أكبر في معناها ومفهومها وإنسانيتها فقد زار الأمير فهد بن عبد العزيز، وهو ولي للعهد، الباحة، وتقدمنا بطلب لسموه لإنشاء مستشفى متخصص وكبير نظرًا للمعاناة الشديدة التي يواجهها أبناء المنطقة بصفة عامة مما يضطرهم في كثير من الأحيان إلى نقل مرضاهم إلى الطائف ومكة وجدة والرياض إلى جانب جهود الدولة في نقل الحالات الطارئة بأقصى سرعة.

واستدعى الأمير فهد وزير الصحة، وعرض عليه الطلب فقال إن بند وزارة الصحة ليس فيه اعتمادات لمشروع صحي كبير كهذا، وأضاف أن المنطقة لا تستوعب مشروعًا كهذا.

ووقف الشيخ إبراهيم بن إبراهيم كما أبلغنا يشرح ظروف المنطقة وأوضاعها وحاجتها وحاجة سكانها لمشروع صحي كبير فالباحة تعتبر ثالث مدينة من حيث الكثافة السكانية، وهي

ليست قرية أو مجموعة قليلة من القرى.

واقتنع الأمير فهد بن عبد العزيز بحاجة المنطقة لمشروع صحي كبير، وأصدر تعليماته باعتماد جميع تكاليف هذا المستشفى دون أي تأخير.

وخلال ثمانية شهور أقيم المستشفى الذي كان يشبه الحلم وأصبح اسمه مستشفى الملك فهد فيما بعد.

ولو كنتم لا تعرفون فإن طائرات وزارة الدفاع كانت تقوم بنقل حالات الولادة المتعسرة من الباحة وبعض قراها إلى الطائف ومكة وجدة.

ولو كنتم لا تعرفون فإن مدينة بلجرشي كانت تنفرد بمستشفى يشبه المستوصف لكل المنطقة وقراها.

ولو كنتم لا تعرفون فإن مناطق الحجاز نفسها ليست بها عيادات طبية وليس بها مستشفيات خاصة وفجأة يقام مركز طبي كبير... وتُعتمد مبالغه في أسرع وقت... ويتم تنفيذه خلال ثمانية شهور.

لسنا ممن يكتبون قصائد المديح في غير موقعها ومكانها... ولسنا من الذين يجيدون فنون الرثاء لأصحاب المواقف.

وهذه السطور تحمل جزءاً من الوفاء للرجل الذي برهن أن أمانة المسؤولية ليست في الجلوس على المكتب، وبعث الرسائل للوزارة عن المشاريع التي تحتاجها المنطقة، وسكانها.. بل في إيصال مطالب الأهالي إلى رجل الدولة الأول، ومعرفته بظروف المنطقة، واحتياجاتها، وشرحها بأسلوب عملي وعلمي مقنع...

رحم الله إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم.

الرياض، العدد ٦٤٩٩

التاريخ ١٤٠٦/٧/٣٠هـ

(١٠ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

ويبقى حديثك في ذاكرتي

بقلم: محمد الوعيل

فجأة أصبح في دائرة الضوء وهو الذي ظل طوال عمره يرفض الأضواء... أو يتحدث أحد عن أعماله التي كان يؤديها لوجه الله والوطن... كان المرحوم الشيخ إبراهيم عبد العزيز آل إبراهيم في منصبه الأخير أميراً للباحة قد حقق الكثير من طموحات أبناء هذه المنطقة... وكان كثير من الصحفيين يحبون أن يدلي إليهم بتصاريح عن هذه الإنجازات أو يتيح لهم لقاءات صحفية معه إلا أنه – تواضعًا – كان يرفض ذلك.. وكان يكره أن يُنسب إليه شيء.. كان في أعماقه يعلم أن الإنسان إنما يؤدي واجبه فقط وما دام هذا واجبه فإنه إرجاع الفضل لعون الله تعالى وإلى أولياء الأمر.. وعبثاً ضاعت محاولات الكثير من الصحفيين للحديث معه عبر أي شيء مما شهدته الباحة خلال السنوات الأخيرة.. من مشروعات جلّت عن العد والحصر... كان آخرها سد وادي العقيق وغيره كثير. لقد كان البراهيم واحداً من المواطنين الذين مارسوا "المواطنة" وحققوا شعار المغفور له الملك عبد العزيز بأن العمل أهم من القول.

لقد كان من هذا الجيل الذي تربى في مدرسة عبد العزيز وترعرع – كما قال لي – وقد زاد من قدر المرحوم لدى عارفيه موقفه هذا الذي يؤثر فيه الآخرين على نفسه فهو يتكتم أي فعل أو معروف أسداه إلى أي إنسان.. وكان ينسب الفضل إلى أناس آخرين وليس لنفسه.. من هنا كانت هذه المنزلة التي أصبح عليها في قلوب أبناء هذا البلد.. ومن هنا أيضًا كانت فجيعتهم لدى سماعهم بالحادث الذي أودى بحياته. فلقد كان المرحوم ابناً للربوع كلها...

لقد كان البراهيم من أبناء هذا الوطن الذين خدموا في أيام الضيق والشدة.. كما خدموا في أيام النعمة والمال.. ولم يتغيروا.. ولهذا فإنهم عندما يذهبون يبقى لنا منهم تراث عامر بعطر الذكريات.. والقدوة الحسنة والعمل الصالح.

لقد كان لي تجربة مهنية مع هذا الإنسان "ضيف الجزيرة".. اكتشفت من خلالها أنه – في قلبه – يعيش بساطة إنسان هذه الأرض.. وقوة عزيمته.. لقد عرفت – أيضاً – مدى الصبر

والكفاح الذي عاشه البراهيم متنقلاً من القصيم إلى المدينة إلى مكة إلى عسير.. هذه الرحلة قطعها كثيرون من أبناء هذا الجيل وهم يضعون أيديهم مع يديّ مؤسس هذا الكيان لتأسيس هذه النهضة التي نعيش في خلالها الآن.. لقد عشت أربع ساعات من الزمن في حوار متصل مع هذا الرجل.. خرجت بقناعة واحدة أن هذه الأرض مليئة بالرجال الذين كان يمكن أن يصنعوا هذه النهضة بدون إمكانيات.

كان الرجل رحمه الله في حديثه معي.. يذكر كل شيء ولا ينسى لأحد فضله بدءًا من المغفور له الملك عبد العزيز وأبنائه حتى جلاله الملك فهد حفظه الله.

لم ينس شيئًا.. حتى أدق الأشياء والتجارب.. وكلها إثبات وتوثيق لعطاء الرجال الذين ذهب منهم من ذهب ولا زال منهم كثيرون يملأون أرجاء هذا الوطن.

دقائق في عمر الزمن عشتها مع هذا الرجل.. تعود إلى ذهني كشريط مليء بأحلى الذكريات وكأني أعيشها اللحظة بل لقد أضاءت في خاطري بشيء مفزع عندما علمت بنبأ وفاة الإنسان بكل ما تعنيه هذه الكلمة.

بقي أن أقول إن هذه الأرض تنبت من الرجال من يعجز اللسان عن الحديث عنهم فقد كانوا أيام الجفاف هم ينبوع الرخاء.. وكانوا في زمن الخير ينبوع العطاء أيضًا.

رحمك الله أبا عبد العزيز.. وأسكنك فسيح جناته، و"إنا لله وإنا إليه راجعون".

الجزيرة، العدد ٤٩٤٤

التاريخ ١٤٠٦/٨/٣هـ

(١٣ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

في ذمة الله يا إبراهيم

بقلم: فيصل سعيد صقر الغامدي

أبـــا عـبـد الـعـزيــز بـكـتـك نفسي ... وغـابـت عــن سـمـائـي نــور شمسي
تـركـت الـحـــزن في الأحـبـــاب حتى ... غـــدا فـيـهـم يـصـاحـبـهـم ويمسي
رزئـــت بـمـــوت مـــن لـلـفـضـل راع ... ولـــلأخـــلاق يـعـطـي خـــير درســـ
أيـــا نـسـل الـكـرام سـلـكـت دربـاً ... نـقـيـاً مـــن شـــوائــب كــل رجـس
وســرت عـلـى دروب المـجـد تسعى ... لـنـيـل المـكـرمـات بـــدون يـأس
فـذلـلـت الـصـعـاب بـكـل عـزم ... وحـقـقـت المـــرام وعـــز نفس
وأســـعـــدت الـبـلاد فـحـل فيها ... بـفـضـلـك كـل يـــوم ألـــف عرس
ولم تـــترك جـمـيـلاً أو عظيماً ... مـــن الأعـــمـــال إلا كـنـت ترسي
فـــأنـــت عـلـــى روابـيـــنـــا ربـيـع ... يـــفـــوح عــبـيـره في كـــل غـرس
تـركـت الـبـاحـة الـثـكـلاء تبكي ... عـبـير المـاجـديـن بـكـل رمـس
تـسـيـل مـدامـعًـا وتجـيـش حـزنًـا ... وتـــنـــدب حـــســرة فـــوق الـتـأسـي
سـتـبـقـى في قـلـوب الـنـاس حياً ... وغـــيرك وهـــو حـــي شـبـه منسي
ومـثـلـك إن مـضـى جـسـداً وروحـاً ... ســيـبـقـى ذكــره في كــل أنــس

اليوم، العدد ٤٦٨٥

التاريخ ٤ شعبان ١٤٠٦هـ

(١٤ نيسان / أبريل ١٩٨٦م)

مرثية
إلى روح الفقيد الكبير معالي الأمير إبراهيم عبد العزيز آل إبراهيم

للشاعر حمد الزيد

تذكرت بسمتك الحلوة الصافية

ووجهاً كما الصبح يشرق بالحب

والضحكة الحانية

كريم السجايا

وفي القلب لوعته طاغية

حبست الدموع

فأضحت جراحا

تفجر نائحة.. باكية؟!

ولو أن قبر الحبيب يجيب

لأجهش

فاض كما ساقية

ولو يرجع الميت نهر الدموع

لسقناه للتربة.. الطاهرة

ولكنها حسرة في الفؤاد

ستبقى ضراماً

على الآخرة

فيا طيب القلب طبت

وطابت لك الجنة

العاطرة

ألم تدر يا موت ماذا أخذت؟؟

وماذا فعلت بنا

في فجاءة؟؟

وماذا ارتكبت بنا من حماقة؟

الم تدر يا وادياً بالشمال

بأن الفجيعة

فينا خسارة؟؟

الم تدر يا منزل الذكريات

بـ "قروى" طلولك

تبكي مرارة

وتسال أين الفقيد الكريم

وهل سيعود له.. كالحمامة؟!

وأين الأحبة؟

هل يدخلوه؟

وأين الضيوف؟

تولوا أمامه؟

وطيف الحسيب النسيب الهمام

أبا "العز" جلله كالغمامة

خراب بقي

ينعق البوم فيه

فيا حسرة الغمد

يبكي حسامه؟!

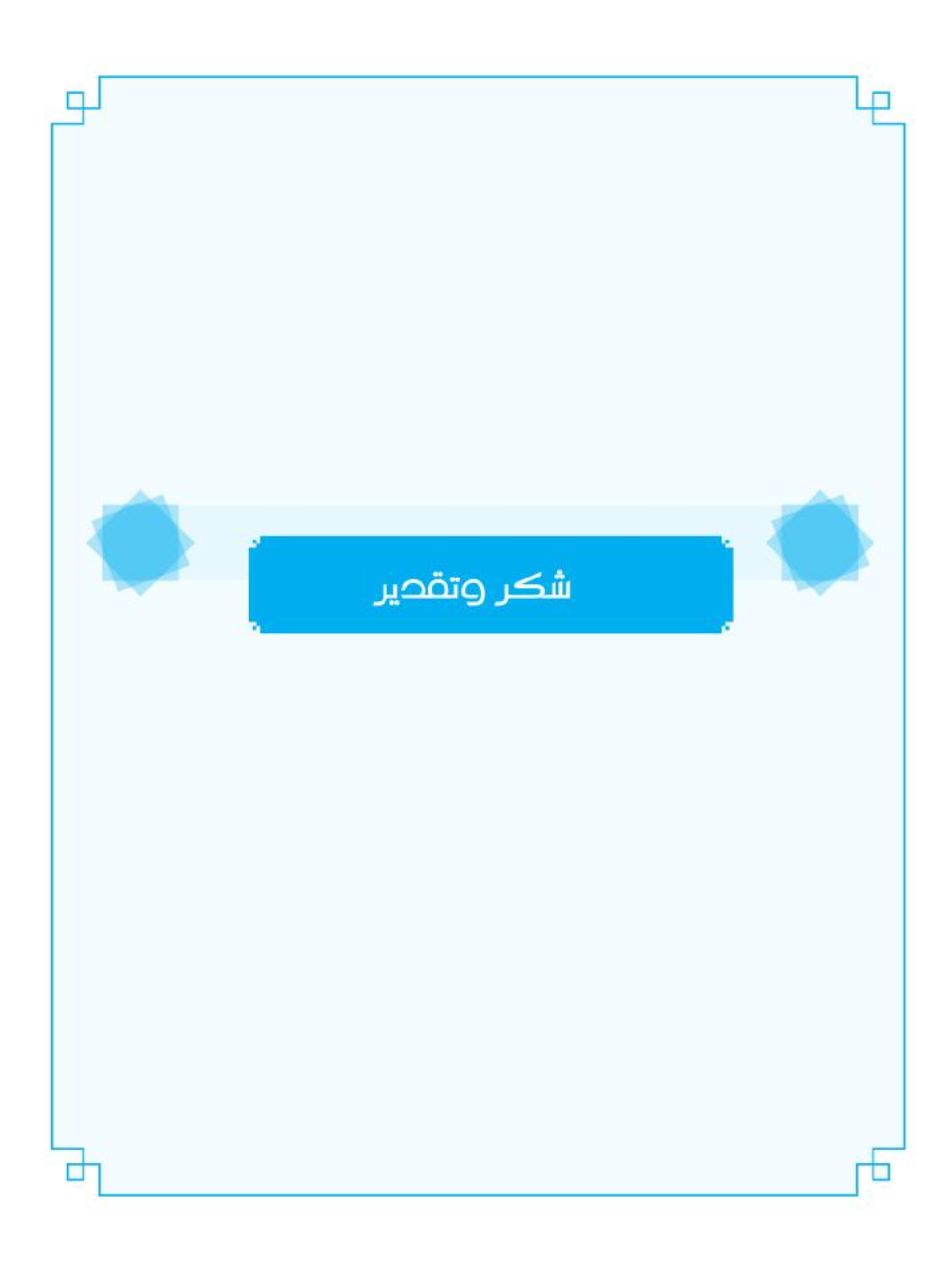
ذكرتك

والكل يشكو فراقك

والحلم.. والعقل

يا "سيدي" والشهامة

ذكرتك
هذي جراح الزمان
فمن يمسح الجرح
يبري سقامه؟!
وأنت كما الطود في ناظري
وأنت الرجولة
وأنت الكرامة
وقد كنت والدنا كلنا
رفيقاً
تقابلنا بابتسامة
وتحمل أخطاءنا كلها
وتمنحنا الحب
دون ملالة
عظيم السجايا
ألا رجعة
لنمنحك الحب
صاف الزلالة
ونمنحك العمر
كيما تعود إلينا
تطوقنا كالغلالة
تقبلنا واحداً.. واحدا
كما قبل البدر
يوما جباله
فوا أسفا.. لن يعود الفقيد
ولن يرجع الأب
يدعو عياله.



شكر وتقدير

شكر وتقدير

يرى المؤلف من واجبه تسجيل شكره وامتنانه إلى عدد من الشخصيات الكريمة والأساتذة الأفاضل الذين لولا مساعدتهم القيّمة وتعاونهم الكريم لما أمكن تحقيق فكرة هذا الكتاب. وهو يخص بالشكر الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم والشيخ خالد بن إبراهيم بن عبد العزيز البراهيم، كما يشكر الدكتور غازي القصيبي والدكتور عبد الله حسن مصري اللذين تفضلا بقراءة مسودات الكتاب وأبديا ملاحظات قيمة.

كذلك يعرب المؤلف عن جزيل شكره وامتنانه إلى عدد من السادة الكرام الذين تفضلوا بمقابلة المؤلف ومنحوه من وقتهم الثمين، وزودوه بما لديهم من معلومات وذكريات عن الشيخ إبراهيم البراهيم، وهي معلومات قيّمة أغنت الكتاب كثيرًا، وأخص بالذكر الشيخ عبد الله بن محمد البراهيم (الذي علمت بأسف شديد بوفاته بعد تشرفي بمقابلته بمدة) والشيخ عبد الله بن محمد الشبانة، والأستاذ عبد الله العبد الرحمن الإبراهيم، والأستاذ إبراهيم السليمان، والأستاذ عبد الله إبراهيم الحديثي الذي زود المؤلف بكثير من المعلومات الثمينة، والشيخ ناصر آل الشيخ والأستاذ أحمد حامد الغامدي الذي تفضل أيضًا بتزويدي بمجموعة قيّمة من الصور.

وهنالك عدد من الأساتذة الأفاضل الذين لم يتمكن المؤلف من مقابلتهم شخصياً، وإنما تفضلوا بتقديم ما لديهم من معلومات وذكريات بواسطة أحد الأصدقاء. وأخص بالذكر منهم الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي والأساتذة حسن بن علي الفقيه، وسعيد باخشوان، ومصطفى الشنقيطي، والشيخ حسين عرب، وعلي بشاوري، وعلي حسن أبو العلا، ومحمد بن علي بن زيد، فإليهم جميعًا أخلص الشكر والامتنان، مع الاعتذار والشكر لمن قد تكون أسماؤهم قد فاتتنا سهوًا.

وغني عن البيان أن أولئك السادة الكرام لا يمكن أن يعدّوا مسؤولين عما تبقى في الكتاب من أخطاء أو نواقص، وعما ورد فيه من آراء، فعلى المؤلف وحده تقع تبعتها.

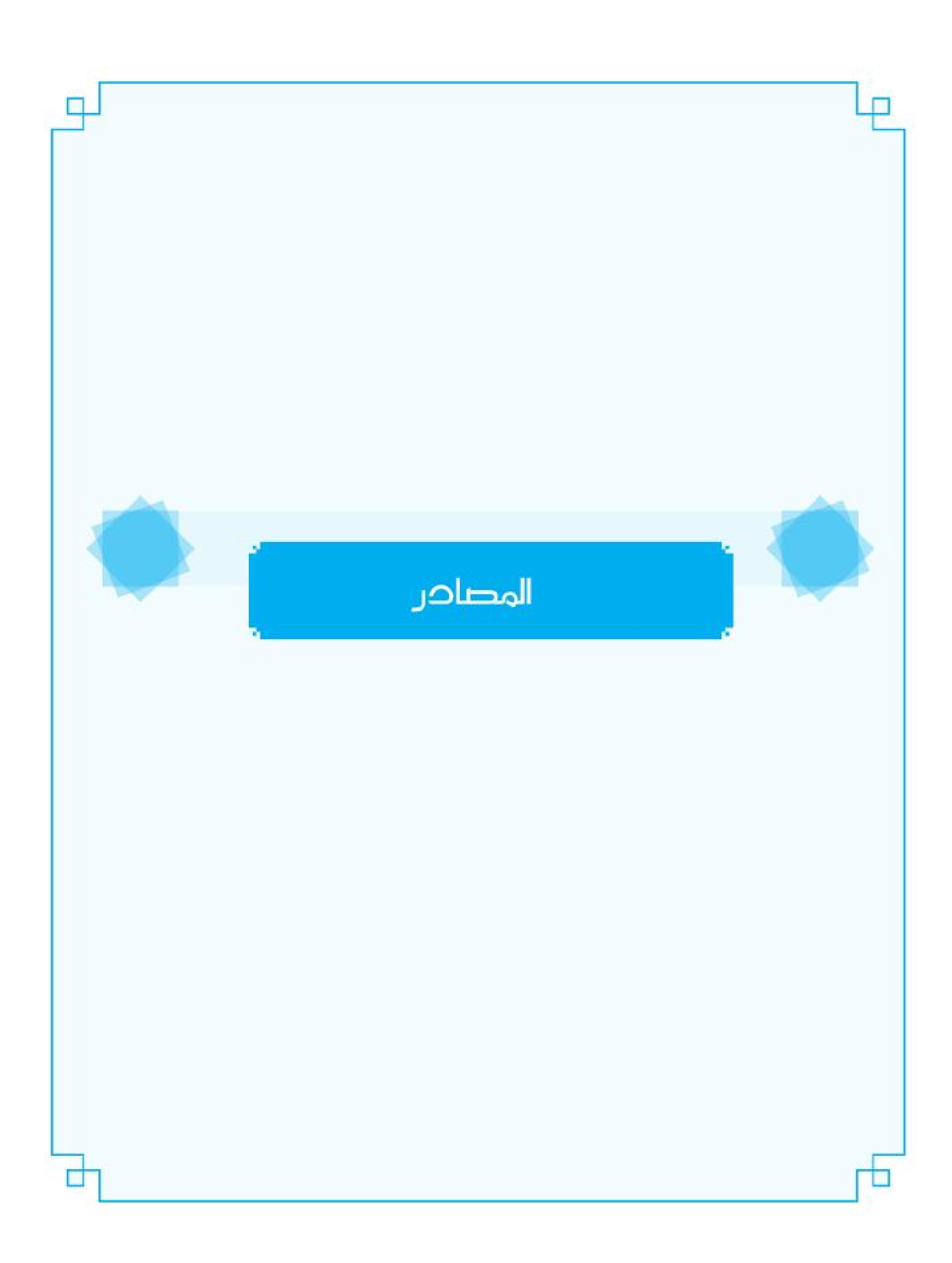
ويشكر المؤلف أيضًا عددًا من الإخوان الأفاضل الذين قدموا له شتى المساعدات والمعلومات خلال جمعه مواد الكتاب، ويخص بالذكر الدكتور عبد الله أبو راس، الذي فتح له مكتبته القيّمة وزوده بكثير من المصادر النادرة، والأستاذين خالد حسين العساف وإبراهيم الجعويني.

وكذلك يشكر الأستاذ عرفان نظام الدين والأستاذ لؤي عنتابي على مساهمتهما في تصحيح مسودات الكتاب وشرح الصور التي ضمها.

وأخيرًا، وليس آخرًا، لابد من تسجيل الشكر والتقدير لدار الساقي التي عُنيت بنشر الكتاب بمدة قياسية وإخراجه بحلته القشيبة.

والله ولي التوفيق.

ن . ف . ص .



المصادر

المصادر

١ – الأوراق الشخصية للأمير إبراهيم بن عبد العزيز إبراهيم محفوظة لدى نجله الأكبر الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم البراهيم.

٢ – المقابلات الشخصية:

- الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز.
- الشيخ خالد بن إبراهيم بن عبد العزيز.
- الشيخ عبد الله بن محمد البراهيم (رحمه الله).
- الشيخ حسين عرب.
- الشيخ إبراهيم السليمان.
- الأستاذ عبد الله العبد الرحمن الإبراهيم.
- الأستاذ عبد الله إبراهيم الحديثي.
- الشيخ ناصر آل الشيخ.
- الدكتور عبد الله سعيد أبو راس.
- الأستاذ إبراهيم الجعويني.
- الأستاذ علي حسن أبو العلا.
- الأستاذ علي بشاوري.
- الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي.
- الشيخ محمد بن إبراهيم الراشد الحديثي.
- الأستاذ محمد بن علي بن زيد وكيل إمارة منطقة عسير.
- الشيخ هاشم بن سعيد النعمي.

٣ - المصادر العربية:

الدكتور إبراهيم محمد الزيد	"الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم: حياته ونماذج من رسائله الخطية"، مقالة في مجلة عالم الكتب، المجلد ١٥، العدد (٣)، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ (آيار / مايو – حزيران / يونيو ١٩٩٤م).
الدكتور إبراهيم محمد الزيد	المنتخب في ذكر أنساب العرب، الرياض، ١٩٨٤م.
إبراهيم بن صالح عيسى	تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.
إبراهيم بن صالح عيسى	عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر، ذيل به على كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد"، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ – منشورات وزارة المعارف، المطابع الوطنية الحديثة، الرياض (بلا تاريخ).
أحمد بن صالح السياري	الباحة، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، جدة (بلا تاريخ).
أحمد عبد الغفور عطار	صقر الجزيرة، المؤسسة العربية للطباعة، جدة (الطبعة الثانية)، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.
أحمد ياسين أحمد الخياري	أمراء المدينة المنورة وحكامها، المدينة المنورة، ١٩٦٢م.
إمارة منطقة الباحة	خطوات على طريق التقدم الحضاري في ست سنوات ١٣٩٨ – ١٤٠٤هـ، دليل موجز صدر بمناسبة زيارة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز لمنطقة الباحة عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
أمين الريحاني	نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، دار الريحاني للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الثانية، ١٩٥٤م.

حافظ وهبة	خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٦٠م.
حمد الجاسر	جمهرة أنساب العرب المتحضرة في نجد، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
حسين خلف الشيخ خزعل	تاريخ الكويت السياسي (الجزء الخامس)، القسم الأول، دار مكتبة الهلال، بيروت (بلا تاريخ).
خير الدين الزركلي	شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، بيروت (الطبعة الثالثة)، ١٩٨٥م.
رابح لطفي جمعة	حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، منشورات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
سعود بن هذلول (الأمير)	تاريخ ملوك آل سعود، بريدة، ١٩٨٢م.
سليمان موسى	الحركة العربية، دار النهار، بيروت، ١٩٧٠م.
صلاح الدين المختار	تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت (بلا تاريخ).
عبد الحميد الخطيب	الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: سيرته، بطولته، سر عظمته، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
عبد الباسط بدر (الدكتور)	التاريخ الشامل للمدينة المنورة (الجزء الثالث)، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
عبد الرحمن بن حمد الزيد	المنتخب في ذكر أنساب العرب، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
عبد الرحمن الرافعي	عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة (الطبعة الرابعة)، ١٩٨٢م.
عبد الرحمن الصالح الشبيلي	محمد الحمد الشبيلي: أبو سليمان، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

عبد العزيز الأحيدب	ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، ١٣٨٨هـ - (١٩٦٨ - ١٩٦٩م).
الدكتور عبد العزيز الخويطر	تاريخ المنقور لأحمد بن محمد المنقور (تحقيق)، الرياض، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري	لسراة الليل هتف الصباح: الملك عبد العزيز، بيروت، دار رياض الريس للطبع والنشر (الطبعة الثانية)، ١٩٩٧م.
الدكتور عبد الله بن سعيد أبو راس	عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، الرياض، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
الدكتور عبد الله بن سعيد أبو راس وبدر الدين الديب	الملك عبد العزيز والتعليم، الرياض، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
عبد الله بن خميس	تاريخ اليمامة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
عبد الله زايد الطويان	"رجال في الذاكرة": إبراهيم عبد العزيز آل إبراهيم"، مقالة في جريدة الجزيرة، العدد ٩١٩٩، ٥ شعبان ١٤١٨هـ (٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٧م).
عبد الله الصالح العثيمين	تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦م.
عبد الله الصالح العثيمين	نشأة إمارة آل رشيد، جامعة الرياض، الرياض (الطبعة الأولى)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
عبد الله بن علي بن مسفر	أخبار عسير، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
عبد الفتاح حسن أبو علية	الدولة السعودية الثانية، دار المريخ، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
عبد الفتاح حسن أبو علية	الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
عبد القدوس الأنصاري	"أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم"، سلسلة مقالات منشورة في جريدة المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

علـي بـن صـالـح السلوك الزهراني	المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران، دار العلم، الطبعة الثالثة، جدة، ١٩٩٦م.
الدكتور غيثان علي جريس	صفحات من تاريخ عسير، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
فـائـز بـن مـوسـى الـبـدراني الحربي	من أخبار القبائل في نجد خلال الفترة من ٨٥٠هـ - ١٢٠٠هـ / ١٤٤٥م - ١٧٨٥م، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
فاسيلييف، آلكسي	تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو ١٩٨٦م.
فؤاد حمزة	قلب جزيرة العرب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٣٣م.
فؤاد حمزة	البلاد العربية السعودية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض (بلا تاريخ).
فيلبي، سنت جون، عبد الله	تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديسراوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
محمد بن أحمد العقيلي	أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
الدكتور محمد حسين هيكل	في منزل الوحي، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧م.
الدكتور محمد سعد الشويعر	فصول في تاريخ مدن المملكة العربية السعودية: حائل، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
محمد عبد الله الزعارير	إمـارة آل رشيد في حائل، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.
محمد بن عبد الله السمان	الأحـوال السياسية في القصيم، المطابع الوطنية، عنيزة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
محمد بن عثمان بن صالح القاضي	منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب، المطابع الوطنية بعنيزة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

أبـو عبد الرحمن ابـن عقيل الظاهري	آل إبراهيم الفضليون: إضاءة جوانب من تاريخنا المحلي، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
مصطفى محمد كتوعة	من الأعماق، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
محيي الدين رضا	رحلتي إلى الحجاز في سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م، مطبعة المنار بمصر، ١٩٣٦م.
محيي الدين رضا	صور ومشاهدات من الحجاز، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة.
الدكتورة مديحة أحمد درويش	تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
الدكتور منير العجلاني	تاريخ البلاد العربية السعودية: الدولة السعودية الثانية: عهد الإمام فيصل بن تركي، دار النفائس، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
هاشم بن سعيد النعمي	تاريخ عسير في الماضي والحاضر (لا إشارة إلى مكان الطباعة ولا تاريخها).
يوسف ياسين	الرحلة الملكية، مطبوعات وزارة المعارف السعودية، الرياض (بلا تاريخ).

٤ – الجرائد والمجلات:

الجزيرة	الرياض
الرياض	الرياض
الشرق الأوسط	لندن
عالم الكتب	الرياض
عكاظ	جدة
الفيصل	الرياض
المجلة	لندن
المدينة	جدة
الندوة	مكة المكرمة
اليمامة	الرياض
اليوم	الدمام

٥ – المصادر الإنكليزية:

1. Holden, David and Johns, Richard, The House of Saud, New York, 1981.
2. Kostiner, Joseph, The Making of Saudi Arabia. Oxford, University Press, New York, 1993.
3. Lacy, Rober, The Kingdom, Hutchinson, London, 1981.
4. Leatherdale, Clive, Britain and Saudi Arabia 1925-1939, Frank Cass, London 1983.
5. The Saudi Green Book (1934) Relations Between Saudi Arabia and the Yemen, London, 1981.
6. Troller, Gary, The Birth of Saudi Arabia Britain and the Rise of the House of Saud, Frank Cass, 1976.



فهرس الأعلام

فهرس الأعلام



فهرس الأماكن

فهرس الأماكن



الناشر: دار نجول للإعلام

تلفون: ٤٥٠٤٦٩٢ - ص.ب ٨٥٤٦٤ الرياض ١١٦٩١